طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/١

الزمن القسمي

بين عيدي

النيروز والصليب

طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

٤/١

الزمن القبطي

بين عيدي

النيروز والصليب

الكتاب: الزَّمن الطَّقسي بين عيدي النَّيروز والصَّليب
الكاتب: الرَّاهب القس أثناسيوس المقاري
(راهب من الكنيسة القبطيَّة)
المطبعة: شركة الطِّباعة المصريَّة، العبور، ت/ ٤٦١٠٠٥٨٩
الطَّبعة: الأولى، يناير ٢٠٠٩م
التَّرقيم الدَّولي: 5 - 264 – 240 – 977
رقم الإيداع بدار الكُتُب: ١٠١٤٨/ ٢٠٠٨

كافة حقوق الطَّبع والنَّشر محفوظة للمؤلِّف

ثمن النُّسخة ٩ جنهيات

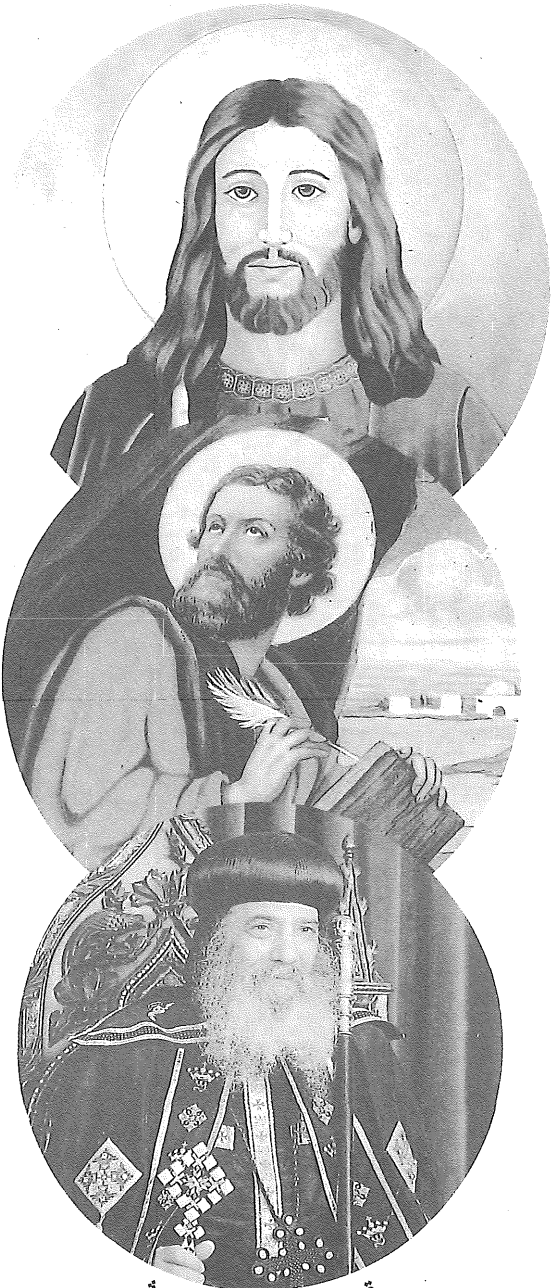

قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدّمة ١١

البَاب الأوَّل: مدخل عام

الفَصل الأوَّل: حول التَّقويم القبطي ١٧

التَّقويم المصري القديم هو أوَّل تقويم عرفه العالم ١٨

تطوُّر التَّقويم المصري القديم إلى التَّقويم القبطي ٢١

التَّقويم اليولياني وتعديله إلى التَّقويم الغريغوري ٢١

نوعا التَّقويم القبطي في ضبط تواريخ الأعياد الكنسيَّة ٢٢

التَّقويم القبطي الشَّمسي ٢٢

التَّقويم القبطي القمري ٢٣

حساب الأبقطي ٢٤

الفَصل الثَّاني: مجمل تاريخ الأعياد الكنسيَّة في الكنيسة القبطيَّة ٢٩

معنى كلمة "عيد" ٣٠

الأعياد الكنسيَّة في الكنيسة القبطيَّة ٣٢

في القرن الثَّالث عشر ٣٢

(١) الأعياد في قوانين البابا كيرلس بن لقلق ٣٣

(٢) الأعياد في كتاب الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة ٣٥

(٣) الأعياد في كتاب المجموع الصَّفوي ٣٦

تعقيب على أعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الثَّالث عشر ٣٨

في القرن الرَّابع عشر ٤٠

تعقيب على أعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الرَّابع عشر ٤١

في القرن الخامس عشر ٤٤

الخلاصة ٤٧

الفَصل الثّالث: تقسيم السَّنة اللّيتورجيَّة إلى أزمنة طقسيَّة ٥١
ما تشرحه المراسيم الرَّسوليَّة عن السَّنة اللّيتورجيَّة ٥٢
الأزمنة الطّقسيَّة للسَّنة اللّيتورجيَّة في الكنائس المختلفة ٥٤
الزَّمن الطّقسي الأوَّل: بدء السَّنة اللّيتورجيَّة ٥٦
في الكنيسة القبطيَّة ٥٦
في الكنيسة البيزنطيَّة ٥٨
في الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكيَّة ٥٩
في الكنيسة الآشوريَّة ٥٩
في الكنيسة الأرمينيَّة ٦٠
في الكنيسة المارونيَّة ٦٠
الزَّمنان الطّقسيَّان الثّاني والثّالث: أعياد الظُّهور الإلهي ٦١
في الكنيسة القبطيَّة ٦١
في الكنيسة البيزنطيَّة ٦٣
في الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى ٦٤
الزَّمن الطّقسي الثّاني: زمن البشارة ٦٤
الزَّمن الطّقسي الثّالث: زمن الدِّنح ٦٥
في الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكيَّة ٦٥
في الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة (الآشوريَّة) ٦٧
في الكنيسة الأرمينيَّة ٦٨
الزَّمن الطّقسي الرَّابع: زمن الصَّوم المقدَّس الكبير وأسبوع الفصح ٦٨
في الكنيسة القبطيَّة ٦٩
في الكنيسة البيزنطيَّة ٧١
في الكنيسة السِّريانيَّة ٧٢
في الكنيسة المارونيَّة ٧٣
في الكنيسة الآشوريَّة (النَّسطوريَّة) ٧٤
في الكنيسة الأرمينيَّة ٧٤
الزَّمن الطّقسي الخامس: الخمسين المقدَّسة ٧٥
الزَّمن الطّقسي السَّادس: زمن الرُّسُل ٧٧

الزَّمن الطَّقسي السَّابع: صوم السيِّدة العذراء، وبقيَّة السَّنة اللِّيتورجيَّة ٧٩
باقي الأزمنة الطَّقسيَّة لبعض الكنائس الشَّرقيَّة ٨٠

البَاب الثَّاني: عيدا النَّيروز والصَّليب

الفَصل الأوَّل: طقوس صلوات عيد النَّيروز في الكنيسة القبطيَّة ٨٥
حول مخطوطات ترتيب البيعة المستخدمة في الدِّراسة ٨٦
تمهيد ٨٧
أولاً: تسبحة عشيَّة عيد النَّيروز ٨٩
من الإبصاليَّة الواطس لعيد النَّيروز ٩٠
من الإبصاليَّة الآدام لعيد النَّيروز ٩٢
تعقيب على رُبع من الإبصاليَّة الواطس لعيد النَّيروز ٩٣
ثانياً: صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز ٩٧
ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز ٩٨
مرد مزمور إنجيل عشيَّة عيد النَّيروز ١٠٠
مردَّات إنجيل عشيَّة عيد النَّيروز ١٠٠
تمجيد قبل قانون ختام صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز ١٠٢
قانون ختام الصَّلوات في عشيَّة عيد النَّيروز ١٠٤
قانون آخر لختام صلوات عشيَّة عيد النَّيروز ١٠٥
ثالثاً: صلوات رفع بخور باكر عيد النَّيروز ١٠٦
مرد إنجيل باكر عيد النَّيروز ١٠٦
رابعاً: قدَّاس عيد النَّيروز ١٠٨
مرد الإبركسيس ١٠٨
الأرباع المصاحبة للثَّلاثة تقديسات ١٠٩
مردَّات إنجيل قدَّاس عيد النَّيروز ١١٠
الأسبَسمس الآدام لعيد النَّيروز ١١١
في التَّوزيع ١١٢
قانون ختام صلوات قدَّاس عيد النَّيروز ١١٣

حول المرد الذي يُقال حالياً في التَّوزيع مع المزمور ١٥٠ ..... ١١٣
الفَصل الثَّاني: الاحتفال بالقدِّيس يوحنا المعمدان في بدء السَّنة القبطيَّة ١١٥
تمهيد ١١٦
اليَوم الثَّاني من شهر توت: تذكار قطع رأس يوحنا المعمدان ١٢١
صلوات رفع بخور عشيَّة اليَوم الثَّاني من توت ١٢١
دورة إنجيل رفع بخور عشيَّة ١٢١
مرد إنجيل عشيَّة رفع بخور ١٢١
قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور عشيَّة وباكر ١٢٢
تمجيد للقدِّيس يوحنا المعمدان بعد صلوات رفع بخور عشيَّة ١٢٣
لحن يوحنا المعمدان ١٢٣
ذُكصولوجيَّة آدام ليوحنا المعمدان ١٢٣
صلوات رفع بخور باكر اليَوم الثَّاني من توت ١٢٥
مرد إنجيل باكر ١٢٥
صلوات قدَّاس اليَوم الثَّاني من توت ١٢٥
مرد إنجيل القدَّاس ١٢٥
الأسبَسمس الآدام ١٢٦
قانون ختام الصَّلوات ١٢٧
الأحد الأوَّل من شهر توت ١٢٨
صلوات رفع بخور عشيَّة الأحد الأوَّل من توت ١٢٨
مرد إنجيل عشيَّة ١٢٨
قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور عشيَّة كل الآحاد ١٢٨
صلوات رفع بخور باكر الأحد الأوَّل من توت ١٣٠
مرد إنجيل باكر الأحد الأوَّل من توت ١٣١
قانون ختام الصَّلوات في باكر الأحد الأوَّل من توت ١٣١
صلوات قدَّاس الأحد الأوَّل من توت ١٣٣
مرد إنجيل القدَّاس ١٣٣
الأسبَسمس الآدام ١٣٣
قانون ختام الصَّلوات في الآحاد السَّنويَّة ١٣٥

الفَصل الثّالث: طقس الفترة الواقعة بين عيدي النَّيروز والصَّليب ١٣٧
تمهيد ١٣٨
ما ورد عن هذه الفترة في العصور الوسطى ١٣٨
أوَّل إشارة طقسيَّة عن طقس الفرح في هذه الفترة ١٤١
ماذا يعني طقس الفرح في الكنيسة القبطيَّة ١٤٢
التَّقليد اللّيتورجي يشهد بأنّ الطّقس السَّنوي هو طقس هذه الفترة ١٤٢
الفَصل الرَّابع: عيد الصَّليب من الوجهة التَّاريخيَّة ١٤٧
تمهيد ١٤٨
الأحداث التَّاريخيَّة الأساسيَّة لعيد الصَّليب ١٤٨
الجانب التَّاريخي لعيد الصَّليب عند المؤتمن بن العسَّال ١٤٩
الجانب التَّاريخي لعيد الصَّليب في كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة ١٥٢
الحدث الأوَّل: ظهور علامة الصَّليب في السَّماء ١٥٣
الحدث الثّاني: البحث عن خشبة الصَّليب المقدَّسة في أورشليم ١٥٥
الحدث الثّالث: استرجاع الصَّليب لأورشليم من بلاد الفُرس ١٦٢
ملابسات هذا الحدث ١٦٢
تأثير هذا الحدث على طقس الاحتفال بعيد الصَّليب ١٦٥
علاقة هذه الأحداث الثّلاثة بيوم ١٧ توت ١٦٦
وماذا بعد؟ ١٧٠
الفَصل الخامس: عيد الصَّليب من الوجهة الطّقسيَّة ١٧٣
تمهيد ١٧٤
أولاً: طقس تسبحة عشيَّة عيد الصَّليب المجيد ١٧٦
الإبصاليَّة الواطس لعيد الصَّليب ١٧٧
الإبصاليَّة الآدام لعيد الصَّليب ١٧٨
ثانياً: طقس صلوات رفع بخور عشيَّة عيد الصَّليب المجيد ١٧٩
أرباع النَّاقوس ١٧٩
ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب ١٨٠
(أ) حول نص الذُكصولوجيَّة ١٨٠

(ب) حول مضمون الذُّكصولوجيَّة ١٨٨
باقي العناصر اللّيتورجيَّة لرفع بخور عشيَّة عيد الصَّليب ١٨٨
مرد مزمور عشيَّة عيد الصَّليب ١٨٩
مرد إنجيل عشيَّة عيد الصَّليب ١٨٩
مرد إنجيل عشيَّة آخر لعيد الصَّليب ١٩٠
قانون ختام الصَّلوات في عيد الصَّليب ١٩٢
ذُكصولوجيَّة آدام تُقال قبل الطَّرح في عيد الصَّليب ١٩٣
ذُكصولوجيَّة آدام أخرى تُقال قبل الطَّرح في عيد الصَّليب ١٩٥
ثالثاً: طقس صلوات تسبحة نصف اللّيل لعيد الصَّليب ١٩٧
رابعاً: طقس صلوات رفع بخور باكر عيد الصَّليب ١٩٧
أرباع النَّاقوس في عيد الصَّليب ١٩٨
الدَّورة الاحتفاليَّة بالصَّليب في رفع بخور باكر ١٩٩
مردَّات إنجيل باكر عيد الصَّليب ٢٠٢
خامساً: طقس صلوات قدَّاس عيد الصَّليب المجيد ٢٠٣
ما يقال قبل البولس في قدَّاس عيد الصَّليب ٢٠٣
مرد إنجيل قدَّاس عيد الصَّليب ٢٠٣
مردَّات أخرى لإنجيل قدَّاس عيد الصَّليب ٢٠٤
في التَّوزيع ٢٠٥
تعقيب ٢٠٥

ملحق: عيد الصَّليب في الكنيسة البيزنطيَّة ٢٠٧

المراجع ٢١٩

مُقَدِّمَة

عيد النَّيروز[١]، هو رأس أعياد الكنيسة القبطيَّة، وإعلان بدء تتابعها البهيج. أي بدء السَّنة اللّيتورجيَّة. أمَّا ما شاع حديثاً بيننا بأنّ هذا اليَوم هو أيضاً عيد الشُّهداء، فهو ما لم تُشر إليه أيٌّ من كتبنا التَّاريخيَّة أو الطّقسيَّة أو كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة، حيث يظل هذا اليَوم هو يوم بدء السَّنة القبطيَّة فحسب. ومن ثمّ فيكون الاحتفال برأس السَّنة القبطيَّة هو الطّقس الكنسي الذي يطغى على خدمة هذا اليَوم.

وربَّما كان الرِّباط الذي ربط بين عيد النَّيروز وبين تذكار الشُّهداء في أذهان الأقباط هو أنّ عيد النَّيروز هو يوم بدء التَّقويم القبطي المعروف بتقويم الشُّهداء، وهو التَّقويم الذي اتَّخذ من سنة اعتلاء الإمبراطور دقلديانوس عرش الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة بداية له، تخليداً لشهداء الكنيسة القبطيَّة، الذين حفظوا الإيمان، ولم يحبُّوا حياتهم حتى الموت في سبيل الحفاظ عليه.

وقد كان عيد النَّيروز هو أحد أهم أربعة أعياد مسيحيَّة في زمن الدَّولة الفاطميَّة (٩٦٩-١١٧١م) في مصر، وهي: ليلة الغطاس، وعيد النَّيروز، وخميس العهد، وعيد الميلاد. وقد أشار المؤرِّخ المقريزي (١٣٦٥-١٤٤١م) إلى احتفال الفاطميِّين بعيد النَّيروز بكثير من مظاهر العظمة،

١- كلمة "نيروز" أو "نوروز" هي فارسيَّة الأصل وتعني "اليوم الجديد"، وقد تسمَّت بها رأس السَّنة القبطيَّة بعد دخول الفرس مصر واحتلالهم لها من سنة ٥٢٥ ق.م إلى سنة ٤٠٥ ق.م بقيادة قمبيز. ولا زال الاسم مستخدماً حتى اليوم.

وكان الفاطميُّون يتَّخذون أميراً أسموه "أمير النَّيروز" مهمَّته هي الخروج في موكب حافل في ذلك العيد لتوزيع الهدايا على رجال الدَّولة على اختلاف درجاتهم[٢].

وبعد أكثر من أسبوعين قليلاً من عيد النَّيروز تحتفل الكنيسة بعيد الصَّليب المجيد في يوم ١٧ توت من كل سنة. وهو ما سنقرأ عن تاريخه الطَّقسي وطقوس صلواته في هذا الكتاب الذي بين يديك.

وبين هذين العيدين السَّابق ذكرهما تحدَّثتُ عن اليَوم الثَّاني من شهر توت، وهو واحد من أعياد القدِّيس يوحنا المعمدان، وهو عيد قطع رأسه بواسطة هيرودس الملك، كما أنَّ قراءات ومردَّات وألحان الأحد الأوَّل من شهر توت تدور كلُّها حول القدِّيس يوحنا المعمدان، ومن ثمَّ فقد أشرتُ إلى هذين اليومين تحديداً.

ويضم الكتاب أيضاً بحثاً عن طقس الفترة الواقعة بين عيدي النَّيروز والصَّليب، وهي فترة لم تشر إليها من قريب أو بعيد كافة كتبنا الطَّقسيَّة القديمة ومخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، والتي ترقى إلى أوائل القرن العشرين، وهو ما تقرأه بتفصيل في متن هذا الكتاب.

وفي الختام أضرعُ إلى ربي يسوع أن يجعل من عيد النَّيروز من كل سنة، يوم تجديد عهد معه بحب أعمق، وحياة أفضل، وسيرة أطهر، وسلوك أقوم، بشفاعة أم الشُّهداء والقدِّيسين، والدة الإله القدِّيسة الطَّاهرة مريم، العذراء كل حين، وشفاعة القدِّيس يوحنا المعمدان، السَّابق الصَّابغ، وصلوات كل مصاف الشُّهداء والقدِّيسين الذين أكملوا جهادهم

٢- المقريزي، الخطط والآثار، عن كتاب: وطنية الكنيسة القبطيَّة وتاريخها، ص ١٠١
انظر أيضا: الدكتور على إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص ٤٨٦-٤٨٧

ويؤازروننا بصلواتهم في تكميل سعينا في خوف الرَّب وحمايته. وبصلوات أبينا الطوباوي المكرَّم قداسة البابا شنوده الثّالث، بابا الإسكندريَّة وبطريرك الكرازة المرقسيَّة، وكل آبائي المطارنة والأساقفة المكرَّمين، وآبائي القمامصة والقسوس والرُّهبان الموقّرين، وإخوتي الشَّمامسة، وكل طغمة العلمانيِّين المباركين.

ولإلهنا كل المجد في كنيسته، من الآن وإلى آباد الدُّهور كلّها، آمين.

عشيَّة الأحد الأوَّل من توت
الموافق اليَوم الأوَّل من توت سنة ١٧٢٢ش/ ١١سبتمبر ٢٠٠٥م

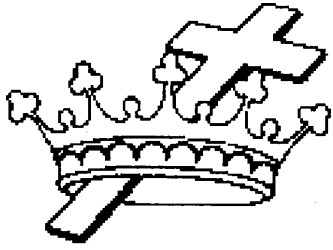

الباب الأول

مدخل عام

الفصل الأول

حول التقويم المصري القديم والتقويم القبطي

التَّقويم المصري القديم هو أوَّل تقويم عرفه العالم

احتفل المصريُّون القُدماء بيوم أوَّل توت كرأس للسَّنة المصريَّة منذ أربعين قرناً قبل الميلاد. فالأقباط هم أوَّل من قسَّم الزَّمن وأرَّخ للسِّنين، فقد قسَّموا السَّنة إلى اثني عشر قسماً بحسب ما كان لهم من دراية بحركة النُّجوم. وكان رائدهم في ذلك، الإله توت رب العلم والقلم، ومخترع الكتابة. ثم وُزِّعت هذه الأقسام الاثنا عشر على ثلاثة فصول، خصَّ كل منها أربعة شهور. وسُمِّي الفَصل الأوَّل منها "فصل الفيضان"، والثَّاني "بذر الحبوب"، والثَّالث "جني الثِّمار".

ولم يكن للشُّهور أسماء عند قدماء المصريِّين في أوَّل الأمر، فكانت الشُّهور تُنسب إلى فصولها فيقال مثلاً: الشَّهر الأوَّل من فصل الفيضان. ومنذ الأسرة السَّادسة والعشرين أي منتصف القرن السَّابع قبل الميلاد تقريباً أطلق المصريُّون على الشُّهور أسماءً تعبِّر عن الأعياد التي اعتادوا إقامتها فيها[١]. ثم زادوا على هذه الشُّهور خمسة أيام في آخر السَّنة اعتبروها بمثابة الأيام التي وُلدت فيها المعبودات الخمسة التي تتكوَّن منها مجموعة أوزيريس وهي: أوزيريس، إيزيس، ست، نفتيس، وحوريس. وجعلوا منها مناسبات لاحتفالات دينيَّة خاصة[٢].

1- Cf. *The Servival of Ancient Egypt*, dans Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC), Rome, vol. 4, (1938), p. 68, 69.

٢-: دكتور مراد كامل، العصر القبطي في تاريخ الحضارة المصريَّة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٩٩

وفي البداية لم تعتمد السَّنة المصريَّة في حسابها على علم الفَلَك، بل على أساس ظهور الفيضان عاماً بعد عام. فهي إذاً سنة نيليَّة تعتمد على طبيعة الفيضان وقيمته لدى الشَّعب الذي تتَّصل حياته به اتصالاً وثيقاً. فجعلوا يوم بدء فيضان النِّيل[٣] بمثابة أوَّل أيام العام الجديد. وحين مضى على هذا التَّقويم عدَّة قرون لاحظ المصريُّون أنَّ أوَّل أيام العام الجديد أخذ يتأخَّر عن يوم بدء فيضان النِّيل بزمن أخذ يطول مع توالي القرون، ثمَّ أنَّ شهور "فصل بذر الحبوب" والتي كانت تقع في الشِّتاء أخذت تقع في الصَّيف. ولقد نشأ هذا التَّفاوت بسبب أنَّ السَّنة المدنيَّة تنقص عن السَّنة الشَّمسيَّة بربع يوم تقريباً. ووجد المصريُّون أنَّ هذا الخطأ قد صحَّح نفسه بعد مضي ١٤٦٠ سنة شمسيَّة. ففي هذه المدَّة تجمَّع الفرق وهو رُبع يوم عن كل سنة، فأصبح ٣٦٥ يوماً أي سنة كاملة بعد ١٤٦٠ سنة. وبهذا عاد التَّوافق من جديد بين السَّنة المدنيَّة والسَّنة الشَّمسيَّة.

كما لاحظ المصريُّون أيضاً أنَّ سنتهم النِّيليَّة التي تبدأ من اليَوم الأوَّل الذي يأخذ فيه النِّيل في الارتفاع وتنتهي بنفس اليَوم في العام التَّالي، أنها تتَّفق بشكل واضح مع الدَّورة السَّنويَّة لنجم ثابت معيَّن، يبدو بوضوح بعد اختفاء طويل، وذلك مع بدء مجيء الفيضان مرَّة كل عام، كما لاحظوا أنَّ ظهوره يكون في الفجر قُبيل شروق الشَّمس، ويكون في هذا الوقت أظهر وألمع نجم في السَّماء.

وفي دوران الأرض حول الشَّمس تأتي لحظة كل سنة يكون فيها هذا النَّجم في خط مستقيم مع الأرض والشَّمس، فأطلق المصريُّون عليه اسماً مؤنثاً هو "سبدت"، أي "الجالبة للنِّيل" أي التي تُحدث فيضانه. وصار

٣- كلمة "النِّيل" مأخوذة من الكلمة اليونانيَّة Νεῖλος (نيلوس). وحين نذكر في صلواتنا اللِّيتورجيَّة في الكنيسة القبطيَّة كلمة "النَّهر" Ποταμός (بوتاموس) كما في قولنا: "مياه النَّهر في هذه السَّنة باركها"، فنحن نعني به نهر النِّيل.

يوم ظهور "سبدت" يوم عيد أطلقوا عليه اسم "عيد طلوع سبدت"، وقد ورد ذكر هذا الاسم في المتون الدِّينية القديمة. وهذا النَّجم هو المعروف اليوم باسم "الشُّعرى اليمانيَّة"، فقدَّس المصريُّون هذا النَّجم وصار موضوع عشقهم وأناشيدهم، لأنَّ ميعاد ظهوره في فجر ذلك اليوم كان دائماً أبداً بشيراً بحلول فيضان النِّيل، مصدر الخيرات والحياة. فضبطوا السَّنة القبطيَّة على مساره، وجعلوا لحظة ظهوره إيذاناً ببدء السَّنة. ولقد أثبتت الدِّراسات الفلكيَّة الحالية أنَّ دورة "الشُّعرى اليمانيَّة" تعادل تقريباً دورة الشَّمس في عام كامل. وأنَّ دورة "الشُّعرى اليمانيَّة" تكتمل بدقة كل ١٤٦٠ سنة.

ولقد ذكر الكاتب الرُّوماني سنسورينوس Censorinus أنَّ الشُّروق الاحتراقي للشُّعرى اليمانيَّة حدث في أوَّل توت سنة ١٣٩ بعد الميلاد. وعلى هذا فقد أمكن تحديد حدوث ظاهرة الشُّروق الاحتراقي للشُّعرى اليمانيَّة سنة ١٣٢١ق.م (١٣٢١+ ١٣٩= ١٤٦٠)، وسنة ٢٧٨١ق.م، وسنة ٤٢٤١ق.م. وهكذا عرف المصريُّون في عصر الدَّولة القديمة تقسيم العام إلى ٣٦٥ يوماً. ولقد سجَّلت النُّصوص القديمة – كما في برديَّة إيبرس – ظاهرة الشُّروق الاحتراقي للشُّعرى اليمانيَّة في بدء ظهور الأسرة الثَّانية عشر، كما سجَّلت بردية أخرى – هي برديَّة اللاهون – هذه الظَّاهرة في عصر الدَّولة الوُسطى. ويؤكِّد "إدَاورد ماير" أنَّ أوَّل الفترة التي تبدأ بعام ٢٧٨١ ق.م كان التَّوقيت الشَّمسي معروفاً ومستعملاً فيها، فلابد إذاً أن يقع بدء استعماله في أوَّل الفترة السَّابقة أي سنة ٤٢٤١ ق.م.

ولا يزال هذا التَّقويم منذ عصور ممعنة في القدم دليلاً نافعاً ودقيقاً للطَّقس وللفصول وللزِّراعة وللنِّيل في فيضانه وتحاريقه. ولا يزال المزارعون المصريُّون يراعونه في كل ما يخص البَذر والحصاد كما كان يفعل الفلاَّح المصري القديم منذ آلاف السِّنين.

تطوُّر التَّقويم المصري القديم إلى التَّقويم القبطي

حدَّد الأقباط بدء تاريخهم القبطي بيوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤م، وسُمِّي "**تقويم الشُّهداء**" أو "**التَّقويم القبطي**" وهو نفس التَّقويم الذي كان مستخدماً في مصر قبل ذلك التَّاريخ، ولكن ببداية جديدة له، تخليداً لشهداء الكنيسة القبطيَّة الذين استشهدوا حفاظاً على الإيمان الذي استلموه من الآباء، واعتبروا هذا اليوم بداية له. وهو اليَوم الذي اعتلى فيه الإمبراطور ديوكلتيانوس العرش الرُّوماني، وكان أكثر الأباطرة الرُّومان وحشيَّة وتنكيلاً بالمسيحيِّين، حيث قد صدر في عهده وحده حوالي ٨٠٠,٠٠٠ حُكم إعدام للمسيحيِّين الأبرياء بسبب تمسُّكهم بالاسم المبارك الذي دُعوا به.

التَّقويم اليولياني وتعديله إلى التَّقويم الغريغوري

ألغى الإمبراطور يوليوس قيصر استخدام التَّقويم بالسَّنة القمريَّة والذي كان شائعاً في الدَّولة الرُّومانيَّة، وأنشأ تقويماً شمسياً استعان فيه بالفلكي المصري "سوسيجينس" Sosigenes الذي قدَّر سنة التَّقويم بـ ٣٦٥ يوماً ورُبع اليَوم. واستخدم طريقة السَّنة الكبيسة مرَّة كل أربعة أعوام. وأمر يوليوس قيصر باستخدام هذا التَّقويم رسمياً سنة ٧٠٨ من تأسيس روما، وهي سنة ٤٦ ق.م[٤]. وسُمِّي هذا التَّقويم "**التَّقويم اليولياني**" نسبة إلى

---

٤ ـ كانت الإرهاصات الأولى لهذا التَّقويم المعدَّل قبل ذلك التَّاريخ بقرنين من الزَّمان تقريباً، إذ يذكر التَّاريخ أنَّ بطليموس الثَّالث إفرجيت Evergete (٢٤٦-٢٢٤ق.م) والذي شارك أباه في حُكم مصر ١٢ سنة، ثم خلفه في الحُكم عندما كان سنُّه ٣٥ سنة، أي في سنة ٢٤٦ق.م، أنه كان رجلاً مثقفاً مثل أبيه وجدّه، وكان صديقاً للعالم الفذ أزاتوستيس. فبطليموس الثَّالث هذا هو الذي اقترح تصليح التَّقويم السَّنوي، بل فرض هذا التَّقويم المعدَّل على الكهنة المصريِّين. ومنذ ذلك التَّاريخ احتفظ الفلكيُّون المصريُّون بهذا التَّصحيح حتى أخذه عنهم يوليوس قيصر مستعيناً بواحد منهم.

يوليوس قيصر. وقد استمر العمل بهذا التَّقويم حتى سنة ١٥٨٢م حين لاحظ الفلكيُّون في عهد البابا الرُّوماني غريغوريوس الثَّالث عشر (١٥٧٢-١٥٨٥م) خطأً في الحساب الشَّمسي، إذ وجدوا أنَّ حساب السَّنة المعمول بها حتى ذلك الوَقت يزيد بفارق ١١ دقيقة و١٤ ثانية، وأنَّ هذا الفرق يعادل يوماً كاملاً كل ١٢٨ سنة. وبتصحيح الخطأ المتراكم أصبح يوم ٥ أكتوبر سنة ١٥٨٢م هو يوم ١٥ أكتوبر سنة ١٥٨٢م. وعُرف هذا التَّقويم باسم "**التَّقويم الغريغوري**"، وهو التَّقويم السَّائد الآن.

نوعا التَّقويم القبطي في ضبط تواريخ الأعياد الكنسيَّة

هناك التَّقويم القبطي النَّجمي (أو الشَّمسي)، وهو لضبط المناسبات والأعياد الكنسيَّة الثَّابتة، كأعياد الميلاد والغطاس وعيد التَّيروز ... الخ. وهناك التَّقويم القبطي القمري، وغرضه إحصاء الدَّورات القمريَّة لتحديد موعد ظهور كل هلال جديد، وهو لضبط الأعياد الكنسيَّة المتنقِّلة والمرتبطة بالقمر، كعيد القيامة وما يترتب عليه من أعياد.

فالسَّنة الطَّقسيَّة الكنسيَّة تبتدئ في الكنيسة القبطيَّة مع بداية التَّقويم القبطي أي تقويم الشُّهداء. ونظام القراءات الكنسيَّة وتوزيعها على مدار السَّنة الطَّقسيَّة يعتمد على هذا التَّقويم.

التَّقويم القبطي الشَّمسي

التَّقويم القبطي الشَّمسي أو تقويم الشُّهداء يتبع الحساب اليولياني. فالتَّقويم القبطي الحالي واليولياني والإثيوبي يعتبر أنَّ السَّنة ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات، في حين أن التَّقويم الغريغوري يعتبرها ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥٠ ثانية. وجدير بالذِّكر أنَّ المعايير الفلكيَّة الحديثة قد أثبتت

أنَّ السَّنة الشَّمسيَّة تعادل ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية. علماً بأنَّ التَّقويم اليهودي — الذي يعتمد أصلاً على القمر - يعتبرها ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٥٥ دقيقة و٢٥ ثانية.

ولهذا نجد أنَّ الخطأ المتراكم في التَّقويم القبطي الذي يتبع الحساب اليولياني قد صار بفارق ١٣ يوماً الآن عن التَّقويم الغريغوري[٥]، وسيصبح الفارق ١٤ يوماً مع حلول سنة ٢١٠٠م. وسيصبح ١٥ يوماً مع حلول سنة ٢٢٠٠م وهكذا. وإذا لم يُتدارك هذا الخطأ التَّراكمي ويُصحَّح، سترتبك الأعياد الكنسيَّة من الوجهة التَّاريخيَّة، وكذلك المواسم الزِّراعيَّة. ولكن إذا تمَّ حذف ثلاثة أيام كل ٤٠٠ سنة[٦]، سنحصل على تصحيح أدق، وبذلك يتوقَّف الخطأ المتراكم حتى سنة ٤٠٠٠م[٧].

التَّقويم القبطي القمري

هدف هذا التَّقويم هو إحصاء الدَّورات القمريَّة وتحديد موعد ظهور كل هلال جديد. وقد زاد اهتمام الأقباط بالحساب القمري بعد دخول المسيحيَّة مصر، لأنَّ عيد القيامة وبعض الأعياد الأخرى المتَّصلة به، تُحدَّد بالدَّورة القمريَّة، وتتَّصل بالدَّورة الشَّمسيَّة.

٥- جاء في الدِّسقوليَّة، وفي بعض المخطوطات التي كُتبت في العصر الأوَّل للشُّهداء، أنَّ الاعتدال الرَّبيعي - وهو اليوم الذي يتساوى فيه اللَّيل والنَّهار - يحدث في ٢٥ برمهات، ولكنَّنا نراه الآن يحدث في ١٢ برمهات.

٦- أي أنَّ السَّنوات المئويَّة ١٦٠٠، ١٧٠٠، ١٨٠٠، ١٩٠٠، ٢٠٠٠، ٢١٠٠، **٢٢٠٠** التي يكون ناتج قسمتها على ٤٠٠ — وليس على ٤- بكسر عشري، يلزم أن نحسبها سنوات بسيطة، وهي المدوَّنة بالبُنط الثَّقيل.

٧- نجيب بولس، ضبط التَّقويم القبطي، نشرة جمعيَّة الآثار القبطيَّة بالقاهرة، المجلَّد الحادي عشر سنة ١٩٤٥م.

وحينما تقدَّمت العلوم أخذ الإنسان يبحث عن الاختلاف بين مدَّة دورة قمريَّة وبين أخرى، وكذلك متوسِّط مدَّة الدَّورة القمريَّة. ومعروف أنَّ المدَّة الواقعة بين لحظة ظهور الهلال الجديد والهلال الجديد التَّالي له تُسمى شهراً قمرياً. وقد يتغيَّر طول الشَّهر القمري حتى يصل الفرق إلى ٩ ساعات تقريباً. وهناك دورة كاملة لحركة القمر في الفضاء بالنِّسبة لنا تبلغ مدَّتها ١٨,٦ سنة شمسيَّة، كما أنَّ هناك متوسِّطاً عاماً لطول الشَّهر القمري في الدَّورة الكاملة وهو ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان. ويُعتبر هذا المتوسِّط دقيقاً، ويمكن التَّنبؤ بمقتضاه عن الأهلَّة الجديدة، وأوجه القمر، لمدَّة ألف سنة شمسيَّة بدون أن يتجاوز الخطأ يوماً كاملاً.

ومن هنا نشأت فكرة استخدام طول متوسِّط الشَّهر القمري، لحساب ظهور القمر الجديد وأوجهه لمئات السِّنين. ويُسمَّى ذلك بحساب الأبُقطي.

حساب الأبُقطي Epact

الكلمة في نطقها الشَّائع تُنطق "إبَقطي" وهكذا تُكتب في المراجع الأجنبية[٨] Epact . ولكنَّها في أصلها قبطيَّة ⲁⲡⲟⲕⲧⲏ (أبُقطي)، وتعني "الباقي"، أي باقي الأيام من السَّنة الشَّمسيَّة بعد حساب الأسابيع التَّامة فيها، وهي ٥٢ أسبوعاً. وكذلك الباقي من أيام السَّنة الشَّمسيَّة إذا ابتدأت في يوم واحد مع السَّنة القمريَّة، حيث يكون الباقي هو أحد عشر يوماً. فحساب الأبُقطي إذاً هو حساب الفرق في الأيام بين التَّقويمين القمري والشَّمسي في كل سنة.

8- Cf. Aziz S. Atia, The Coptic Encyclopedia, 1991, Vol. 2, p. 409.

وكان الفلكي المصري "منيتون" في القرن الخامس قبل الميلاد قد وضع قاعدة تقول بأنّ كل ١٩ سنة شمسيَّة تعادل ٢٣٥ شهراً قمرياً كاملاً بدون كسور. ولقد استخدم الأقباط هذه القاعدة منذ القرن الثّالث الميلادي، كما استُخدمت أيضاً في حساب الأبُقطي[٩].

والغرض الأساسي من حساب الأبُقطي هو تحديد يوم الفصح اليهودي الذي يتبع التَّقويم القمري، والذي يلزم أن يقع في البدر الكامل في الرَّابع عشر من الشَّهر القمري نيسان (إبريل)، وذلك لتعيين يوم عيد الفصح المسيحي الذي يتبع التَّقويم الشَّمسي، والذي يلزم أن يعقب عيد الفصح اليهودي، وبالتَّالي تحديد كافة الأعياد المسيحيَّة المرتبطة بعيد الفصح.

ولم يتوحَّد المسيحيُّون بشأن الاحتفال بعيد الفصح المسيحي إلاّ بعد المجمع النِّيقاوي الأوَّل سنة ٣٢٥م. وكان المبدأ الأساسي الذي ارتكز عليه تاريخ عيد الفصح المسيحي هو أن يكون يوم الأحد الذي يلي البدر الذي يلي الاعتدال الرَّبيعي (٢١ آذار - مارس). وهو ذات التَّقليد الذي تبعته كنيسة مصر منذ البداية.

والأبُقطي هو حساب وضعه العالم الفلكي بطليموس الفرماوي[١٠]

٩- دكتور مراد كامل، مرجع سابق، ص ٢٩٩- ٣٠٥
الأستاذ نجيب بولس، تطوُّر التَّقويم المصري القبطي وضبطه، مجلّة معهد الدِّراسات القبطيَّة، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٧٤ - ٩٦

Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967, p. 12.

١٠- لا ينفي القُمُّص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي في كتابه "التُّحفة البرموسيَّة" الذي طُبع سنة ١٩٢٥م، أنّ هذا العالم الفلكي هو واضع هذا الحساب كحساب فلكي بحت. ولكنه يرفض أن يكون لهَ أيَّ صلة بحساب تواريخ أعياد

صاحب كتاب "المجسطي" الذي درس في مدرسة الإسكندريَّة في زمن الإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨- ١٦١م) المعاصر لأومانيوس أسقف الإسكندرية[١١] (+ ١٤١م)، وهو السَّابع من أساقفة كنيسة الإسكندريَّة. وبدأ استخدامه في عهد أسقف الإسكندريَّة ديمتريوس الكرَّام (+ ٢٣٠م) فنُسب إليه ودُعي بحساب الكرمة.

والسِّنكسار العربي للكنيسة القبطيَّة الذي تم تأليفه في أوائل القرن الثَّالث عشر ذَكَر في موضعين فيه (١٢ بابة، ١٠ هاتور) خطاباً أرسله ديمتريوس الأوَّل (١٨٩- ٢٣٠م) بطريرك الإسكندريَّة إلى أغابيوس أسقف أورشليم ومكسيموس بطريرك أنطاكية (١٨٢- ١٩١م) وفيكتور أسقف روما (١٨٩- ١٩٨م)، بخصوص حساب فصح المسيحيِّين وصومهم، وكيفيَّة حسابه من الفصح اليهودي. وأوَّل من أشار إلى ذلك الخطاب هو سعيد بن البطريق (٩٣٣- ٩٤٠م) البطريرك الملكاني في الإسكندريَّة. ويقول هارناك Harnak (+ ١٨٩٣م) إنَّ هذا الكتاب دُوِّن سنة ٢٠٢م!. إلاَّ أنه من الغريب حقاً ألاَّ يرد ذكره عند القدِّيس الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في النِّصف الثَّاني من القرن العاشر الميلادي، وذلك في كتابه "سيَر البيعة"، وهو تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندريَّة. وكذلك العالم الألماني جراف G. Graf الذي لم يشر إليه. ولكن من جهة أخرى هناك مخطوطات سريانيَّة وقبطيَّة تنسب حساب الأبقطي إلى البطريرك ديمتريوس الكرَّام. وقد أشار جراف Graf إلى بعض هذه المخطوطات،

يهوديَّة أو مسيحيَّة. ويؤكِّد أنَّ البطريرك ديمتريوس هو الذي وضع حساب تاريخ عيد الفصح اليهودي، وبالتَّالي عيد الفصح المسيحي (انظر ص ١١٤٩).

١١- أوَّل من دُعي من أساقفة كنيسة الإسكندرية باسم "بابا الإسكندريَّة" هو البابا ياروكلاس (+ ٢٤٦م) وهو الثَّالث عشر من أساقفة هذه الكنيسة.

ومن بينها مخطوط (لاهوت ٢٣٠) بالمكتبة البطريركيَّة بالقاهرة[١٢].

وطبقاً لحساب الأُبقطي، فإنّ طول الشّهر القمري هو ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢٥ ثانية. ولكن الطُّول المرصود والمؤكّد حالياً بعد تقدُّم الحسابات الفلكيَّة يبلغ ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان. وعلى ذلك يكون شهر التّقويم القبطي القمري أطول من الشّهر القمري الحقيقي بمقدار ٢٢ ثانية كل شهر. وتتراكم هذه الثّواني حتى تبلغ يوماً كاملاً كل ٣٠٨ سنة شمسيَّة. وقد بلغ هذا التّراكم حتى وقتنا الحاضر حوالي خمسة أيام، وسيتزايد هذا الخطأ مع الزّمن إلى ستّة أيام وهكذا.

ومن ثمّ يحتاج تصحيح حساب الأُبقطي إلى حذف هذا الفرق المتراكم منذ العمل به، ثم حذف يوم كل ٣٠٨ سنة تقريباً. وقد وضع الأستاذ نجيب بولس جداول موضّحة لتسهيل عمليَّة حساب الأُبقطي المعدَّل تنبئ عن الهلال الجديد على المدى الطّويل بفارق يوم واحد تقديماً أو تأخيراً، وهو ما لم يكن ممكناً تجنُّبه من قبل، وخصوصاً أنواع التّقاويم القمريَّة البعيدة المدى. أمَّا اليَوم فبعد التّقدُّم المُذهل في علوم الفضاء، وتكنولوجيا الكومبيوتر، فقد أصبح من الممكن ضبط التّقويم القمري أو أي تقويم آخر ضبطاً غاية في الدِّقة مهما طال الأمد.

12- Cf. Aziz S. Atia, The Coptic Encyclopedia, Vol. 2, p. 411.

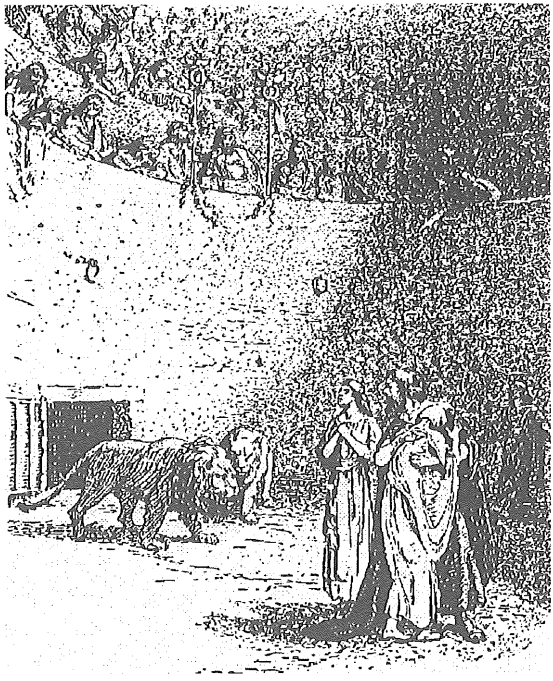

الفصل الثاني

مجمل تاريخ الأعياد الكنسيَّة في الكنيسة القبطيَّة

معنى كلمة "عيد"

كلمة "عيد" هي كلمة عبريَّة الأصل، دخلت اللُّغة العربيَّة، وصارت إحدى الكلمات الأساسيَّة فيها. فكون "العيد" كلمة عربيَّة فصحى فهي تعني: "أي يوم فيه جَمْعٌ"، واشتقاقه من عاد - يعود، أي ما يعود إليه الإنسان مراراً متكرِّرة. وقيل أيضاً إنَّ اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه[١]. فهو "عيد" لأنه يعود كل سنة، وإن كان في العودة تكرارٌ، فإنها في العيد تجدُّد، وبهجة.

وإن عُدنا إلى كتاب العهد القديم، نجد أنَّ المذبح الذي بناه بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى على الأردن في عبر الأردن غرباً سُمِّي "عيد" لأنه شاهد بين هذه الأسباط وبقيَّة أسباط إسرائيل الاثني عشر بأنَّ الرَّب هو الله[٢]. فجاءت كلمة "عيد" في العبريَّة لتعني "شاهد"، ومنها الكلمة العبرانيَّة "جلعيد" التي تعني "رجمة الشَّهادة"[٣]. وهو العامود الحجري الذي أوقفه يعقوب "شاهداً"، أو "عيداً" بينه وبين لابان خاله.

إذاً "العيد" من حيث كونه كلمة عبريَّة تعني "شهادة" - وليس عربيَّة تعني "تكرار العودة" - صار هو المعنى المقصود في أعياد الكنيسة، لأنَّ العيد في الكنيسة المسيحيَّة هو شهادة مستمرَّة ودائمة أنَّ يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. وما فعله من تدبير خلاصي من

١- لسان العرب لابن منظور، ص ٣١٥٩
٢- يشوع ص ٢٢
٣- تكوين ٣١:٤٧

أجلنا هو فعل حاضر دائم في الكنيسة. وكل "عيد" في الكنيسة هو شاهد لهذا الفعل الإلهي الخلاصي. ومن هذا المعنى، فالعيد في الكنيسة المسيحيَّة ليس ذكرى لحدث، أو تكراراً له، بل هو شهادة لفعل دائم حدث في الإنسان من جهة خلقته الجديدة، وخلاصه الأبدي، تتركّز أحداثه في يوم العيد نفسه.

وهناك أيضاً كلمتان في العبريَّة، تترجمان إلى "عيد" في العربيَّة:
الأولى هي: mo'ed (مُوعد) والتي تعني "ميعاد محدَّد"(٤).
الثّانية هي: hag (حاج) أي "محفل أو احتفال"(٥).

إلاّ أنّ كلمة "مُوعِد" تؤكّد على زمن العيد، بينما كلمة "حاج" توضِّح طبيعة العيد. ومن هذه الكلمة الأخيرة "حاج" جاءت كلمة "حاج" في العربيَّة، إذ أنّ الكلمة العبريَّة "حاج" مشتقّة من فعل له عدَّة معاني متعدِّدة، ومن بينها الفعل "يحج" أي يقوم برحلة لمكان مقدَّس(٦).

وكلمة "عيد" في اللُّغة المصريَّة هي hep (حب). وقد استمرَّت كما هي بنفس نطقها تقريباً في اللُّغة القبطيَّة ـ التي تعتبر بمثابة التَّعبير الأسمى للُّغة المصريَّة المكتوبة بالأحرف الإغريقيَّة ـ حيث صارت تُنطق "حُب" hop والتي تعني ليس فقط "عيد"، بل أيضاً وبصفة خاصة "عيد زواج"(٧).

---

٤ – انظر: لاويين ٢:٢٣، ٤، ٣٧
٥ – انظر: لاويين ٦:٢٣، ٣٤، ٣٩، ٤١
٦ – انظر للمؤلف: معجم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثّالث.
٧ – كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونيَّة، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ٢٦٣

الأعياد الكنسيَّة في الكنيسة القبطيَّة

نعرف أنَّ لكنيستنا القبطيَّة أربعة عشر عيداً سيِّدياً. واستقر في عرفنا اليَوم، أنَّ هذه الأربعة عشر عيداً تنقسم إلى قسمين، سبعة منها تُسمى الأعياد السَّيديَّة الكُبرى، وسبعة أخرى تُدعى الأعياد السَّيديَّة الصُّغرى.

أمَّا الأعياد السَّيديَّة الكبرى فهي:

١- البشارة (٢٩ برمهات).
٢- الميلاد (٢٩ كيهك).
٣- الغطاس (١١ طوبة).
٤- الشَّعانين.
٥- القيامة.
٦- الصُّعود.
٧- العنصرة.

وأمَّا الأعياد السَّيديَّة الصُّغرى فهي:

١- الختان (٦ طوبة).
٢- عرس قانا الجليل (١٣ طوبة).
٣- دخول المسيح الهيكل (١٣ طوبة).
٤- خميس العهد.
٥- أحد توما.
٦- دخول المسيح مصر (٢٤ بشنس).
٧- التَّجلي (١٣ مسرى).

فماذا كانت أعياد الكنيسة القبطيَّة في العصور الوُسطى؟ وكيف دخل اسم "أعياد سيِّديَّة صُغرى"؟، وما هو الفرق بين الكبيرة والصَّغيرة طالما كلُّها أعياد سيِّديَّة؟ هذا ما نود الحديث عنه في الصَّفحات القادمة.

في القرن الثَّالث عشر

لدينا ثلاثة مصادر لأعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الثَّالث عشر الميلادي، وسأتحدَّث عنها كما يلي:

(١) الأعياد في قوانين البابا كيرلس ابن لقلق.

(٢) الأعياد في كتاب "الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة" ليوحنا بن سباع.
(٣) الأعياد في كتاب "المجموع الصَّفوي" لابن العسال.

(١) الأعياد في قوانين البابا كيرلس ابن لقلق

أُوردُ من قوانين البابا كيرلس بن لقلق[٨] ما يتعلَّق بالأعياد الكنسيَّة[٩] كما وُجدت في مخطوط رقم (عربي ٢٥١) بالمكتبة الأهليَّة بباريس[١٠]. وبالمخطوط المذكور نسخة ورقة بخط السيِّد البطريرك أنبا كيرلس (الثَّالث) نيَّح الله نفسه بتاريخ ٢٤ برمودة سنة ٦٥٩ للشُّهداء الأطهار، (١٩ إبريل ١٢٤٠م)، رزقنا الله صلواتهم. وهو هذا:

قال: "الطُّقوس المرتَّبة على العادة الجارية في البيعة القبطيَّة اليعقوبيَّة المألوف العمل بها، والاعتماد عليها، التي جازت عليها الأزمنة، وفي وقت الأئمة الهاديين النَّيرين، وحَسُنَ استقرارها في البيعة القبطيَّة بالدِّيار المصريَّة، التي تتصرَّف فيها كهنتهم على ترتيب يتداولونها خلف عن سلف، والواجب استعمالها فيما يأتي من الزَّمان، ليقف كل أحد من الكهنة

٨- إنَّ القيمة العُظمى لقوانين البابا كيرلس الثَّالث (١٢٣٥- ١٢٤٣) المعروف بابن لقلق تكمن في كونها من ترتيب مجمع أساقفة الكنيسة القبطيَّة المعاصرين للبابا المذكور، فتسمَّت باسمه، فقيمتها الطَّقسيَّة غالية، لأنها قوانين المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة في القرن الثَّالث عشر، وهي قوانين سارت على هديها الكنيسة أزمنة سالفة لزمن وضعها، حتى تقنَّنت مدوَّنة على ورق.

9- BASC., t. xiv (1950- 1957), p. 124, 125.

١٠- وردت كل قوانين البابا كيرلس بن لقلق، في المرجع السَّابق ذكره من ص ١١٦- ١٢٩ وهي في معظمها قوانين تنظيميَّة تختص بأحوال الكنيسة في أوائل القرن الثَّالث عشر، وأوردتُ منها ما يختص بأعياد الكنيسة. ولتفصيلات أشمل عن هذه القوانين، انظر للمؤلِّف كتاب: "قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العصور الوسطى"، وذلك ضمن السِّلسلة الأولى "مصادر طقوس الكنيسة".

والشَّمامسة على الحد المرسوم له، ويزول السَّجس والمقاومة من كنيسة الله وهو ما بين.

الأعياد الكُبرى المخصوصة لكبار القسوس وكبار الشَّمامسة اثنا عشر عيداً. البشارة في برمهات (مارس)[١١]، الميلاد، الغطاس، الشَّعانين، قدَّاس الماء يوم الخميس الكبير، عيد الفصح (القيامة)، عيد الصُّعود وهو الأربعين، عيد الخمسين وهو حلول الرُّوح القُدُس، عيد التَّجلي بطور تابور، عيد دخول السيِّد الهيكل وهو عيد سمعان الكاهن، عيد الختان وهو ثامن الغطاس[١٢]، عيد ظهور الصَّليب وهو سابع عشر توت (٢٧ سبتمبر).

الأعياد المخصوصة بالثَّاني في الطَّقس خمسة أعياد: ليلة الميلاد المقدَّس، ليلة الغطاس وهو البرموني[١٣]، قدَّاس سبت لعازر، قدَّاس الخميس الكبير، داخل ثامن الفصح وهو أحد الحدود وفيه عيد توما.

الأعياد المخصوصة بالثَّالث في الطَّقس خمسة أعياد: سبت النُّور، ثاني الميلاد، ثاني الغطاس، ثاني الفصح، ثالث الفصح ... الخ.

فأمَّا أعياد الكنائس، فالعيد الذي للشُّهداء أو الملائكة أو غيرها، إذا كانت الكنيسة مرسومة باسمه، فهو للكبار من الكهنة. فأمَّا التَّحليل على المقُدِّس فهو للكبير الحاضر من الكهنة بعد الأسقف ... الخ.

فأمَّا تفسير الكُتُب عربياً فليس هو طقساً في البيعة[١٤]، بل لكل من

١١- ما بين القوسين ( ) لم يرد في أصل المخطوط.

١٢- خطأ وتُقرأ: الميلاد.

Cf. BASC., t. xiv, p. 142.

١٣- من الكلمة اليونانية παραμονή (بارامونى).
انظر للمؤلِّف كتاب: معجم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل.

١٤- قبل هذه العبارة مباشرة كان القانون قد وزَّع قراءات الإبسطلس (البولس)،

يعرف ما يقول وفسَّر جيداً قساً كان أو شماساً ".

(٢) الأعياد في كتاب الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة

فماذا يقول يوحنا بن سباع في مؤلَّفه "الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة" عن أعياد الكنيسة؟ وهو الذي عاش ما بين القرنين الثَّالث عشر والرَّابع عشر.

يقول في الباب التَّاسع والتِّسعين[١٥] ما نصُّه:

"وأول الأعياد السيدية **عيد البشارة** من غبريال الملاك إلى العذرى مرتمريم ... وهذا العيد بكر المواسم وأول الأعياد ... وتكون صلاة ليلة العيد (أي عشية العيد) بعد فراغ القداس المخصوص بالصوم (أي الصوم الكبير) ... الخ.

ثم يتلوه **عيد الميلاد المجيد**، وهو يومان، الثامن والعشرين من كيهك، ويوم التاسع وعشرين. وقد شهد بذلك السِّنكساري بتعييد اليومين معاً لأن المسيح له المجد وُلد في الثامن والعشرين، وملا نوره المغارة فلم ينظروا إلاَّ في التاسع والعشرين طفلاً ملفوفاً بالخرق ... لذلك عيدوا له اليومين معاً ... ويجب أن يكون له برموني، وهو صوم يوماً واحداً قبله إلى المساء ... ويكون القداس فيه (أي في العيد) سحراً جداً، وذلك تمجيداً للعيد ... الخ.

ثم بعد الميلاد **الظهور الإلهي** المقدس الذي هو الغطاس ... وليكن الغطاس نصف الليل. ويُقدَّس على المغطس بعد قراءة النبوات والفصول اللايقة بالغطاس في الأردن ... وينبغي أن يكون لهذا العيد برموني صوماً

للثَّاني في الطَّقس من الشَّمامسة، والإبركسيس للثَّالث في الطَّقس من الشَّمامسة، والقتاليقون (الكاثوليكون) للشمَّاس الخادم.

١٥- يوحنا بن سباع، مرجع سابق، الباب التَّاسع والتِّسعون، ٣٠٨- ٣٢١

إلى المساء في العاشر من طوبة. فإن اتفق أن يكون السبت والأحد، فلا يُصامان بل يُصام يوم الجمعة الذي قبلهما إلى المساء ... ويكون القداس سحراً جداً تمجيداً للعيد المجيد.

ثم بعد الغطاس، **عيد الشَّعانين** الذي هو دخول السيد المسيح إلى يروشليم ...".

وفي الباب ١٠٣ من نفس الكتاب المذكور يتحدَّث ابن سباع عن يوم **خميس العهد الجديد**، وصلاة اللِّقان فيه. وفي الباب ١٠٤ يتحدَّث عن طقس يوم **الجمعة العظيمة**. وفي الباب ١٠٥ يتحدَّث عن ترتيب **سبت النُّور** ويوم **القيامة المقدَّسة**. وفي الباب ١٠٦ يتحدَّث عن ثاني يوم الفصح وثالث يوم الفصح، و**الأحد الجديد**، و**عيد الصعود**، و**عيد العنصرة**. وفي الباب ١٠٨ يتحدَّث عن التَّعييد **للصَّليب الكريم** ويذكر يوم ١٠ برمهات، و١٧ توت.

(٣) الأعياد في كتاب المجموع الصَّفوي لابن العسَّال

يتحدَّث ابن العسال في الباب التَّاسع عشر منه عن الأعياد السَّيديَّة في الكنيسة القبطيَّة فيقول ما نصُّه:

"وأوَّل الأعياد السَّيديَّة عيد **البشارة** ... في التاسع والعشرين من برمهات. وبعده يا إخوتنا تحفظوا في يوم الأعياد الذي هو عيد **ميلاد الرب** وكملوه في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع الذي للعبرانيين، الذي هو اليوم التاسع والعشرين من الشهر الرابع الذي للمصريين[١٦].

ومن بعد هذا **عيد الإبيفانيا** ... واعملوه في ... الحادي عشر من

١٦- انظر الدِّسقوليَّة: الباب الثَّامن عشر.

الشهر الخامس الذي للمصريين ...

وليُعيِّد **عيد الزَّيتونة**[١٧]. ويجب عليكم يا إخوتنا الذين اشتريتم بالدم الجليل الذي هو دم المسيح أن تعملوا الفصح بكل استقصاء واهتمام عظيم ... ولا تصنعوا **عيد قيامة ربنا** ومخلصنا يسوع المسيح إلاَّ في يوم الأحد لا غير. وافطروا عند صياح الديك بكرة، وتكونوا ساهرين الليل كله وأنتم مجتمعون في الكنيسة ...

وبعد ثمانية أيام فليكن لكم عيد (أي **الأحد الجديد**) ... ثم اصنعوا **عيد صعود الرَّب** ... ومنه وبعد عشرة أيام لعيد الصعود فليكن لكم عيد عظيم لأن في هذا اليوم في الساعة الثالثة أرسل إلينا ربنا يسوع المسيح البارقليط، وهو الروح القدس وامتلأنا من إرادته، وتكلمنا بألسن ولغات جدد كما تحرك هو فينا، وبشرنا اليهود والأمم بأن المسيح (هو) الله.

ومن بعد أن تكملوا **عيد الخمسين** عيدوا أسبوعاً آخر لأنه واجب أن نفرح بموهبة الله التي دفعها لنا"[١٨].

ثم تعود قوانين ابن العسال وفي نفس هذا الباب التَّاسع عشر لتنبِّه المؤمنين إلى عدم العمل في المصالح الدُّنيويَّة في يوم الجمعة العظيمة، وأعياد الصُّعود، والعنصرة، والميلاد، والغطاس، ثم تضيف إلى هذه القائمة من الأعياد قائلة:

١٧- ابتداءً من هنا منقول عن الدِّسقوليَّة مباشرة الباب ٣١

١٨- قوانين ابن العسال تنقل نقلاً مباشراً من الدِّسقوليَّة بدون مراعاة ما كانت تمارسه الكنيسة القبطيَّة بالفعل في ذلك الوقت. ويذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أنَّ أوَّل صوم التَّلاميذ هو بعد العنصرة مباشرة.
انظر: مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٩

"ولا تعملوا يوم الرُّسُل لأنهم الذين صاروا لكم معلّمين لمعرفة المسيح وجعلوكم مستحقّين أن تشاركوا موهبة الرُّوح القُدُس"[١٩].

تعقيب على أعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الثَّالث عشر

(١) من المصادر السَّابق ذكرها نعرف أنه في القرن الثَّالث عشر كانت الأعياد السَّيديَّة في الكنيسة القبطيَّة هي كما يلي:

عند البابا كيرلس الثَّالث بن لقلق، هناك ما يُسمى الأعياد الكُبرى، وهي **اثنا عشر عيداً**، هي: "البشارة، الميلاد، الختان، دخول السيِّد المسيح إلى الهيكل، الغطاس، التَّجلي، الشَّعانين، قدَّاس ماء خميس العهد، القيامة، الصُّعود، العنصرة، عيد الصَّليب في ١٧ توت".

وهي عند ابن سباع **عشرة أعياد فقط**، حيث لم يورد من القائمة السَّابق ذكرها أعياد "الختان، ودخول السيِّد المسيح إلى الهيكل، والتَّجلي"، في حين قد أورد عيد "أحد توما".

وهي عند الصَّفي بن العسَّال، **ثمانية أعياد فقط**، هي: "البشارة، الميلاد، الغطاس، الشَّعانين، القيامة، أحد توما، الصُّعود، العنصرة".

(٢) إنَّ أربعة أعياد من الأعياد التي ندعوها اليَوم "أعياد سيِّديَّة صُغرى" دُعيت باسم "الأعياد الكُبرى" وهي أعياد: "الختان، دخول المسيح إلى الهيكل، خميس العهد، وعيد التَّجلي".

(٣) إنَّ يوم "خميس العهد" محسوب أنه من الأعياد الكُبرى عند البابا كيرلس ابن لقلق، ومن الأعياد ذات الأولويَّة عند يوحنا ابن

١٩- وهو نصٌ منقولٌ أيضاً من الدِّسقوليَّة أو بتعبير أكثر دقَّة، منقول من كتاب "المراسيم الرسوليَّة".

سباع[٢٠]. كما نلاحظ أيضاً الأهميَّة التي يوليها الطَّقس لقدَّاس الماء في يوم خميس العهد، وهو الجزء من الطَّقس التي تتمركز حوله المناسبة الطَّقسيَّة.

(٤) لم يرد ذكر عيدي: "عرس قانا الجليل"، و"دخول السيِّد المسيح أرض مصر" في المصادر الثَّلاثة السَّابق ذكرها، والتي هي أهم مصادرنا الطَّقسيَّة في القرن الثَّالث عشر الميلادي.

(٥) لم يُحسب "أحد توما" - ثامن الفصح - ضمن الأعياد الكُبرى عند البابا كيرلس بن لقلق، ولكنه حُسب كذلك في المصدرين الآخرَين.

(٦) اتفق مصدران من الثَّلاثة مصادر السَّابق ذكرها على أنَّ "عيد الصَّليب" محسوب كأحد الأعياد السَّيديَّة الكُبرى. وهو لا يُحسب حالياً من الأعياد السَّيديَّة، وإن كان يُعامل معاملتها من الوجهة الطَّقسيَّة.

(٧) لا ذكر ليوم "الجمعة العظيمة" كعيد سيدي فالتَّركيز منصب هنا على الأعياد التي تقام فيها قدَّاسات. ولكن يبقى أنَّ "سبت الفرح" (أو سبت النُّور) لم يُحسب في أي من المصادر السَّابقة عيداً سيِّدياً.

(٨) قدَّاس برامون الميلاد، أو برامون الغطاس كان ينتهي عند غروب اليَوم السَّابق للعيد، وليس في الصَّباح الباكر كما هو حادث الآن، لأنَّ ذكر البرامون في كلا العيدين الميلاد والغطاس جاء بصيغة "ليلة الميلاد المقدَّس، وليلة الغطاس أي البرموني".

(٩) الاحتفال بعيد الميلاد يومان، وبعيد الفصح ثلاثة أيام، فتُقام

٢٠- يوحنا بن زكريا بن سباع، الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة، دراسات شرقيَّة مسيحيَّة في الكنيسة المصريَّة، حقَّقه ونقله إلى اللاتينيَّة الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٣١٣

قدَّاسات ثاني وثالث عيد الفصح، وهناك عيدان للصَّليب، ويدوم الاحتفال بعيد الصَّليب في ١٧ توت ثلاثة أيام.

(١٠) ما ذكره النَّص تحت عبارة "أعياد الكنائس" في قوانين البابا كيرلس بن لقلق لم يفدنا بشئ كثير، لأنها مجرَّد إشارة إلى أنَّ الكنائس كانت تُسمَّى بأسماء الشُّهداء والملائكة أو غيرها. وعلى ذلك لم يرد ذكر أعياد العذراء، ولا أعياد يوحنا المعمدان، ولا عيد الرُّسُل، وهذا الأخير أشار إليه الصَّفي ابن العسال.

(١١) من بقيَّة النَّص الذي لم أُوردُه من قوانين البابا كيرلس بن لقلق، نعرف أنه كانت تُقام قُدَّاسات في أيام الجمعة من كلِّ أسبوع إلى جانب قُدَّاسات الآحاد.

هذه ملاحظات على أعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الثَّالث عشر الميلادي بحسب مصادرنا الطَّقسيَّة في هذه الفترة.

في القرن الرَّابع عشر

أمَّا القس شمس الرِّئاسة أبو البركات بن كبر (+ ١٣٢٤م)، وهو قس كنيسة العذراء (المعلَّقة) بمصر القديمة، وكانت مقر الكرسي البطريركي في ذلك الوقت، فينقل في الباب التَّاسع عشر من كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة" ما أورده كتاب المجموع الصَّفوي عن الأعياد السَّيديَّة كما سبق أن أوضحتُ، ثم يشير بعد ذلك إلى ما صار مستقراً في الكنيسة القبطيَّة في زمانه فيقول (بنصِّه):

"والمستقر في البيعة القبطيَّة أنَّ الأعياد السَّيديَّة أربعة عشر، أولها الميلاد ثم العماد، ثم التَّجلي، ثم الشَّعانين المعروف بالزَّيتونة، ثم القيامة

المقدَّسة، ثم الصعود، ثم البندقسطي وهو العنصرة.

والأعياد السَّيديَّة التي تليها وتضاهيها: البشارة والختان، ودخول السيِّد المسيح الهيكل، ودخوله أرض مصر مع أمه ويوسف الخطيب، ويوم الخميس الكبير الذي هو العهد الجديد، والجمعة الكبيرة، والأحد الثاني من حد القيامة وهو الأحد الأوَّل من الخمسين المسمَّي حد الحدود، وعيد الصَّليب في عاشر برمهات لظهوره بيروشليم على يد هيلانة المؤمنة أم قسطنطين ملك الرُّوم المؤمن، ولتكريز (ولتكريس) البيعة التي بُنيت على اسمه في السَّابع عشر من شهر توت".

تعقيب على أعياد الكنيسة القبطيَّة في القرن الرَّابع عشر

(١) يتَّضح لدينا أنَّ أوَّل تقسيم لأعياد الكنيسة السَّيديَّة إلى قسمين، كلٌ قسم منهما يشمل سبعة أعياد، يظهر عند ابن كبر، وهي بحسب تقسيمه كما يلي:

- القسم الأوَّل من الأعياد السَّيديَّة هو:

١- الميلاد. ٢- العماد.
٣- التَّجلي. ٤- الشَّعانين.
٥- القيامة. ٦- الصُّعود.
٧- العنصرة.

- القسم الثَّاني من الأعياد السَّيديَّة هو:

١- البشارة. ٢- الختان.
٣- دخول المسيح الهيكل. ٤- دخول المسيح أرض مصر.
٥- الخميس الكبير. ٦- أحد توما.
٧- عيد الصَّليب.

على أنَّ ابن كبر ذكر أيضاً في هذا القسم الثَّاني من الأعياد السَّيديَّة،

يوم الجمعة الكبيرة. ولكن من الواضح أنه لم يُحسب من بين الأعياد، وإلاّ لكان بالأولى قد أشار إلى سبت النُّور كواحد منها.

(٢) في حين يذكر ابن كبر تعبير "الأعياد السَّيديَّة **الكُبرى**"[٢١]، إلاّ أنه لا يرد أي ذكر عنده لتعبير "أعياد سيِّديَّة صُغرى"، ولكن ما صار واضحاً في القرن الرَّابع عشر أنَّ السَّبعة أعياد التي ندعوها اليَوم "الأعياد السَّيديَّة الكُبرى" قد بدأت تأخذ وضعاً أولياً، وليس متميِّزاً، عن بقيَّة الأعياد الأخرى، باستثناء واحد هو أنَّ "عيد التَّجلي" كان محسوباً ضمن أعياد القسم الأوَّل، وأنَّ "عيد البشارة" محسوب ضمن أعياد القسم الثَّاني وهو ترتيب عكسي لما نعرفه اليَوم عن هذين العيدين.

(٣) بدأ "يوم خميس العهد" يأخذ موضعاً تالياً لأعياد سبعة سابقة عليه، وكان عند المصادر السَّابقة على ابن كبر، أي في القرن الثَّالث عشر فراجعاً محسوبٌ ضمن الأعياد الكُبرى.

(٤) الأعياد السَّيديَّة التي تأتي في القسم الثَّاني وردت تحت عبارة "والأعياد السَّيديَّة التي تليها **وتضاهيها**"، ممَّا يؤكِّد أنَّ تعبير "الأعياد السَّيديَّة الصُّغرى" لم يكن سوى محاولة تسمية لأعياد سيِّديَّة تختص بالسيِّد الرَّب، لا تقل أهميَّة من الوجهة الخلاصيَّة عن الأعياد التي ندعوها اليَوم "سيِّديَّة كبرى" بغية تفريق هذه عن تلك ليس إلاّ.

(٥) لا ذكر لعيد "عرس قانا الجليل" حتى الآن ضمن أعياد الكنيسة القبطيَّة. ممَّا يعني أنه لم يكن مدرجاً ضمن أعياد الكنيسة في القرنين الثَّالث عشر والرَّابع عشر للميلاد.

٢١- كما في البابين السَّادس عشر والتَّاسع عشر من كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة".

وإننا لنتساءل، هل يكون يوم خميس العهد الذي أسَّس فيه الرَّب سرَّ العهد الجديد بدمه محسوباً ضمن الأعياد السَّيديَّة "الصُّغرى"، في حين يكون "عيد التَّجلي" مثلاً ضمن الأعياد "الكُبرى"؟ فلقد طرأ تعديل في ترتيب الأعياد حين ارتفع عيد البشارة ليأخذ مكاناً في القسم الأوَّل بدلاً من عيد التَّجلي الذي أخذ مكانه في القسم الثَّاني منها، وكل ذلك بسبب أننا ارتبطنا بضرورة أن يكون الرَّقم سبعة هو عدد الأعياد في كل من القسمين، وكان هذا معناه أيضاً أنَّ دخول عيد جديد يعني بالضَّرورة خروج آخر ليظل الرَّقم سبعة ثابتاً، وهو ما حدث بالفعل حين خرج عيد الصَّليب الذي ظلَّ محسوباً ضمن الأعياد السَّيديَّة الأربعة عشر في الكنيسة حتى القرن الرَّابع عشر وحلَّ محلَّه عيد عرس قانا الجليل.

ومن جهة أخرى نرى أنَّ الأقباط برغم هذا التَّقسيم المنهجي يراعون عوائد قديمة لديهم لا يتخلَّون عنها، فيحرص معظمهم على التَّناول من الأسرار المقدَّسة في يوم خميس العهد، وهكذا تمتلئ الكنائس بالمتناولين، وهو التَّعبير الصَّحيح والدَّقيق لمعنى المشاركة في العيد، وتكريمه كعيد يحتل مكانة رفيعة في القلوب.

وهو نفس ما نراه أيضاً في يوم الجمعة العظيمة التي يحظى بمهابة عظيمة بين الأقباط، حيث تضيق الكنائس بالمصلِّين، برغم أنَّ الصَّلوات تمتد فيها إلى السَّاعة الخامسة أو السَّادسة مساءً. وكأنَّ الوقت لم يعد محسوباً، أو صرنا لا نستشعره ونحن مشتركون اشتراكاً حياً في الصَّلاة أمام المصلوب من أجلنا لخلاصنا. فهل هناك معنى أكثر إبداعاً لمعنى العيد من هذا المعنى؟. فعيد المسيحي هو يوم أن يدخل بيت الرَّب ويشترك مع الكنيسة في الصَّلاة بقلب ممتلئ بالعرفان والخشوع لمن أحبَّه قبلاً، فسواء وضعنا يوم الجمعة العظيمة ضمن القائمة الأولى أو الثَّانية، أو لم نضعه في أيهما، فسيظل في قلوبنا يوم الفداء، ويوم الخلاص، ويوم البراءة، ويوم

الفرح إلى حد البكاء بموت المسيح الخلاصي.

وإنَّ ألحان الكنيسة القبطيَّة في يوم الجمعة العظيمة هي ألحان مشهود لها من كل الكنائس شرقها وغربها، وهذا الكم الكبير منها في هذا اليَوم، والذي يغطّي تسع ساعات كاملة من الصَّلاة المتواصلة، شهادة دامغة على أنَّ الكنيسة قد رفعت من شأن هذا اليوم ليكون هو بعينه يوم الصَّليب الحقيقي، وعيد الكنيسة العظيم. وهذا هو السَّبب الذي لأجله أشارت المصادر القبطية السَّابقة إليه كواحد من أعياد الكنيسة المهيبة طقساً وشعبيَّة وتأثيراً.

في القرن الخامس عشر

في هذا القرن الخامس عشر الميلادي ترد أوَّل إشارة موثّقة عن تقسيم الأعياد القبطيَّة لأعياد كبار، وأخرى صغار، وذلك عند المؤرِّخين المسلمين القلقشندي[٢٢]، والمقريزي[٢٣].

فنقرأ: "وفيما يتعلّق بأعياد النَّصارى فهي كثيرة، وهي أربعة عشر عيداً وتنقسم قسمين: أعياد كبار وعددها سبعة أعياد، وأعياد صغار وعددها سبعة أيضاً.

وأوَّل الأعياد الكبار هو عيد البشارة، أي بشارة غبريال للسيِّدة العذراء بميلاد عيسى عليه السَّلام، وموعده في التَّاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط سنوياً.

٢٢- هو شهاب الدِّين أحمد بن علي، توفي سنة ١٤١٨م، ومن أهم مؤلَّفاته: "صُبح الأعشى في صناعة الإنشا"، وهو المصدر الذي أخذتُ عنه ما ورد في المتن (الجزء الثَّاني، ص ٤١٥- ٤١٦).

٢٣- هو تقي الدِّين أحمد بن علي، وتوفي سنة ١٤٤١م، ومن أشهر كتبه: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" (الجزء الأوَّل ص ٢٦٣- ٢٦٥).

والعيد الثَّاني هو: عيد الزَّيتونة، أو عيد الشَّعانين. أي التَّسبيح، وهو في سابع أحد من صومهم في ذكرى دخول المسيح إلى القُدس ثم دخوله راكباً لليعفور (أي الحمار) والنَّاس يسبِّحون بين يديه، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعادتهم في هذا اليَوم أن يخرجوا بسعف النَّخل من الكنيسة.

والعيد الثَّالث هو: عيد الفصح، وهو بمثابة العيد الكبير عندهم، يحل في يوم الفطر من صومهم الأكبر، ويقولون إنَّ المسيح قام في هذا اليَوم بعد صلبه، ودخل على تلاميذه، وسلَّم عليهم، وأكل معهم وأوصاهم، ثم صعد إلى السَّماء بعد أربعين يوماً.

والعيد الرَّابع هو: عيد خميس الأربعين، ويذكُر النَّصارى أنَّ السيِّد المسيح عليه السَّلام بعد أربعين يوماً من القيامة، خرج ومعه تلاميذه حيث باركهم ثم صعد إلى السَّماء بعد أن تمَّ ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ورجع تلاميذه إلى بيت المقدس بعد وعده لهم بظهور أمرهم.

والعيد الخامس هو: عيد الخمسين، الذي كان يُطلق عليه أيضاً عيد العنصرة. ويحل في السَّادس والعشرين من شهر بشنس، بعد خمسين يوماً من القيامة. ويعتقد النَّصارى أنَّ روح القُدس حلَّ على التَّلاميذ في هذا اليَوم، وتفرَّقت عليهم ألسنة النَّاس، فتكلَّموا بجميع الألسنة، وذهب كل واحد منهم إلى البلاد التي يعرف لغتها يدعون النَّاس إلى دين المسيح.

أمَّا العيد السَّادس فهو: عيد الميلاد، ويحل في اليوم التَّاسع والعشرين من كيهك، وهذا اليَوم يوافق عندهم ليلة ميلاد المسيح، ويقولون إنه وُلد يوم الاثنين فيجعلونه عشيَّة الأحد، وفيه توقد المصابيح بالكنائس ويزيِّنونها.

والعيد السَّابع هو: عيد الغطاس، ويتم الاحتفال بهذا العيد في الحادي

عشر من طوبة في مناسبة تعميد السيِّد المسيح عليه السَّلام على يد يوحنا المعمدان، يحيي بن زكريا عليه السَّلام في مياه الأردن. وعادة النَّصارى في هذا اليَوم غمس أولادهم في الماء رغم شدَّة البرد.

أمَّا الأعياد الصِّغار فهي سبعة أيضاً منها: عيد الختان، ويحل في سادس طوبه من شهورهم، في ذكرى ختان المسيح عليه السَّلام وهو اليَوم الثَّامن من الميلاد.

والعيد الثَّاني هو: عيد الأربعين، في الثَّامن من أمشير في ذكرى مباركة الكاهن سمعان للسيِّد المسيح عليه السَّلام في الهيكل بعد أربعين يوماً من مولده.

والعيد الثَّالث هو: خميس العهد، ويحل موعده قبيل الفصح بثلاثة أيام. وعادتهم في هذا اليَوم أن يقوم البطريرك بغسل أرجل الحاضرين من النَّصارى في ذكرى غسل المسيح لأرجل حواريه ليعلِّمهم التَّواضع. وفيه أخذ عليهم العهد أن لا يفترقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض. وعامة النَّصارى يسمُّون هذا اليَوم خميس العدس، لأنهم يطبخون فيه العدس على ألوان.

والعيد الرَّابع هو: سبت النُّور، ويعتقد النَّصارى أنَّ النُّور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليَوم، فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة بالقُدس، ويحل هذا اليَوم قبل الفصح بيوم.

أمَّا العيد الخامس فهو: عيد حد الحدود، وهو بعد عيد الفصح بثمانية أيَّام في أوَّل أحد بعد الفطر. وفيه يقومون بتجديد أثاث البيوت، كما تنشط فيه المعاملات الدُّنيويَّة لديهم.

والعيد السَّادس هو: عيد التَّجلي، ويحل موعده في الثَّالث من شهر

مسرى. ويذكرون أنّ المسيح عليه السَّلام تجلّى على تلاميذه في هذا اليَوم بعد أن رُفع، وتمنُّوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى فأحضرهما لهم بمصلّى بيت المقدس، ثم صعد إلى السَّماء وصعدا معه.

والعيد السَّابع هو: عيد الصَّليب في السَّابع عشر من شهر توت. ويحتفلون فيه بذكرى ظهور صليب الصَّلبوت. ويُذكر أنه بعد أن تنصَّر قسطنطين، خرجت أُمُّه هيلانه إلى الشَّام فبنت الكنائس، وسارت إلى بيت المقدس، وطلبت الخشبة التي اعتقد النَّصارى أنّ المسيح صُلب عليها فحُملت إليها فغشتها بالذَّهب واتَّخذت ذلك اليَوم عيداً".

وللنَّصارى أعياد أخرى، غير تلك الأعياد السَّابقة وقد بلغت حسب تقدير القلقشندي مائة وثمانية وسبعين عيداً وموسماً، موزعة على شهور السَّنة، ومنها عيد النَّيروز، وهو أوَّل السَّنة القبطيَّة وهو أوَّل يوم من شهر توت[٢٤].

الخلاصة

من كل ما سبق ذكره يتَّضح أمام القارئ العزيز أنّ أوَّل ذكر لتقسيم الأعياد السَّيديَّة إلى كبيرة **وصغيرة**، قد ظهر في الكنيسة الشَّرقيَّة في غضون القرن الخامس عشر، وهو ما أشار إليه المؤرِّخون المسلمون. وأنّ "عيد الصَّليب" ظلّ إلى ما بعد القرن الخامس عشر عيداً سيِّدياً في الكنيسة قبل أن يحل محلّه "عيد عُرس قانا الجليل".

وأنّ التَّرتيب الذي ذكره البابا كيرلس الثَّالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م) عن الأعياد القبطيَّة هو الأكثر شمولاً بين المصادر السَّابق ذكرها.

٢٤- دكتورة ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين في الدَّولة الإسلاميَّة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٧٠

فيوم "الجمعة العظيمة" كان محسوباً ضمن الأعياد السَّيديَّة كما يذكر ابن كبر. وأنَّ "عيد الصَّليب" ظلَّ محسوباً دائماً ضمن أعياد الكنيسة السَّيديَّة كما عند البابا كيرلس بن لقلق، ويوحنا بن أبي زكريا بن سباع. ويرد عند البابا كيرلس بن لقلق ذكر "سبت النُّور" أو "سبت الفرح" كواحد من الأعياد السَّيديَّة، فاسمه يدل عليه. وقد ذكره القلقشندي كواحد من الأعياد الصُّغرى في الكنيسة القبطيَّة في القرن الخامس عشر. وإنَّ ظهورات الرَّب بعد قيامته المقدَّسة هي أعياد كنسيَّة، فكما أنَّ ظهور الرَّب لتوما الرَّسول هو عيد سيدي في الكنيسة، هكذا أيضاً فإنَّ ظهوره لتلميذي عمواس في مساء يوم القيامة، وكسره الخبز معهما، حين انفتحت أعينهما فعرفاه، لهو أيضاً من أبهج الأعياد الكنسيَّة، حتى أفردت له الكنيسة صلاة مساء أحد عيد القيامة، كما يدور حول هذا الحدث إنجيل قدَّاس ثاني يوم عيد الفصح، وهو قدَّاس يوم شم النَّسيم. وأنَّ "عيد التَّجلي" كان يحتل مكاناً متقدِّماً في القرن الثَّالث عشر إلى جانب يوم "خميس العهد". كما أنَّ "سبت لعازر" أيضاً كان محسوباً كواحد من أعياد الكنيسة التي يخدمها الثَّاني من الكهنة في الطَّقس. وإنَّ ارتباط الصَّوم بالعيد يزيده بهاءً وتقوى، فالكنيسة تفرح في يوم "سبت الفرح" وهي لازالت في الصَّوم، كما أنها تحتفل بيوم "خميس العهد" و"بعيد الصَّليب" في ١٠ برمهات وهي في حالة صوم أيضاً.

ولا ينبغي أن نغفل قول بن كبر في عرضه لأعياد الكنيسة في زمانه قوله: "ومن المستقر في البيعة القبطيَّة ... الخ"، فهو لا يذكر طقساً عُرف في القرن الرَّابع عشر الميلادي، بل يورد ما هو معروف في الكنيسة قبل زمانه.

وفي النهاية أُوردُ هنا ثبتاً بكل المناسبات السَّيديَّة التي تعرَّضت لها أهم مصادر القرون الوسطى عن أعياد المسيحيِّين المختصة بالسيِّد الرَّب.

١- البشارة.
٢- برامون الميلاد.
٣- الميلاد.
٤- ثاني يوم الميلاد.
٥- الختان.
٦- دخول المسيح الهيكل.
٧- دخول المسيح مصر.
٨- برامون الغطاس.
٩- الغطاس.
١٠- ثاني يوم الغطاس.
١١- التَّجلي.
١٢- سبت لعازر.
١٣- أحد الشَّعانين.
١٤- الخميس الكبير.
١٥- الجمعة الكبيرة.
١٦- سبت النُّور.
١٧- عيد القيامة.
١٨- ثاني يوم القيامة.
١٩- ثالث يوم القيامة.
٢٠- الأحد الجديد.
٢١- الصُّعود.
٢٢- العنصرة.
٢٣، ٢٤- عيدا الصَّليب.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكيَّة تعدِّد الأعياد السيديَّة فيها بتسعة أعياد. فإلى جانب "عيد الفصح" المعتبر عيد الأعياد، فهناك: "الميلاد، والختانة، والغطاس، والدُّخول إلى الهيكل، والبشارة، والصُّعود، والتَّجلي، والصَّليب"[٢٥].

أمَّا الكنيسة الأرمينيَّة فتقسِّم الأعياد السيديَّة إلى:

• مجموعة الأعياد السَّيديَّة الكُبرى، وهي تُسمى في اللُّغة الأرمينيَّة "داغافار" أي "الخيمة"[٢٦]، وهي خمسة أعياد: "عيد الظُّهور الإلهي (٨

٢٥- انظر: القانون ١٣٢ من قوانين مجمع حمص الخامس سنة ١٩٥٧م، (المجلَّة البطريركيَّة، كانون الثَّاني وشباط وآذار ١٩٩٨م، السَّنة ٣٦، دمشق - سورية، ص ٣٤، ٣٥).
٢٦- أي الأكواخ التي كانت تُنصب في السَّاحات العامة للاحتفالات الشَّعبيَّة.

أيام)، وعيد القيامة (٥٠ يوماً)، وعيد التَّجلي (٣ أيـــام)، وعيد انتقال والدة الإله إلى السَّماء (٩ أيام)، وعيد الصَّليب (٧ أيام)".

وتتميَّز هذه الأعياد السَّيديَّة الكُبرى بأنها تقع دوماً يوم الأحد، مـــا عدا عيد الظُّهور الإلهي الثابت في يوم ٦ كانون الثَّاني (ينـــاير). وتتميَّـــز أيضاً بأن يكون ثاني يوم العيد مكرَّساً دوماً لتذكار الموتى.

• مجموعة الأعياد السَّيديَّة الصُّغرى، وهي تمتد لمدَّة يوم واحد فقط، وتقسيمها كالتَّالي:

- جميع أيام الآحاد.
- الأعياد الخلاصيَّة: عيد الصُّعود، عيد الثَّالوث الأقدس، عيد تقدمة المسيح إلى الهيكل، عيد العنصرة.
- الأعياد المريميَّة: البشارة، ميلاد العذراء، تقدمة العذراء إلى الهيكل.
- أعياد الصَّليب الثَّلاثة، المختلفة عن عيد ارتفاع الصَّليب.
- أعياد الكنيسة السَّبعة، وهي تختص بالكنيسة الأرمينيَّة، وتعتبرهـــا رمزاً لسر الفداء.
- الأيام التي تسبق الأعياد الكُبرى، مثل: سبت النُّور، وبرامون أعياد الميلاد والظُّهور والسيِّدة والتَّجلي والصَّليب.

وعلى ذلك فإنَّ مجموع الأعياد السَّيديَّة الكُبرى والصُّغرى مع أيـــام الآحاد العاديَّة في الكنيسة الأرمينيَّة تبلغ ١٣٥ يوماً[٢٧].

٢٧- مجلَّة حياتنا اللّيتورجيَّة، السَّنة السَّابعة، لبنان، ١٩٩٦-١٩٩٧م، ص ٨٠٣، ٨٠٤

الفصل الثالث

تقسيم السَّنة اللِّيتورجيَّة إلى أزمنة طقسيَّة

ما تشرحه المراسيم الرَّسوليَّة عن السَّنة اللِّيتورجيَّة

لقد تحدَّث مؤلِّف المراسيم الرَّسوليَّة في القرن الرَّابع الميلادي عن السَّنة اللِّيتورجيَّة مرَّتين، المرَّة الأولى في الكتاب الخامس، والمرَّة الثَّانية في الكتاب الثَّامن، فقدَّم لنا بذلك تقويمان ليتورجيَّان.

(أ) التَّقويم اللِّيتورجي الأوَّل

وفيه تبدأ دورة الأعياد الكنسيَّة بعيد الميلاد، وتنتهي بعيد حلول الرُّوح القُدُس. حيث يقدِّم المؤلِّف تفسيراً لمعنى كل عيد. فيشير إلى أعياد الميلاد، الإبيفانيا، الفصح، الصُّعود، العنصرة.

بالإضافة إلى ذكره لقائمة الأصوام المختلفة على مدى السَّنة اللِّيتورجيَّة، وأوَّلها الصَّوم الأربعيني المقدَّس ويعقبه صوم الفصح المقدَّس وينبِّه على عدم الاحتفال بعيد الفصح في وقت احتفال اليهود به[١]، لكي نكون صائمين من أجلهم مصلِّين لرجوعهم إلى الإيمان بالمسيَّا الذي جاء إليهم و لم يعرفوه.

ويعرض أيضاً لصوم ثالث يعقب عيد العنصرة فيقول:

"ومن بعد أن تعيِّدوا البنديكستي، عيِّدوا أيضاً سبعة أيام[٢]، وبعدها صوموا أسبوعاً آخر، لأنه يجب أن نفرح بموهبة الله التي أدركتنا، وأيضاً لنصوم بعد الرَّاحة"[٣] (٥: ٢٠: ١٤-١٧).

١- انظر: المراسيم الرَّسوليَّة (٨: ٤٧: ٧).

٢- تشير الدِّسقوليَّة العربيَّة في نصِّها الثَّاني في الهامش بالقول: يعيَّد أسبوع للرُّوح القُدُس ثم يُصام بعد ذلك أسبوعٌ واحد.
انظر: دكتور وليم سليمان، مرجع سابق، ص ٣٤٩

3 - Cf. S.C. 329, p. 283.

وفي نهاية الحديث عن الأصوام، تقول المراسيم الرَّسوليَّة: ''وأعطوا المساكين ما يفضل عنكم في أصوامكم''[٤] (٥: ٢٠: ١٨).

والتَّقويم اللّيتورجي الأوَّل في المراسيم الرَّسوليَّة هو تقويم دقيق ليس في شهوره فحسب، بل أيضاً في أيامه.

(ب) التَّقويم اللّيتورجي الثَّاني

ويبدأ هذه المرَّة ليس بعيد الميلاد كما في التَّقويم اللّيتورجي الأوَّل، بل بعيد القيامة. فالتَّقويم اللّيتورجي هنا هو تقويم فصحي.

وفيه يشير المؤلّف إلى أيام راحة العبيد التي لا يجب أن يعملوا فيها، حيث يعرض للأعياد الكنسيَّة التي يلزم أن تُمنح فيها الرَّاحة لهم. فإلى جانب يومي السَّبت والأحد من كل أسبوع، وأسبوع الفصح الذي يسبق عيد القيامة (البَصخة المقدَّسة)[٥]، وأسبوع القيامة الذي يعقب العيد، أشار إلى أعياد القيامة، الصُّعود، الخمسين، الميلاد، والظُّهور الإلهي.

ويضيف هنا أعياداً أخرى لم يشر إليها في التَّقويم اللّيتورجي الأوَّل وهي: أيام (أعياد) الرُّسُل[٦]، عيد الشَّهيد إسطفانوس، أعياد الشُّهداء القدِّيسين.

هذا ما تحدَّثت عنه المراسيم الرَّسوليَّة من جهة السَّنة اللّيتورجيَّة.

انظر أيضاً: الدِّسقوليَّة العربيَّة في نصِّها الثَّاني (٣٠: ٣٠) ص ٣٤٩

4 - Cf. S.C. 329, p. 285

٥- الأسبوع الذي يسبق عيد القيامة كان يُسمَّى قديماً ''أسبوع الفصح''، ثمَّ صار اسمه في الكنيسة القبطيَّة ''أسبوع البَصخة''، وأحياناً يُسمَّى ''أسبوع الآلام الخلاصيَّة''، ولكن لم يرد في أي كُتُب طقسيَّة قبطيَّة من الكُتُب الأمهات تعبير ''أسبوع الآلام''، فهذا التَّعبير الأخير وافد إلى الكنيسة القبطيَّة من الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى.

٦ - أي أيام أعياد استشهاد كل رسول من الرُّسُل القدِّيسين، حيث لم يكن قد تحدَّد بعد عيد استشهاد الرَّسولين بطرس وبولس، والذي نسميه عيد الرُّسُل.

الأزمنة الطَّقسيَّة للسَّنة اللّيتورجيَّة في الكنائس المختلفة

وسأعرضُ في هذا الفَصل محاولة لتقسيم السَّنة اللّيتورجيَّة القبطيَّة إلى أزمنة طقسيَّة، وما يقابل هذا التَّقسيم في الكنائس الشَّرقيَّة المختلفة، البيزنطيَّة، والسِّريانيَّة بشقّيها، والأرمينيَّة، والمارونيَّة، كوسيلة لحصر هذه الأزمنة في مراحل واضحة تعين القارئ القبطي على التَّعرُّف على المراحل الطَّقسيَّة لسنته اللّيتورجيَّة[٧].

وإنَّ بدء السَّنة الطَّقسيَّة لأي كنيسة مرتبط بحضارتها ولاهوتها وثقافتها الدِّينيَّة، لذلك فهناك اختلاف واضح في بدء السَّنة الطَّقسيَّة لكل كنيسة. والموضوع في مجمله مع تباين تقاليده المختلفة هو قيثارة روحيَّة متعدِّدة الأوتار يُعزف عليها أنغامٌ متعدِّدة الأنواع، هي في النَّهاية تحويل للزَّمن المادي والسَّنة المدنيَّة إلى سنة ليتورجيَّة روحيَّة مقبولة للرَّب، وإلى وقت تسبيح وتمجيد لذاك الذي لا بداية زمن له ولا نهاية حياة، ليسوع المسيح محور تسبيحنا وغاية فرحنا وجعالتنا الأكيدة.

والأزمنة الطَّقسيَّة للكنائس الشَّرقيَّة غير متوازية ولا تبدأ في نفس الوقت مع بعضها البعض، فنجد مثلاً أنها سبعة أزمنة في الكنيستين السِّريانيَّة الأنطاكيَّة والأرمينيَّة، وتسعة أزمنة في الكنيسة السِّريانيَّة الآشوريَّة (النَّسطوريَّة)، في حين أنها ستَّة أزمنة فقط في الكنيسة المارونيَّة. وهكذا يتَّضح أنَّ هذا التَّباين في الأزمنة الطَّقسيَّة بين الكنائس المختلفة ليس سوى ثوب جميل ترتديه الكنيسة عروسة المسيح، مطرَّز بكل نوع، ومحلّى بأحجار كريمة، تُزَف به الكنيسة في كل سنة إلى عريسها المسيح.

٧- بتصرُّف عن:
- كتاب السَّواعي الكبير، منشورات النُّور ١٩٨٧م
- مجلّة حياتنا اللّيتورجيَّة، العدد ١٢ نوفمبر ١٩٩٠م، ١٣ ديسمبر ١٩٩٠م، ١٥ يناير ١٩٩١م.
- قطمارس الآحاد للكنيسة القبطية.

ولسوف يكتمل الفرح ويُفعم به القلب يوم تأتلف القلوب على القلوب، وتذوب الفوارق الإيمانيَّة، والانقسامات العرقيَّة، وتصبح كنيسة واحدة لمسيح واحد بطقوس متمايزة تثري وحدانيَّة الإيمان وتجليه.

وتبعاً لتقسيم السَّنة اللّيتورجيَّة إلى أزمنة طقسيَّة، يتغيَّر بالضَّرورة مع كل زمن منها نغمة الألحان وأسلوب أداء الصَّلوات فيها. فنجد على سبيل المثال أنَّ الكنيسة القبطيَّة لديها خمسة أوزان أو ألحان طقسيَّة، وبعض هذه الألحان تنقسم إلى نغمتين بالتَّبادل على مدى الأسبوع الواحد، وفي النِّهاية يبقى لنا ثمانية نغمات تتبدَّل بين الأزمنة الطّقسيَّة كلّها، فتتنوَّع موسيقى الصَّلوات في السَّنة الطّقسيَّة القبطيَّة ممَّا يضفي على الطّقس روعة وجلالاً، فضلاً عن الألحان الكثيرة الأخرى الخاصة بالمناسبات الكنسيَّة، ولاسيَّما ألحان أسبوع البَصخة المقدَّسة، وعيد القيامة.

والكنيسة السِّريانيَّة – ومعها الكنيسة البيزنطيَّة – لديها ثمانية ألحان رئيسيَّة موزَّعة على مدار السَّنة الطّقسيَّة كلّها، ويندرج تحت كل لحن من هذه الألحان الثّمانية ثمانية نغمات، وفي هذا الزَّخم من التَّنوُّع الموسيقي الكنسي تكتمل السَّنة الطّقسيَّة السِّريانيَّة أو البيزنطيَّة.

ويلزم الإشارة إلى أنَّ الكنيستين القبطيَّة والبيزنطيَّة تنهجان نهجاً واحداً في تقسيم السَّنة اللّيتورجيَّة في كل منهما، وهو نهج يختلف نوعاً عن باقي الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، وهو أنَّ محور السَّنة الطّقسيَّة فيهما هو عيد القيامة، فهو الزَّمن الطّقسي الواضح في كليهما. لأنَّ مسار السَّنة الطّقسيَّة في الكنيستين القبطيَّة والبيزنطيَّة يركّز في لاهوته وليتورجيَّته على سر الفداء الذي تم بالصَّليب والقيامة.

الزَّمن الطَّقسي الأوَّل

بدء السَّنة اللِّيتورجيَّة

في الكنيسة القبطيَّة

تبتدئ السَّنة الطَّقسيَّة القبطيَّة بعيد التَّيروز يوم أوَّل توت/ ١١ سبتمبر. وكان الاحتفال بالعيد كبداية للتَّقويم المسيحي قد بدأ بعد انتهاء عصر الاستشهاد في أيام الدَّولة الرُّومانية الوثنيَّة.

وتبدأ السَّنة اللِّيتورجيَّة القبطيَّة بالطِّلبة إلى الله أن يبارك إكليل السَّنة بصلاحه، ويبارك الأنهار والعيون والزُّروع والثِّمار، وهي طلبة تقليديَّة تعرفها بعض الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، في بداية السَّنة الطَّقسيَّة.

وكذلك تقديم الشُّكر لله في هذا اليَوم، وهو تقليد يعرفه الشَّرق أيضاً، ومستمَد من تقليد يعود إلى المجمع اليهودي القديم الذي كان يعيِّد في هذا اليَوم بعيد الأبواق، مقدِّماً لله فيه تسابيح الشُّكر[٨].

وفي هذا اليَوم أيضاً تذكار دخول يسوع إلى مجمع اليهود في النَّاصرة حينما دُفع إليه سفر إشعياء النَّبي ليقرأ، ففتحه ووجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه «روح الرَّب عليَّ لأنه مسحني لأبشِّر المساكين ...» (لوقا ٤: ١٤-٣٠). وهو نفس ما تعرفه الكنيسة البيزنطيَّة أيضاً في بداية سنتها اللِّيتورجيَّة.

وإن كان طقس هذا اليَوم الأوَّل من السَّنة اللِّيتورجيَّة، وهو نفسه بدء السَّنة القبطيَّة، لا يشير في شئ منه إلى الشُّهداء، إلاَّ أنَّ الكنيسة قد خصَّصت ثاني يوم من شهر توت، وأيضاً الأحد الأوَّل من شهر توت،

٨- انظر: أخبار الأيام ص ٢٣، العدد ص ٢٩

أوَّل شهور السَّنة الطَّقسيَّة، ليكونا هما يوم الاحتفال بعيد القدِّيس يوحنا المعمدان، شهيد الحق، والذي يحتل مكاناً سامياً في الطَّقس القبطي، فكل القراءات تدور حوله في هذين اليَومين.

ويتَّضح لنا من فصول قراءات الآحاد في شهر توت توقُّف فصل إنجيل القيامة في رفع بخور باكر، حيث تبدأ فصول أناجيل رفع بخور باكر مع الأحد الأوَّل من شهر بابه – وهو الشَّهر الثَّاني من التَّقويم القبطي – لتوصل ما انقطع، فتورد فصل قيامة الرَّب من بين الأموات، وهو الفصل الذي يمتد إلى الأحد الرَّابع والأخير من شهر هاتور، حين تتوَّقف قراءة فصل إنجيل القيامة ليبدأ زمن طقسي جديد مع أوَّل شهر كيهك.

وفي الحقيقة فإنه بدراسة متأنية لما تحويه مخطوطات ترتيب البيعة والتي ظلَّت تدوَّن نساخة من جيل إلى جيل حتى إلى أوائل القرن العشرين، نعرف أنَّ الاحتفال بعيد النَّيروز هو ليوم واحد – كما هو الحال حتى اليَوم في الكنيسة البيزنطيَّة أيضاً – وبالطَّقس السَّنوي. أمَّا الاحتفال بالطَّقس الفرايحي لمدَّة ستَّة عشر يوماً حتى إلى يوم عيد الصَّليب في السَّابع عشر من شهور توت، فهو طقس مستحدث لا تسنده فصول القراءات الكنسيَّة، ولا كُتُب الصَّلوات في الكنيسة، ولا التَّرتيب اللِّيتورجي في هذه الفترة. وهو ما سأشرحه بتفصيل في وقته من هذا الكتاب الذي بين يديك.

إلاَّ أنَّ هذا الزَّمن الطَّقسي الأوَّل يمتد في الحقيقة حتى نهاية شهر هاتور أي إلى ثلاثة شهور قبطيَّة يتخلَّلها الاحتفال بعيد الصَّليب في السَّابع عشر من توت، وبدء صوم الميلاد في ١٦ هاتور/ ٢٥ نوفمبر أي قبل حلول شهر كيهك بأسبوعين، والذي يوافق حلوله يوم ١٠ ديسمبر.

في الكنيسة البيزنطيَّة

تبدأ السَّنة الطَّقسيَّة فيها في أوَّل أيلول (سبتمبر)[٩]، وتُسمى السَّنة الجديدة "الإندكتيون"، أو "الإنديقتي"[١٠]، وتطلب الكنيسة البيزنطيَّة في هذا اليَوم من الرَّب اعتدال الأهوية ونزول الأمطار وخصب الأرض وما إلى ذلك. وتقدِّم الكنيسة تسابيح الشُّكر لله في بداية السَّنة. وهو أيضاً تذكار دخول يسوع إلى مجمع اليهود.

وفي هذا اليَوم تُرتِّل الكنيسة طروباريَّة باللَّحن الثَّاني تقول: "يا مبدع الخليقة بأسرها، يا من وضعت الأوقات والأزمنة بذا سلطانك، بارك إكليل السَّنة بصلاحك يارب، واحفظ بالسَّلامة الملوك ومدينتك، بشفاعات والدة الإله وخلِّصنا".

وفي ١٤ أيلول (سبتمبر) تحتفل الكنيسة البيزنطيَّة بعيد "رفع الصَّليب المحيي في كل العالم"[١١]، ويستمر الاحتفال به لمدَّة سبعة أيام حيث يُودَّع

٩- تبدأ السَّنة اليهودية الحاليَّة في أوَّل أيلول (سبتمبر) أيضاً.

١٠- كان قياصرة روما يفرضون على رعاياهم جزية عامة لأجل نفقات الجنود، وكانت توزَّع هذه الجزية على جميع الولايات الرُّومانيَّة، وتُدفع كل سنة. وكان يتكرَّر الأمر بقيمتها كل خمس عشرة سنة، وهي مدَّة بقاء الجنود الرُّومانيِّين في الخدمة العسكريَّة، طبقاً لما يمكن أن يحدث من تغيُّر الأحوال خلال هذه الفترة. وكان الأمر القيصري بفرض هذه الجزية قبل الشِّتاء ببرهة وجيزة يُسمى "إندكشيو" Indictio أي "حد أو إعلام الجزية". أمَّا ملوك القسطنطينيَّة فترجموا هذه اللَّفظة إلى اليونانيَّة بلفظة "إنديكتيون" Indiction وحفظوا استعمالها. وتُرجمت إلى العربيَّة "إندقتي".

١١- هذا هو العيد الأوَّل للصَّليب، وهو عيد اكتشاف الصَّليب المجيد بواسطة الملكة هيلانه أم الإمبراطور قسطنطين الكبير في سنة ٣٢٥م. وقد أُخذ جزء من هذا الصَّليب المقدَّس إلى القسطنطينيَّة للتبرُّك به، وظلَّ الجزء الباقي في أورشليم حتى سنة ٦١٤م، حين أخذه الفُرس إلى بلادهم بعد غزوهم لفلسطين. وكان الإمبراطور هرقل قد أعاده سنة ٦٢٨م بعد أن انتصر عليهم، حيث حمل الصَّليب على كتفيه ودخل به إلى

عيد الصَّليب في يوم ٢١ من هذا الشَّهر، فتُرتَّل فيه كل خدمة العيد مرَّة أخرى.

في الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكيَّة

بدء السَّنة الطَّقسيَّة يكون مع "أحد تجديد البيعة"، وبداية هذا الزَّمن الطَّقسي يكون يوم الأحد الذي يقع بين ٣٠ أكتوبر (تشرين أوَّل) و٥ نوفمبر (تشرين ثان). وهو يمتد إلى أربعة أسابيع كاملة. ونشير هنا إلى أنَّ "زمن تقديس البيعة" في الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة (الآشوريَّة) - وهو أربعة أسابيع أيضاً - هو الزَّمن الذي تنتهي به السَّنة الطَّقسيَّة الآشوريَّة، في حين تبتدئ به السَّنة اللِّيتورجيَّة في الكنيسة السِّريانيَّة الغربيَّة (الأنطاكيَّة).

في الكنيسة الآشوريَّة

تنبني السَّنة الطَّقسيَّة في الكنيسة الآشوريَّة على ما يُسمى "مدبرانوثا" أي "التَّدبير الخلاصي" الذي أكمله السيِّد المسيح بتجسُّده وحتى مجيئه الثَّاني. وتُقسَّم الأزمنة الطَّقسيَّة الآشوريَّة إلى "شاووعي" أو "سباعيَّات" تتفاوت مدَّتها بين سبعة وأربعة أسابيع، وتبدأ دائماً يوم أحد. فإن وقع بداية الزَّمن الطَّقسي يوم أحد، يكون هو الأحد الأوَّل لهذا الزَّمن. وإذا وقع في يوم آخر من أيام الأسبوع، يكون الأحد التَّالي مباشرة هو الأحد الأوَّل لهذا الزَّمن.

والأزمنة الطَّقسيَّة الآشوريَّة تُنظَّم حول تاريخ عيد الفصح بالدَّرجة الأولى، ويليه عيدي الميلاد والدِّنح (الغطاس).

وبدء السَّنة الطَّقسيَّة الآشوريَّة وهو "زمن البشارة" يكون في الأحد

القسطنطينيَّة، وهذا هو العيد الثَّاني للصَّليب.

الرَّابع قبل الميلاد، ويقع فيما بين ٢٧ تشرين ثان (نوفمبر) و٣ كانون أوَّل (ديسمبر)، حيث يكون عيد الميلاد في ٢٥ كانون أوَّل (ديسمبر). ويمتد هذا الزَّمن الطِّقسي إلى أسبوع أو أسبوعين بعد عيد الميلاد.

في الكنيسة الأرمينيَّة

بدء السَّنة الطِّقسيَّة فيها يقع في ٦ كانون ثان/ يناير، أي في يوم "عيد الظُّهور الإلهي" وهذا هو بنوع ما، تراث الكنيسة الأولى والذي بقي محفوظاً إلى حد كبير في الكنيسة الأرمينيَّة. وقد يمتد هذا الزَّمن إلى عشرة آحاد متتالية، لكنه يفصل - مثل بعض الطُّقوس الشَّرقيَّة الأخرى - بين الآحاد التي تلي عيد الظُّهور عن الآحاد التي تسبق الصَّوم. وهذا هو الزَّمن الأوَّل للكنيسة الأرمينيَّة.

في الكنيسة المارونيَّة

بدء السَّنة اللِّيتورجيَّة عندها هو زمن يمتد إلى أربعة أسابيع تنتهي بـ "أحد تقديس البيعة" وهذه الآحاد الأربعة هي: الأحد الأوَّل من تشرين أوَّل/ أكتوبر "أحد الورديَّة الكبير"[١٢]. الأحد الثَّاني "أحد المسيح الملك"[١٣]. الأحد الثَّالث "أحد تجديد البيعة". الأحد الرَّابع "أحد

١٢- "أحد الورديَّة" هو طقس لاتيني عُرف في الغرب أولاً في القرن الثَّالث عشر، ولاسيَّما في روما. ورسم البابا بيوس الخامس (١٥٧١م) أن يكون عيد خاص بالسيِّدة العذراء سُمِّي "عيد سيِّدة الورديَّة" في الأحد الأوَّل من تشرين أوَّل/ أكتوبر. ودخل هذا العيد إلى الكنيسة المارونيَّة بعد ذلك. وتجمع الكنيسة المارونيَّة في طقسها مزيجاً من الطَّقس السِّرياني والطَّقس اللاتيني. وهذا الأخير لا يدخل في صميم دراستنا منعاً من التَّشعُّب. أمَّا كلمة "وردية" فدلالة على طهارة العذراء وبراءتها من الخطيئة الأصليَّة، كما أنَّ الورد من الشَّوك وهو برئ منه. وهي عقيدة كاثوليكيَّة لا تؤمن بها الكنائس الأرثوذكسيَّة.

١٣- هو عيد حديث، أمر بالاحتفال به البابا بيوس الحادي عشر في كانون أوَّل/ ديسمبر سنة ١٩٢٥م.

تقديس البيعة". والأحدان الأخيران يسبقان مباشرة السِّتة آحاد التي تسبق عيد الميلاد في الطَّقس الماروني[١٤].

الزَّمنان الطَّقسيَّان الثَّاني والثَّالث

زمن أعياد الظُّهور الإلهي

في الكنيسة القبطيَّة

يتَّضح هذا الزَّمن اللِّيتورجي مع أوَّل شهر كيهك/ ١٠ ديسمبر، وهو يحوي أربعة أحاد كاملة تمهِّد لعيد الميلاد، ويُحتفل فيه بالطَّقس الكيهكي والسَّهَرات اللَّيليَّة التي تمتد من عشيَّة السَّبت إلى صباح الأحد، حيث يُختم السَّهَر اللَّيلي بالقدَّاس الإلهي.

والآحاد الأربعة التي تسبق عيد الميلاد هي:

- أحد بشارة الملاك جبرائيل لزكريا بميلاد يوحنا المعمدان.
- أحد بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بميلاد السيِّد المسيح.
- أحد زيارة العذراء مريم لأليصابات.
- أحد ميلاد يوحنا المعمدان.

ثم يأتي عيد الميلاد وهو يقع في ٢٨ أو ٢٩ كيهك/ ٧ يناير، ويُحتفل به بلحن الفرح حتى يوم ٣٠ من كيهك/ ٨ يناير. ويمتد الطَّقس الفرايحي ليشمل الفترة الواقعة ما بين عيد الميلاد وعيد الختان في اليوم الثَّامن للميلاد أي في ٦ طوبة/ ١٤ يناير[١٥]. ثم يعود الطَّقس بعد عيد الختان إلى

١٤- إذا وقع أوَّل تشرين ثان/ نوفمبر يوم أربعاء أو ما بعده إلى الأحد، كان أحد التَّجديد ثم أحد التَّقديس، وإذا وقع يوم اثنين أو ثلاثاء كان أحد التَّقديس فقط.

١٥- قراءات الأحد الأوَّل من شهر طوبة في الطَّقس القبطي تدور حول هروب السيِّد المسيح إلى مصر مع مريم أمه ويوسف النَّجَّار وسالومي.

اللّحن السَّنوي المعتاد حتى إلى برامون الغطاس في ١٠ طوبة/ ١٨ يناير. ثم يأتي عيد الغطاس في ١١ طوبة/ ١٩ يناير، ويُحتفل فيه بلحن الفرح لمدَّة ثلاثة أيام تُختتم بعيد عرس قانا الجليل في ١٣ طوبة/ ٢١ يناير[١٦]. ثم يعود الطَّقس إلى اللّحن السَّنوى المعتاد مرَّة أخرى.

وفي هذه الفترة اللّيتورجيَّة تدور أناجيل الآحاد حول شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح أنه ابن الله الآتي إلى العالم (يوحنا ٣:٢٢- ٣٦)، وحول حدث معموديَّة الرَّب. فيُقرأ إنجيل لقاء المسيح مع نيقوديموس والحديث عن الميلاد الفوقاني (يوحنا ٣:١- ٢١) في باكر الأحد الثّالث من طوبة. وشفاء المولود أعمى والذي يرمز إلى المعموديَّة كما فسَّر آباء الكنيسة (يوحنا ٩:١- ٣٨) في إنجيل الأحد الرَّابع من طوبة. أمَّا أناجيل آحاد شهر أمشير ففيها يعلن المسيح عن نفسه أنه هو نور العالم، والخبز الحي النَّازل من السَّماء، وماء الحياة[١٧].

وينتهي هذا الزَّمن مع أحد رفاع صوم نينوى[١٨]. وهي فترة ذات بداية محدَّدة تبدأ مع أوَّل شهر كيهك، ونهاية غير محدَّدة تتأرجح بين ١٧ طوبة/ ٢٥ يناير و٢٠ أمشير/ ٢٧ فبراير، طبقاً لوقت وقوع صوم نينوى والذي يسبق بدء الصَّوم المقدَّس الكبير بأسبوعين دائماً.

١٦- وهو يوافق أيضاً عيد استشهاد القدِّيسة العفيفة دميانه عروسة المسيح.

١٧- يوحنا ٨:٥١- ٥٩ ، ٦:٢٢- ٢٧ ، ٣:١٧- ٢١ ، ٦:٥- ١٤ ، ١٢:٤٤- ٥٠ ، ٦:٢٧- ٤١ ، ٦:٤٧- ٥٨

١٨- في هذه الفترة تحتفل الكنيسة القبطيَّة بكثير من أعياد القدِّيسين، ومن بينها:
- عيد القدِّيسَين مكسيموس ودوماديوس في ١٧ طوبة/ ٢٥ يناير.
- عيد نياحة السيِّدة العذراء في ٢١ طوبة/ ٢٩ يناير.
- عيد نياحة الأنبا أنطونيوس في ٢٣ طوبة/ ٣١ يناير.
- شهادة الـ ٤٩ شيخاً شيوخ برية شهيت في ٢٦ طوبة/ ٣ فبراير.

في الكنيسة البيزنطيَّة

لا أثر واضح لزمن طقسي لعيدي الميلاد أو الغطاس، إلاّ أنّ التّقليد البيزنطي يشير إلى الزّمن التّحضيري لعيد الميلاد بعيدين مهمَّين:

- الأوَّل؛ هو عيد القدِّيسة حنَّة أم والدة الإله، ويقع في ٩ كانون أوَّل/ أكتوبر، وتتمحور صلوات هذا العيد حول تحقيق النبوَّات بالحبل المريمي.

- والثّاني؛ هو عيد الأجداد القدِّيسين، وهو الأحد الذي يسبق مباشرة عيد الميلاد. فإذا وقع في يوم ١٨ كانون أوَّل/ ديسمبر، وإلاّ ففي أوَّل أحد يأتي بعده، ويقام فيه تذكار جميع الذين أرضوا الرَّب منذ الدَّهر من آدم إلى خطيب والدة الإله الفائقة القداسة، وكذلك تذكار الأنبياء والنبيَّات ولاسيَّما دانيال النَّبي والثّلاثة فتيه القدِّيسين[١٩].

على أنّ الكنيسة البيزنطيَّة تعيِّد في هذه الفترة لأعياد تختص بقدِّيسين من الكنيسة القبطيَّة هي:

- عيد القدِّيس الأنبا أنطونيوس ١٧ كانون ثان/ يناير[٢٠].
- عيد البابا أثناسيوس الرَّسولي، والبابا كيرلس الكبير ١٨ كانون

١٩- تعلّل الكنيسة البيزنطيَّة ذلك، بأنّ الثّلاثة فتية خرجوا من الأتون و لم يكن على ملابسهم أثر لرائحة النَّار، وكان ذلك رمزاً لولادة البتول التي لم يخامرها فساد. فإنّ البتول تقبَّلت نار اللاهوت و لم تلتهب أحشاؤها، و لم تزل بتولاً كما كانت قبل الولادة أيضاً. والثّلاثة فتية ودانيال وهم من سبط يهوذا الذي كان منه المسيح بحسب الجسد سبقوا ورسموا صورة تجسُّد المسيح وأخبروا به.

٢٠- وله طروباريَّتان في هذا العيد: الأولى باللّحن الرَّابع وتقول: "لقد ماثلت إيليا الغيور في أحواله، وتبعت المعمدان في مناهجه القويمة، فحصلت في البريَّة ساكناً، وللمسكونة بصلواتك مشدِّداً أيها الأب أنطونيوس، فتشفَّع إلى المسيح الإله أن يخلِّص نفوسنا". وأخرى باللّحن الثّاني تقول: "لقد أقصيت الاضطرابات العالميَّة، قضيت حياتك في الهدوء والسَّكينة، مماثلاً المعمدان في جميع الأحوال يا كُلّي البر، فمعه إذاً نكرِّمك يا أبا الآباء أنطونيوس".

ثان/ يناير[٢١].

- عيد القدِّيس مقاريوس الكبير ١٩ كانون ثان/ يناير[٢٢].

في الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى

ينقسم هذا الزَّمن الطَّقسي في الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى إلى زمنين مستقلَّين واضحين، وهما الزَّمنان الثَّاني والثَّالث بحسب سنتهم اللِّيتورجيَّة.

الزَّمن الطَّقسي الثَّاني: زمن البشارة.

الزَّمن الطَّقسي الثَّالث: زمن الدِّنح (أي الظُّهور الإلهي).

الزَّمن الطَّقسي الثَّاني: زمن البشارة

وهو في **الكنيسة السِّريانيَّة** يتضمَّن خمسة أسابيع تحضيريَّة تحوي ستَّة آحاد، وتسبق عيد الميلاد. وهناك علاقة مباشرة بين هذه الآحاد السِّتة وحدث الميلاد البتولي. ويكون العيد هو نهاية هذا الزَّمن. والفترة الواقعة بين عيدي الميلاد والغطاس هي على قصرها تحوي أعياداً سيِّديَّة كثيرة.

وتشترك **الكنيسة المارونيَّة** في نفس هذا التَّرتيب السَّابق مع الكنيسة السِّريانيَّة. وهذه السِّتة آحاد قبل الميلاد هي:

- الأحد الأوَّل: أحد بشارة زكريا.
- الأحد الثَّاني: أحد بشارة السيِّدة العذراء.
- الأحد الثَّالث: أحد زيارة العذراء لنسيبتها أليصابات.

٢١- تعيِّد الكنيسة البيزنطيَّة مرَّة أخرى للبابا أثناسيوس الرَّسولي في ٢ أيار/ مايو، وهو تذكار نقل جسده. وتعيِّد لنياحة البابا كيرلس الأوَّل عامود الدِّين في ٩ حزيران/ يونيو.

٢٢- وله طروباريَّة باللَّحن الأوَّل تقول: "ظهرت في البريَّة مستوطناً وبالجسم ملاكاً، وللعجائب صانعاً، وبالأصوام والأسهار والصَّلوات، تقبَّلت المواهب السَّمائيَّة، فأنت تشفي السُّقماء ونفوس المبادرين إليك بإيمان، يا أبانا المتوشِّح بالله مكاريوس، فالمجد لمن وهبك القوَّة، المجد للذي توَّجك، المجد للفاعل بك الأشفية للجميع".

- الأحد الرَّابع: أحد ميلاد يوحنا المعمدان.
- الأحد الخامس: أحد بيان القدِّيس يوسف[٢٣].
- الأحد السَّادس: أحد النِّسبة[٢٤]، وهو الاستعداد لميلاد الرَّب.

ويلاحظ القارئ العزيز أنَّ الأربعة آحاد الأولى هي نفس ترتيب الآحاد التي تسبق عيد الميلاد في الطَّقس القبطي. وأنَّ الأحد الذي خصَّصته الكنيسة السِّريانيَّة لنسب السيِّد المسيح بالجسد، يرد في الطَّقس القبطي في إنجيل عشيَّة عيد الميلاد.

أمَّا الأحد التَّالي مباشرة لعيد الميلاد في الكنيسة المارونيَّة فهو أحد وجود الرَّب يسوع في الهيكل. ويخصِّص السِّنكسار الماروني اليَوم التَّالي مباشرة لعيد الميلاد ٢٦ كانون أوَّل/ ديسمبر لتهنئة السيِّدة العذراء الفائقة القداسة.

وكما سبق أن ذكرتُ فإنَّ زمن البشارة هو الزَّمن الذي تبدأ به **الكنيسة الآشوريَّة** سنتها الطَّقسيَّة، ولكنَّه هو الزَّمن الثَّامن والأخير الذي تنهي به **الكنيسة الأرمينيَّة** سنتها اللِّيتورجيَّة.

الزَّمن الطَّقسي الثَّالث: زمن الدِّنح

والدِّنح لفظة سريانيَّة تعني الظُّهور أو الإشراق، أي الظُّهور الإلهي في عيد الإبيفانيا.

في الكنيسة السِّريانيَّة الأنطاكية

يبدأ بعيد الغطاس في ٦ كانون ثان/ يناير، ويُقسَّم هذا الزَّمن إلى

٢٣- أي تبيُّن القدِّيس يوسف لحقيقة أنَّ حبل السيِّدة العذراء هو بالرُّوح القُدُس من خلال الرُّؤيا التي ظهرت له (متى ١: ٢٠).

٢٤- وهو سرد لنسب السيِّد المسيح كما جاء في الأناجيل المقدَّسة (القدِّيسَين متى ولوقا).

قسمين: القسم الأوَّل يمتد إلى خمسة آحاد متتالية تتقلّص أحياناً إلى أحد واحد حسب زمن وقوع بداية الصَّوم الكبير. أمَّا القسم الثّاني والذي يبدأ بعد أسابيع الدِّنح فهو ثلاثة أسابيع بثلاثة آحاد، وهي أسابيع تـــذكارات المنتقلين من الكهنة والأحبار والقدِّيسين والمؤمنين.

وبعبارة أوضح، يمتد زمن الدِّنح من الأحد السَّابق لعيد الـــدِّنح إلى الأحد الأوَّل من الصَّوم. وإذا صادف وقوع أحدين بين الميلاد والـــدِّنح فيُسمَّى الأحد الثّاني منهما أحد ما قبل الدِّنح. وتكون صلوات هذا الأحد باللّحن الأوَّل، ويتبعه عيد الدِّنح باللّحن الثّاني وتتوالى ألحـــان الآحـــاد اللاحقة والتي تتراوح بين ثلاثة أو ثمانية آحاد. ومهما يكن عدد الآحـــاد على مدار السِّنين، فالأحدان الأخيران مكرَّسان لذكر الموتى مع الأسابيع الثّلاثة التي تضمُّها مع تركيز خاص على يوم الجمعة من هذه الأســـابيع. وفي مطلع الأسبوع الأوَّل منها يُذكر صوم نينوى الذي يمتد إلى ثلاثة أيام.

وفيما يلي سرد بتسلسل آحاد زمن الدِّنح التَّالية لعيد الغطاس حسب الطَّقس السِّرياني الغربي (الأنطاكي):

- الأحد الأوَّل[٢٥]: يوحنا المعمدان يعلن عن المسيح لتلاميذه.
- الأحد الثّاني[٢٦]: تلاميذ يسوع الأُوَل.
- الأحد الثّالث[٢٧]: يوحنا وأعمال يسوع يشهدون له.
- الأحد الرَّابع[٢٨]: دعوة الفقراء إلى موائدنا كوصيَّة يسوع.
- الأحد الخامس[٢٩]: يسوع خبز الحياة ومعطي القيامة.

٢٥- يوحنا ١:٢٩- ٤١
٢٦- يوحنا ١:٤٣- ٥١
٢٧- يوحنا ٥:٣٠- ٤٧
٢٨- لوقا ١٤:١٢- ١٥
٢٩- يوحنا ٦:٣٩- ٥٢

- الأحد السَّادس[٣٠]: قلّة الإيمان تُحد من عجائب يسوع.
الإثنين من صوم نينوى[٣١]: الخطيئة هي ضد السُّلوك بالرُّوح.
الثُّلاثاء من صوم نينوى[٣٢]: الإلحاح في الصَّلاة.
الأربعاء من صوم نينوى[٣٣]: ملكوت الله ومجيء ابن الإنسان.
- جمعة الكهنة[٣٤]: الوكيل الأمين.
- أحد الكهنة[٣٥]: مثل الوزنات.
- جمعة الموتى والغرباء[٣٦]: الدَّينونة العامة.
- أحد الموتى[٣٧]: السَّهَر، ومثل الوكيل الأمين.
- جمعة الموتى المؤمنين[٣٨]: قيامة الموتى والصدِّيقين.

وتنهج الكنيسة المارونيَّة نهج الكنيسة السِّريانيَّة في هذا الزَّمن الطَّقسي.

في الكنيسة السِّريانيَّة الشَّرقيَّة (الآشوريَّة)

يُسمَّى هذا الزَّمن عندها "دنحا" أي الظُّهور، ويبدأ سابوع الـدِّنح فيها في ٦ كانون ثان/ يناير، وهو عيد الغطاس[٣٩]، ويمتد مـن خمسـة أسابيع إلى سبعة أسابيع، ونادراً ثمانية أسابيع حيث ينتهي بعشيَّة الصَّـوم

٣٠- مرقس ٦:١- ٦
٣١- متى ١٢:٣١- ٤١
٣٢- لوقا ١١:٥- ١٣:٢٩- ٣٢
٣٣- لوقا ١٧:٢٠- ٣٧
٣٤- لوقا ١٢:٤٢- ٤٨
٣٥- متى ٢٥:١٤- ٣٠
٣٦- متى ٢٥:٣١- ٤٦
٣٧- لوقا ١٢:٤٢- ٤٠
٣٨- مرقس ١٢:١٨- ٢٧
٣٩- يقع عيد الغطاس في كل الكنائس الشَّرقيَّة في ٦ كانون ثان/ يناير، أمَّا عنـد الأقباط فيُزاد ١٣ يوماً وهو فارق التَّقويم اليولياني الذي تتبعه الكنيسة القبطيَّـة عـن التَّقويم الغريغوري الذي تتبعه الكنائس الأخرى.

المقدَّس الكبير. وتدور معاني الصَّلوات حول معموديَّة الرَّب يسوع وأبعادها الرُّوحيَّة. وعن حياة السيِّد المسيح على الأرض. والقراءات في الطَّقس الآشوري هي مجموعة نصوص من أسفار مختلفة من العهدين القديم والجديد تخدم موضوعاً بعينه. وهذا الزَّمن في الكنيسة الآشوريَّة هو الزَّمن الثَّاني فيها حيث تبدأ السَّنة الطَّقسيَّة الآشوريَّة - كما سبق أن ذكرتُ - بزمن البشارة.

في الكنيسة الأرمينيَّة

يعتبر زمن الغطاس هو الزَّمن الأوَّل لهذه الكنيسة حيث تبدأ سنتها الطَّقسيَّة في ٦ كانون ثان/ يناير، وهو عيد الظُّهور الإلهي. ويمتد هذا الزَّمن إلى عشرة آحاد متتالية لكنَّه يفصل بين الآحاد التي تلي عيد الظُّهور، عن الأسابيع التي تسبق الصَّوم المقدَّس الكبير.

الزَّمن الطَّقسي الرَّابع

زمن الصَّوم المقدَّس الكبير وأسبوع البَصخة المقدَّسة

وهو يتألَّف في كل الطُّقوس من أربعين يوماً فيما عدا الطَّقس القبطي فهو ٤٧ يوماً يعقبه مباشرة أسبوع البَصخة المقدَّسة في جميع الطُّقوس. ولقد أخذت آحاد الصَّوم الكبير أسماء مميِّزة لها في كل الطُّقوس، على خلاف آحاد الخمسين المقدَّسة التي لا تُدعى بأسماء محدَّدة.

وزمن الصَّوم الكبير غني في روحانيَّاته وطقسه وألحانه. وما يلفت النَّظَر هو اتفاق كثير من الكنائس الشَّرقيَّة على أسماء آحاد الصَّوم، ممَّا يرجِّح قِدم وجودها في الكنيسة الجامعة قبل زمن الانشقاق في القرن

الخامس الميلادي.

ويُسمَّى الأحد السَّابع في جميع الطُّقوس الشَّرقيَّة - باستثناء الكنيسة البيزنطيَّة - "أحد الشَّعانين" وهو الأحد الذي يسبق أسبوع البَصخة المقدَّسة مباشرة. واسمه في الكنيسة القبطيَّة هو "الأحد السَّابع" برغم وجود أسبوع زائد في الطَّقس القبطي عن باقي الطُّقوس الشَّرقيَّة، وذلك بسبب أنَّ الأحد الذي يسبق الصَّوم مباشرة لا يُسمَّى عند الأقباط "الأحد الأوَّل" كما في باقي الطُّقوس، بل يُدعى "أحد الرِّفاع"، أو "أحد الاستعداد"(٤٠). أمَّا الأحد الأوَّل من الصَّوم في الكنيسة البيزنطيَّة فيُسمَّى "أحد مرفع الجبن" وهو تذكار نفي آدم من الفردوس، ولأنَّ مدَّة الصَّوم في الكنيسة البيزنطيَّة أربعين يوماً فقط، فأحد الشَّعانين فيها هو الأحد السَّادس من الصَّوم.

في الكنيسة القبطيَّة

هذا الزَّمن تبدأ تباشيره مع أوَّل أيام صوم نينوى الذي يمتد لثلاثة أيام فقط. وبداية صوم نينوى تتأرجَّح جيئةً وذهاباً في حدود الفترة الواقعة ما بين ١٨ طوبة/ ٢٦ يناير و٢١ أمشير/ ٢٨ فبراير. وبعد أسبوعين يكون أحد رفاع الصَّوم المقدَّس الكبير، وهو الأحد الذي لا يمكن أن يقع قبل أوَّل أمشير/ ٨ فبراير، ولا بعد ٤ برمهات/ ١٣ مارس.

٤٠- هنا أودُّ أن أشير إلى أنَّ قطمارس الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنيسة القبطيَّة حين لا يذكر أحد الرِّفاع باسم الأحد الأوَّل من الصَّوم، فإنه يذكر الأيام التَّالية له باسم "يوم (كذا) من الأسبوع الأوَّل من الصَّوم"، وبعد ذكره "يوم السَّبت من الأسبوع الأوَّل من الصَّوم" يذكر "الأحد الأوَّل من الصَّوم". وهنا حدث خلط، لأنَّ أيام الأسبوع الأوَّل من الصَّوم تتبع بالضَّرورة الأحد الأوَّل من الصَّوم، والذي هو "أحد الرِّفاع" في هذه الحالة وليس الأحد التَّالي له، والذي سُمِّي الأحد الأوَّل. وهكذا في باقي أسابيع الصَّوم. وهذه الملاحظة مهمَّة للغاية لأنَّ مضمون قراءات أيام الأسبوع يرتبط بمضمون قراءات الأحد السَّابق لهذا الأسبوع وليس الأحد التَّالي له.

وينتهي الصَّوم الكبير يوم "جمعة ختام الصَّوم" كما في باقي الطُّقوس الشَّرقيَّة، ويعقبه أسبوع البَصخة المقدَّسة الذي ينتهي مع انتهاء صلوات "يوم الجمعة العظيمة" حيث يبدأ "سبت الفرح" أو "سبت النُّور". والأحد التَّالي مباشرة هو "عيد القيامة" الذي ينحصر في الفترة الواقعة بين ٢٧ برمهات/ ٥ أبريل و٣٠ برمودة/ ٨ مايو. فهو زمن يمتد ٦٩ يوماً.

أمَّا أسماء آحاد الصَّوم الكبير فهي:
- أحد الرِّفاع: ويليه الأسبوع الأوَّل من الصَّوم.
- الأحد الأوَّل: وليست له تسمية طقسيَّة.
- الأحد الثَّاني: التَّجربة على الجبل.
- الأحد الثَّالث: الابن الشَّاطر.
- الأحد الرَّابع: المرأة السَّامريَّة، ويُسمى "أحد النِّصف".
- الأحد الخامس: المخلَّع، أو شفاء المفلوج.
- الأحد السَّادس: المولود أعمى، ويُسمَّى أيضاً "أحد التَّناصير".
- الأحد السَّابع: أحد الشَّعانين.

وبحسب قوانين المجامع الكنسيَّة في الشَّرق، يكون الاحتفال بتذكارات القدِّيسين محصوراً في سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير فقط دون أيامه التي تُخصَّص للتَّوبة والتَّذلل أمام الله. والكنيسة القبطيَّة - من خلال قراءات وطقوس وصلوات سبوت وآحاد الصَّوم - تُبرز في مزج بديع فريد بين شخص السيِّد المسيح له المجد، وأفعاله الماسيَّانيَّة التي قدَّمها للبشريَّة ليشفي بها طبيعتها الإنسانيَّة الخاطئة الضَّعيفة ويعيدها إلى بهائها الأوَّل، وبين تذكارات القدِّيسين التي لا تغفل ذكرها في سبوت وآحاد الصَّوم حين يُقرأ السِّنكسار الجامع لسير القدِّيسين في هذين اليومين فقط دون بقيَّة أيام الأسبوع على مدى الصَّوم.

وجدير بالذِّكر أنَّ القدَّاس الإلهي يُقام حالياً في الكنيسة القبطيَّة على مدى آحاد وأيام الصَّوم الكبير كلِّه، أمَّا في الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، فيُقام القدَّاس يوم الأحد فقط. وفي يومي الأربعاء والجمعة، لا يُقام فيهما قدَّاسات، ويُكتفي للتَّناول فيهما بالقُدسات السَّابق تقديسها [٤١].

وتتَّفق أحداث أيام أسبوع البَصخة المقدَّسة في كل الطُّقوس لأنها أحداث كتابيَّة تتتبَّع الكنيسة فيها السَّاعات الأخيرة للمخلِّص على الأرض:

- يوم الاثنين: لعنة الرَّب لشجرة التِّين غير المثمرة، رمز الحياة المورقة بلا ثمر.
- يوم الثُّلاثاء: أمثلة الرَّب عن ضرورة السَّهَر الرُّوحي، لاستقبال العريس السَّماوي.
- يوم الأربعاء: خيانة يهوذا للرَّب، وسكب المرأة للطِّيب على رأس المخلِّص لتكفينه.
- يوم الخميس: سر العشاء الأخير، وسر غسل الأرجل، وصلاة جسثيماني، سند الصَّليب.
- يوم الجمعة: يوم الصَّليب والفداء.

في الكنيسة البيزنطيَّة

تمهِّد الكنيسة البيزنطيَّة للصَّوم الكبير بأربعة آحاد سابقة له. وبإضافة آحاد الصَّوم السِّتة على هذه الآحاد التَّمهيديَّة يتكوَّن عشرة آحاد هي الزَّمن التِّريودي Triode .

والأربعة آحاد السَّابقة للصَّوم هي:

- أحد الفرِّيسي والعشَّار.

٤١- لتفصيلات أكثر شمولاً، انظر للمؤلِّف: كتاب "صوم نينوى والصَّوم المقدَّس الكبير"، ضمن سلسلة "طقوس أصوام وأعياد الكنيسة".

- أحد الابن الشَّاطر.
- أحد مرفع اللَّحم.
- أحد مرفع الجبن. وفيه تذكار نفي آدم.

أما آحاد الصَّوم الكبير فتُسمَّى:

- الأحد الأوَّل: أحد الأرثوذكسيَّة. وفيه تذكار تعليق الأيقونات المقدَّسة في الكنائس.
- الأحد الثَّاني: وفيه تذكار القدِّيس غريغوريوس بلاماس رئيس أساقفة تسالونيكي، وقد تحدَّد التَّعييد له بدءاً من سنة ١٣٦٨م.
- الأحد الثَّالث: عيد السُّجود للصَّليب المحيي.
- الأحد الرَّابع: تذكار القدِّيس يوحنا السُّلَّمي.
- الأحد الخامس: تذكار القدِّيسة مريم المصريَّة.
- الأحد السَّادس: أحد الشَّعانين.

ثم يأتي الأسبوع العظيم المقدَّس والذي ينتهي مع نهاية صلوات يوم الجمعة العظيمة. وهنا يتَّضح أنَّ آحاد الصَّوم في الكنيسة البيزنطيَّة تتمحور حول تذكارات القدِّيسين.

في الكنيسة السِّريانيَّة

تُسمَّى آحاد الصَّوم فيها بمسمَّيات قريبة في روحها من روح الطَّقس القبطي الذي يخصِّص آحاد الصَّوم لتذكارات كتابيَّة، يكون فيها السيِّد المسيح هو محورها.

- الأحد الأوَّل: أحد ذكر الموتى، وهو يسبق الصَّوم مباشرة.
- الأحد الثَّاني: شفاء الأبرص (لوقا ٥:١٢- ١٦).
- الأحد الثَّالث: شفاء المخلَّع (مرقس ٢:١- ١٢).
- الأحد الرَّابع: شفاء ابنة المرأة الكنعانيَّة.

- الأحد الخامس: نازل أريحا.
- الأحد السَّادس: شفاء المولود أعمي (مرقس ١٠:٤٦- ٥٢).
- الأحد السَّابع: أحد الشَّعانين.

ثم يعقب ذلك أسبوع البَصخة أي أسبوع الآلام الخلاصيَّة.

في الكنيسة المارونيَّة

الثَّلاثة أسابيع السَّابقة على الصَّوم تشكِّل وحدة في حد ذاتها مع ليتورجيَّتها الخاصة، وهي: أحد الكهنة[٤٢]، وأحد الأبرار والصدِّيقين، وأحد تذكار الموتى المؤمنين[٤٣]. أمَّا أسابيع الصَّوم فهي أسابيع العجائب، وتشكِّل في حد ذاتها وحدة ليتورجيَّة خاصة، ثم يأتي أحد الشَّعانين.

وأمَّا أسماء آحاد الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنيسة المارونيَّة فهي:

- الأحد الأوَّل: عُرس قانا الجليل.
- الأحد الثَّاني: شفاء الأبرص.
- الأحد الثَّالث: شفاء نازفة الدَّم.
- الأحد الرَّابع: الابن الشَّاطر.
- الأحد الخامس: شفاء المخلَّع.
- الأحد السَّادس: شفاء المولود أعمى.

٤٢- وهو لتذكار جميع الكهنة الذين رقدوا في الرَّب، وذلك لثقل المسئوليَّة الملقاة على عاتقهم، فتلتزم الكنيسة بالصَّلاة من أجلهم.

٤٣- وهو من بين التَّأثيرات الواضحة للطَّقس السِّرياني الأنطاكي على الطَّقس الماروني. وتعتز الكنيسة المارونيَّة بطقسها السِّرياني، وتجاهر به، وتثريه.

وتحتفل الكنيسة المارونيَّة أيضاً في يوم أوَّل تشرين ثان/ أكتوبر بتذكار جميع القدِّيسين، وفي يوم ٢ تشرين ثان/ أكتوبر بتذكار الموتى المؤمنين، وهما عيدان أنشأهما البابا بونيفاسيوس الرَّابع (٦٠٨- ٦١٥م) بابا روما. وفي سنة ٧٣١م خصَّص البابا غريغوريوس الثَّالث في كنيسة القدِّيس بطرس بروما مذبحاً لتكريم جميع القدِّيسين.

- الأحد السَّابع: أحد الشَّعانين.

وتبدأ قراءات الصَّوم الكبير في الكنيسة المارونيَّة بسفر التَّكوين من أوَّله، وهي في ذلك تشبه الطَّقس الأرمني.

في الكنيسة الآشوريَّة (النَّسطوريَّة)

ويتكوَّن زمن الصَّوم فيها من سبعة أسابيع كاملة متضمِّنة الأحد السَّابع وهو أحد الشَّعانين، ويعقبه أسبوع البَصخة حتى مساء السَّبت العظيم عند قدَّاس الغروب والذي يُعلن في بدايته قيامة المسيح.

وتركِّز قراءات آحاد الصَّوم الكبير على صوم الرَّب، وتذكِّر المؤمنين به، حاثة إياهم على الإقتداء به، مظهرة فضائل الصَّوم. وقد خصَّصت يوم الجمعة من أسابيع الصَّوم لتذكارات القدِّيسين، ويمتد زمن تذكارات القدِّيسين حتى إلى يوم الجمعة التَّاسعة بعد عيد الدِّنح (الغطاس).

في الكنيسة الأرمينيَّة

وتسميات آحاد الصَّوم الكبير فيها هي:
- الأحد الأوَّل: آدم وحواء في الجنَّة.
- الأحد الثَّاني: طرد آدم من الجنَّة.
- الأحد الثالث: عودة الابن الضَّال.
- الأحد الرَّابع: أحد الوكيل.
- الأحد الخامس: أحد القاضي.
- الأحد السَّادس: أحد الشَّعانين.

وقراءات أيام السُّبوت في الطَّقس الأرمني هي قراءات خاصة بتذكارات القدِّيسين لا ترتبط بقراءات الصَّوم الكبير إذ خصَّصت الكنيسة الأرمينيَّة أيام السُّبوت لذلك.

ويعقب الصَّوم الكبير أسبوع البَصخة حيث يخصِّص الطَّقس الأرمني الثَّلاثة أيام الأولى منه لتذكارات خلق العالم (الاثنين)، والعشر العذارى (الثُّلاثاء)، وخيانة يهوذا (الأربعاء).

إذاً فزمن الصَّوم الكبير هو الزَّمن الثَّاني في الطَّقس الأرمني، والثَّالث في الطَّقس الآشوري، والرَّابع في الطُّقوس القبطيَّة والسِّريانيَّة والمارونيَّة.

الزَّمن الطَّقسي الخامس

الخمسين المقدَّسة

وهو الزَّمن الذي يبدأ بعيد القيامة (عيد الفصح)، وينتهي بعيد حلول الرُّوح القُدُس (عيد العنصرة). فهو زمن يمتد سبعة أسابيع كاملة بثمانية آحاد. الأحد الأوَّل فيها هو عيد القيامة، والأحد الأخير هو عيد العنصرة.

وفي الكنيسة القبطيَّة يقع عيد القيامة في الفترة ما بين ٢٦ برمهات/ ٣ أبريل، ٣٠ برمودة/ ٨ مايو، ولا يمكن أن يتجاوز هذه الحدود تقديماً أو تأخيراً. وبالتَّالي فإنَّ فترة الخمسين المقدَّسة تنحصر بين ٢٦ برمهات/ ٤ أبريل، ٢٠ بؤونة/ ٢٦ يونيو. وعلى ذلك فإنَّ عيد العنصرة لا يمكن أن يقع قبل ١٥ بشنس/ ٢٣ مايو، ولا بعد ٢٠ بؤونة/ ٢٦ يونيو. ولذلك فإنَّ قراءات الآحاد والأيام في القطمارس السَّنوي تتوقَّف من الأحد الأوَّل من برمهات إلى منتصف شهر بشنس، حيث تكون القراءات في هذه الفترة من قطمارسات الصَّوم المقدَّس الكبير، وأسبوع البَصخة، والخمسين المقدَّسة.

وآحاد الخمسين المقدَّسة في الكنيسة القبطيَّة، بل وفي كل أيامها، تركِّز على إنجيل القدِّيس يوحنا. وتشير قراءات الآحاد بكل وضوح إلى

الصِّفات اللاهوتيَّة للسيِّد المسيح.

- الأحد الثَّالث[٤٤]: يسوع هو الخبز الحي الذي نزل من السَّماء[٤٥].
- الأحد الرَّابع: يسوع المسيح هو الماء الحي[٤٦].
- الأحد الخامس: يسوع المسيح هو النُّور الحقيقي[٤٧].
- الأحد السَّادس: يسوع المسيح هو الطَّريق والحق والحياة[٤٨].
- الأحد السَّابع: يسوع المسيح يعلن لنا «الآب نفسه يحبُّكم[٤٩]».

وتشترك معظم الطُّقوس في عدم تسمية آحاد الخمسين المقدَّسة بأسماء محدَّدة كما في آحاد الصَّوم الكبير، باستثناء الكنيسة البيزنطيَّة، ولكن كل الكنائس تتَّفق على تسمية الأحد التَّالي للقيامة باسم "الأحد الجديد"، وهو يُسمَّى أيضاً في الطَّقس القبطي "أحد توما".

أمَّا **في الكنيسة البيزنطيَّة** فالأحد التَّالي للأحد الجديد يُدعى "أحد حاملات الطِّيب"، ويعقبه "أحد المخلِّع"، ثمَّ "أحد السَّامريَّة"، ثمَّ "أحد المولود أعمى". ونلاحظ هنا التَّشابه الشَّديد بين مسمَّيات الثَّلاثة آحاد الأخيرة من الخمسين المقدَّسة في الكنيسة البيزنطيَّة، وبين ثلاثة آحاد متتالية في الصَّوم المقدَّس الكبير في الكنيسة القبطيَّة.

وتعيِّد الكنيسة البيزنطيَّة في هذه الفترة للقدِّيس مار مرقس كاروز الدِّيار المصريَّة في ٢٥ نيسان/ أبريل.

٤٤- أي الأحد الذي يعقب أحد توما، الذي هو الأحد الجديد.
٤٥- يوحنا ٦:٣٥- ٤٥
٤٦- يوحنا ٤:١- ٤٢
٤٧- يوحنا ١٢:٣٥- ٥٠
٤٨- يوحنا ١٤:١- ١١
٤٩- يوحنا ١٦:٢٣- ٣٣

ويُدعى الأحد التَّالي للأحد الجديد عند الأرمن "عيد الكنيسة الجامعة"، وليس لهذا العيد مقابل في الكنائس الأخرى.

أمَّا **في الكنيسة الآشوريَّة** فسابوع القيامة يتألَّف من ستَّة آحاد (وهي الواقعة بين الفصح والعنصرة).

وهو الزَّمن الثَّالث في الكنيسة الأرمينيَّة، والرَّابع في الكنيسة الآشوريَّة.

الزَّمن الطَّقسي السَّادس

زمن الرُّسُل

ويُسمَّى **في الكنيسة القبطيَّة** "صوم الرُّسل"، وتبدأ الكنيسة القبطيَّة صوم الرُّسل عقب عيد العنصرة مباشرة، وينتهي فيها الصَّوم يوم ٥ أبيب/ ١٢ يوليو، فتتراوح مدَّته ما بين ١٥ يوماً و٤٩ يوماً. وقراءات الأحد الأوَّل من أبيب تدور حول إرساليَّة السَّبعين رسولاً. وفي صوم الرُّسل يكون الاحتفال بعيد دخول السيِّد المسيح أرض مصر في ٢٤ بشنس/ ١ يونيو. وكذلك عيد ميلاد يوحنا المعمدان في ٣٠ بؤونة/ ٧ يوليو. أمَّا الفترة ما بين عيد الرُّسل (استشهاد الرَّسولين بطرس وبولس)، وبداية صوم السيِّدة العذراء وهي ٢٥ يوماً فلا تندرج تحت زمن طقسي محدَّد[٥٠]، وفصول أناجيل الآحاد فيها تدور حول موضوعات متنوعة: يسوع يبارك الأطفال[٥١]، وإشباع الجموع من الخمسة أرغفة

٥٠- سبق أن أشرتُ إلى أنَّ الكنيستين القبطيَّة والبيزنطيَّة ليس بهما أزمنة طقسيَّة مقنَّنة على مدار السَّنة الليتورجيَّة سوى الأزمنة التي تدور حول عيد الفصح، سواء كانت قبله أو بعده.

٥١- الأحد الثَّاني من أبيب (متى ١٨: ١- ٩).

والسَّمكتين[٥٢]، وإقامة لعازر من الموت[٥٣].

ويُسمَّى هذا الزَّمن **في الكنيسة البيزنطيَّة** باسم "زمن اللَّحن الثَّامن"، أو "زمن ما بعد العنصرة"، ويبدأ عقب عيد العنصرة مباشرة، ومعه تنتهي السَّنة الطَّقسيَّة البيزنطيَّة، وهو يمتد ليشمل ثمانية أسابيع.

وفي الكنائس الأخرى لا يُصام الأسبوع الذي يلي عيد العنصرة، والذي يُسمَّى "أسبوع العنصرة"، وفي يوم السَّبت الذي يكتمل به أسبوع العنصرة تودِّع الكنيسة البيزنطيَّة هذا العيد بترتيل خدمة العيد بتمامها في صلاة المساء والسَّحَر وفي القدَّاس.

أمَّا الأحد التَّالي مباشرة لأحد العنصرة فيُدعى "أحد جميع القدِّيسين"، وهو عيد تعرفه الكنائس الأرثوذكسيَّة الخلقيدونيَّة، وبعض الكنائس اللاخلقيدونيَّة[٥٤].

٥٢- إنجيل الأحد الثَّالث من أبيب (لوقا ٩: ١٠- ١٧).

٥٣- إنجيل الأحد الرَّابع من أبيب (يوحنا ١١: ١- ٤٥).

٥٤- في هذا النَّهار تنشد الكنيسة الرُّوسيَّة: "تهلَّلوا أيها الشُّعوب، وهلمُّوا نلتئم محفلاً روحياً وننشد نشيد شكر للمسيح إلهنا قائلين: تطلَّع يارب، يا ملك المجد إلى طغمات القدِّيسين التي لا حدَّ لها، التي ارتضيت أن تتقبَّل تضرُّعاتهم من أجلنا".

أمَّا الكنيسة الملكانيَّة فتنشد في ذلك اليَوم: "أيها المسيح الإله، إنَّ كنيستك المتسربلة دماء شهدائك الذين في كل العالم، مثل بز وأرجوان، تهتف إليك بواسطتهم، أرسل رأفتك على شعبك، وهب لرعيَّتك السَّلام، ولنفوسنا عظيم الرَّحمة".

وتحتفل الكنيسة اللاتينيَّة بهذا العيد في أوَّل تشرين ثان/ نوفمبر، ويليه في الثَّاني منه تذكار الموتى. ويعود الاحتفال بجميع القدِّيسين في الشَّرق إلى القرن الرَّابع. وأمَّا في الغرب فعندما حوَّل البابا بونيفاسيوس الرَّابع (٦٠٨- ٦١٥) في مايو سنة ٦٠٩م هيكل البانثيون الوثني بروما إلى كنيسة، وكرَّسه على اسم السيِّدة والدة الإله وجميع الشُّهداء، صار ذلك اليَوم تذكاراً لجميع القدِّيسين.

وقد أخذ طقس تكريم القدِّيسين - وليس فقط الشُّهداء - يترسَّخ منذ القرنين

وفي الكنيستين السِّريانيَّة الأنطاكيَّة والآشوريَّة، يدوم هذا الزَّمن الطَّقسي سبعة أسابيع.

وفي الكنيسة الأرمينيَّة يُدعى "زمن مجئ الرُّوح القُدُس"، وهو يشمل أيضاً سبعة أسابيع تصل إلى مرفع التَّجلي الذي يسبق عيد التَّجلي مباشرة، وهو الأحد الرَّابع عشر بعد القيامة. وهو الزَّمن الرَّابع فيها.

وفي الكنيسة المارونيَّة يمثِّل زمن الرُّسُل فيها القسم الأوَّل من "الزَّمن العادي"[٥٥] وهو الزَّمن السَّادس والأخير في هذه الكنيسة.

الزَّمن الطَّقسي السَّابع

صوم السيِّدة العذراء وبقية السَّنة اللِّيتورجيَّة

ويبدأ هذا الزَّمن **في الكنيسة القبطيَّة** مع بداية صوم السيِّدة العذراء أوَّل مسرى/ ٧ أغسطس، ويمتد إلى بقيَّة السَّنة الطَّقسيَّة القبطيَّة، وتتركَّز القراءات في الأسبوعين الأخيرين منها حول انقضاء العالم والمجئ الثَّاني، وتُصلَّى هذه الفترة الزَّمنيَّة باللَّحن السَّنوي، ويقع فيها عيد التَّجلي في ١٣ مسرى/ ١٩ أغسطس، الذي يُصلَّى بالطَّقس الفرايحي.

ويُسمَّى هذا الزَّمن السَّابع **في الكنيسة السِّريانيَّة** "زمن الصَّيف"،

السَّابع والثَّامن للميلاد. وفي سنة ٨٠٠م نجد في تقويم يورك الطَّقسي ببريطانيا ذكراً لجميع القدِّيسين في إنجلترا وأيرلندا. ويعود الفضل في تثبيت العيد في الأوَّل من تشرين ثان/ نوفمبر في الغرب لألكوين أسقف يورك (٧٣٠- ٨٠٤م) وأخذ هذا التَّقويم يعم كنائس الغرب كلِّها منذ أواخر القرن التَّاسع.

٥٥- الزَّمن العادي عند الموارنة يمتد ليشمل زمن الرُّسُل وزمن الصَّيف.

وهو الزَّمن الأخير في هذه الكنيسة، ويتألَّف من سبعة آحاد متتالية مثل **الكنيسة الآشوريَّة**، ولكنه في هذه الكنيسة الأخيرة يمثل الزَّمن السَّادس فيها، ويُدعى "زمن التَّوبة" وفيه ترتِّل الكنيسة الآشوريَّة: "طهِّرنا يارب نحن التَّائبين من أدناس الخطيئة لنصبح أهلاً للانتقال من أرض الشَّقاء والموت هذه إلى الخلود والسَّعادة". وتُدمج أحياناً صلوات الأحد السَّابع بالأحد السَّادس عندما يصادف عيد القيامة ٢٠ نيسان، أو ما بعد هذا التَّاريخ.

وفي الكنيسة الأرمينيَّة يُدعى هذا الزَّمن "زمن الورود والتَّجلي"، وهو يقابل "زمن الصَّيف" عند السِّريان والآشوريين، وهو الزَّمن الخامس في هذه الكنيسة.

فزمن الصَّيف عند السِّريان، يقابل الزَّمن العادي عند الموارنة، وزمن الورود والتَّجلي عند الأرمن.

باقي الأزمنة الطَّقسيَّة لبعض الكنائس الشَّرقيَّة

يبقى للكنيسة الأرمينيَّة ثلاثة أزمنة هي:

الزَّمن السَّادس: "زمن الانتقال".

الزَّمن السَّابع: "زمن ارتفاع الصَّليب".

الزَّمن الثَّامن: "زمن البشارة"، وهو الزَّمن الأخير، وهو الأسابيع التَّحضيريَّة للميلاد والمجئ الثَّاني.

ويبقى للكنيسة الآشوريَّة ثلاثة أزمنة أيضاً هي:

الزَّمن السَّابع: ويُدعى "زمن إيليا".

وهو سبعة أسابيع كاملة، وفيه يبدأ صوم إيليا، ويبدأ هذا الزَّمن قبل حلول ١٤ أيلول/ سبتمبر، "عيد ظهور الصَّليب المجيد"، بحوالي ثلاثة أو

أربعة أسابيع، ويُطلق على الأسابيع التي تلي ١٤ أيلول/ سبتمبر مسلسل جديد فيُقال مثلاً: الأحد الرَّابع من إيليا والأوَّل من الصَّليب.

وهذا الزَّمن يرمز إلى ما ذكره الإنجيل المقدَّس بأنَّ إيليا النَّبي سيسبق مجئ ابن البشر.

الزَّمن الثَّامن: ويُدعى "زمن موسى".

وهو لا يتعدَّى أربعة أسابيع لأنه مرتبط بزمن حلول سابوع تقديس البيعة المكوَّن من أربعة أسابيع كاملة تسبق زمن البشارة.

الزَّمن التَّاسع: ويُدعى "زمن تقديس البيعة".

وهو أربعة أسابيع كاملة تسبق زمن البشارة. وبابتداء سابوع تقديس الكنيسة تبدأ شريعة الكنيسة بعد أن انتهت شريعة موسى. وهو الزَّمن الأخير في طقس الكنيسة الآشورية، وهي مرحلة زمنيَّة تمثِّل نهاية حياة الإنسان، وختام جهاد الكنيسة المقدَّسة على الأرض. فتكون النِّهاية هي تمجيد وتقديس الكنيسة عندما تخرج إلى لقاء عريسها السَّماوي لكي يأخذها ويدخلها الأخدار السَّماويَّة، ويجلسها عن يمينه ويمتِّعها برؤياه، وينيرها بضياء وجهه.

ويُطلَق على سابوع تقديس البيعة اسم آخر هو "معْلَتا" أي "الدُّخول"، لأنه في بداية الصَّلاة الفرضيَّة لمساء يوم السَّبت، عشيَّة الأحد الأوَّل منه، يعود المصلُّون من باحة الكنيسة إلى الدَّاخل[٥٦] باحتفال

٥٦- في بداية صلاة عشيَّة خميس الصُّعود، وعند ترديد "لاخو مارا - لك يارب الكُل نشكر ..." يخرج الكهنة والشَّعب يتقدَّمهم الشَّمامسة حاملين الإنجيل والصَّليب والمبخرة والشُّموع نحو فناء الكنيسة، وهم ينشدون "رب المجد في طريقه من الأرض إلى السَّماء ليجلس عن يمين الآب..."، ومنذ هذا التَّاريخ ولغاية عشيَّة سابوع تقديس البيعة تُصلَّى كل الصَّلوات في هذا المكان.

ليتورجي يرتِّلون فيه: "لندخل بالشُّكر إلى هيكلك المقدَّس ونرتِّل ونُصعِد لك المجد في مقدسك ...".

والجدول التَّالي هو حصر الأزمنة الطَّقسيَّة في الكنائس السِّريانيَّة الغربيَّة (الأنطاكيَّة)، والسِّريانيَّة الشَّرقيَّة (الآشوريَّة)، والأرمينيَّة، والمارونيَّة.

الأزمنة الطَّقسيَّة لبعض الطُّقوس الشَّرقيَّة

الزَّمن	الأنطاكي	الآشوري	الأرمني	الماروني
الأوَّل	تجديد البيعة	البشارة	الظُّهور الإلهي	تقديس البيعة
الثَّاني	البشارة	الدِّنح	الصَّوم	البشارة
الثَّالث	الدِّنح	الصَّوم	القيامة	الدِّنح
الرَّابع	الصَّوم	القيامة	الرُّوح القُدُس	الصَّوم
الخامس	القيامة	الرُّسُل	التَّجلي	القيامة
السَّادس	الرُّسُل	الصَّيف	الانتقال	العادي
السَّابع	الصَّيف	إيليا	ارتفاع الصَّليب	
الثَّامن		موسى	البشارة	
التَّاسع		تقديس البيعة		

الباب الثاني

عيدا النَّيروز والصَّليب

الفصل الأول

طقوس صلوات عيد النَّيروز في الكنيسة القبطيَّ

حول مخطوطات ترتيب البيعة المستخدمة في الدِّراسة

سأعتمدُ فيما سيردُ من شرح للطَّقس، على مخطوطات ترتيب البيعة وبيانها كالتَّالي:

• مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، وتاريخ نساخته هو سنة ١٩١٠م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس)".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطريركيَّة بالقاهرة وتاريخ نساخته هو سنة ١١٦٠ش/ ١٤٤٤م[1].
وسأرمزُ له باسم "مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير البراموس، وتاريخ نساخته هو سنة ١٢٣٠ش/ ١٥١٤م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير الأنبا أنطونيوس، وتاريخ نساخته هو سنة ١٣٧٧ش/ ١٦٦١م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط الأنبا أنطونيوس لسنة ١٦٦١م".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة دير السِّريان، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤١٤ش/ ١٦٩٨م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م".

١- هذا المخطوط وما يتبعه من مخطوطات لترتيب البيعة بدون أرقام، وما يُذكر عنها مأخوذ من المرجع التَّالي:
الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندريَّة ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأوَّل، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ أيضاً بمكتبة دير السِّريان، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤٣٥ش/ ١٧١٩م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط السِّريان لسنة ١٧١٩م".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة البطريركيَّة بالإسكندريَّة، وتاريخ نساخته هو سنة ١٤٣٢ش/ ١٧١٦م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م".

• مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة كنيسة الملاك بسرباي بطنطا، وتاريخ نساخته هو سنة ١٥٨٤ش/ ١٨٦٨م.
وسأرمزُ له باسم "مخطوط سرباي لسنة ١٨٦٨م".

تمهيد

تذكر مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا - والتي ظلَّت تُنسخ من جيل إلى جيل حتى إلى أوائل القرن العشرين - أنَّ الطَّقس السَّنوي هو طقس صلوات عيد النَّيروز، حيث تنص على أنَّ صلوات رفع البُخور تكون **كالعادة**، ومرد المزمور يكون باللَّحن **السَّنوي**[٢]، وألحان التَّوزيع في نهاية القدَّاس تكون هي أيضاً باللَّحن **السَّنوي**[٣]. وهو نفس ما يتكرَّر ذكره في الأحدين الأوَّل والثَّاني من شهر توت.

أمَّا روح الطَّقس ومضمون الصَّلوات في هذا اليَوم البهيج فهو ما نقرأه في المردَّات والصَّلوات والتَّسابيح المصاحبة لهذا اليَوم، وهو نفس ما نجده تماماً في قراءات هذا اليَوم، والتي تدور كلُّها حول تقديم التَّسبيح والشُّكر لله في بداية العام الجديد.

٢- الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، مرجع سابق، الجزء الأوَّل، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٨
٣- الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، مرجع سابق، ص ٤٥

فمزمور إنجيل عشيَّة يقول: «سبِّحوا الرَّب تسبيحاً جديداً. سبِّحوا الرَّب يا كل الأرض. سبِّحوا الرَّب وباركوا اسمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه. هلليلويا».

ويقول مزمور إنجيل باكر: «سبِّحوا الرَّب تسبيحاً جديداً، لأنَّ الرَّب قد صنع أعمالاً عجيبة. أحيت له يمينه وذراعه القدُّوس. هلليلويا».

ويقول مزمور إنجيل القدَّاس: «تُبارك إكليل السَّنة بصلاحك، وبقاعك تمتلئ من الدَّسم. ابتهجوا بالله معيننا، هلِّلوا لإله يعقوب. هلليلويا».

وهكذا تبتدئ السَّنة القبطيَّة بروح الفرح والتَّهليل والتَّسبيح لإله خلاصنا، ومباركة اسمه القدُّوس.

على أنَّ إنجيل القدَّاس – كما في بعض الطُّقوس الشَّرقيَّة أيضاً – يتحدَّث عن دخول يسوع إلى مجمع النَّاصرة – حيث كان قد تربَّى – يوم السَّبت كعادته، وإذ دُفع إليه سفر إشعياء النَّبي فتح السِّفر وقام ليقرأ المكتوب، والذي تحقَّق في شخصه، وتمَّ في مسامع سامعيه: «إنَّ روح الرَّب حالٌ عليَّ، من أجل هذا قد مسحني وأرسلني لأبشِّر المساكين، ولأنادي بالغفران للمسبيِّين، وبالنَّظر للعميان، ولأرسل إلى المأسورين بالإطلاق، ولأبشِّر بسنة الرَّب المقبولة».

وبينما كانوا يشهدون له جميعاً ويتعجَّبون من أقوال النِّعمة الخارجة من فمه، سرعان ما انقلبوا للضِّد تماماً، وامتلأوا غضباً وأمسكوه وأخرجوه خارج المدينة، وصعدوا به إلى أعلى الجبل الذي بُنيت عليه النَّاصرة حتى يطرحوه إلى أسفل. وذلك لمَّا سمعوا منه كلمه حق تعوَّد الرَّب أن يقولها دائماً أبداً، بأنهم ليسوا أصحاب الموعد وحدهم، وأنَّ أرملة صرفة صيدا، ونعمان السِّرياني، كانوا خزياً وتبكيتاً ليهود جيلهم.

وهكذا فُسِّر قول إشعياء بأنَّ المسيح قد جاء ليبشِّر الأمم الذين كانوا مساكين بلا إله، عميان لا يرونه، مسبيِّين بالخطايا، ومأسورين من عبوديَّة الشيطان. فمن أجل هؤلاء جاء المسيح يبشِّرهم بسنة مقبولة، وبيوم خلاص. وهذا هو السَّبب الذي لأجله سبَّحت الكنيسة إله خلاصها بتسابيح الحمد والشُّكر، لأنَّنا نحن الأمم قد صرنا في المسيح خليقة جديدة، وبه صار الكُل جديداً. وهكذا صالحنا الله لنفسه بالمسيح، غير حاسب لنا خطايانا وآثامنا الماضية.

فدعوة هذا اليَوم إذاً هي دعوة عُليا مضمونها: "تصالحوا مع الله"، لأنَّ الذي يصنع مشيئة الله يبقى إلى الأبد. فإذ قد أزال الله أزمنة الجهالة، فهو يدعو كل النَّاس في كل مكان أن يتوبوا، وهذه التَّوبة هي مشيئته.

وهذا بعينه هو مضمون القراءات الكنسيَّة في هذا اليَوم البهيج. فيوم عيد النَّيروز هو يوم عهد جديد بتوبة جديدة، وتسبيح جديد لمسيح العالم كلِّه ولكل إنسان فيه، ليس لليهود فقط، بل للأمم أيضاً، نحن الذين كنَّا بعيدين فصرنا من أهل بيت الله، ووارثين لله بالمسيح. ومن أجل هذا نُرتِّل قائلين: " نسبِّحه ونمجِّده ونُرفِّعه بالأكثر، كصالح ومحب البشر".

والآن فلندخل إلى طقوس صلوات هذا اليَوم الجديد، مقتفين آثار آبائنا، كيف عيَّدوا وكيف سبَّحوا وكيف ابتهجوا بهذا العيد، وذلك من خلال ما تركوه لنا، تراثاً حياً لن يموت.

أولاً: تسبحة عشيَّة عيد النَّيروز

لا تشير أيٌّ من مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا إلى الإبصاليَّة البديعة التي نقولها اليَوم في تسبحة عشيَّة عيد النَّيروز. ولكنها تشير فقط

إلى أنَّ هناك طرحين في هذه المناسبة، الطَّرح الأوَّل يختص بعيد النَّيروز، والذي تدعوه طرح أوَّل السَّنة، والطَّرح الثَّاني يختص ببرثلماوس الرَّسول.

فيقول مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م إنه إن كانت الثيؤطوكيَّة واطس[٤]، يُطرح طرح أوَّل السَّنة في نهاية تسبحة عشيَّة، أي قبل ختام الثيؤطوكيَّات ⲱ Πενσ̄ς (أوبنشويس). أمَّا الطَّرح الثَّاني فيكون عقب الذُّكصولوجيَّات أثناء صلوات رفع بخور عشيَّة.

أمَّا إن كانت الثيؤطوكيَّة آدام[٥]، فيكون طرح أوَّل السَّنة بعد الذُّكصولوجيَّات في صلوات رفع بخور عشيَّة، والطَّرح الثَّاني يتأخَّر حتى نهاية صلوات رفع البُخور.

أمَّا إبصاليَّة عيد النَّيروز — سواء الواطس أو الآدام — فكلُّها تسبيح وتمجيد وشكر لإلهنا. ففي الإبصاليَّة الواطس يتكرَّر في نهاية كل ربع من أرباعها: "لأنَّ المجد هو لإلهنا، المجد لك يا إلهنا". وفي الإبصاليَّة الآدام يتكرَّر في نهاية كل ربع: "المجد لك الليلويا، المجد لك يا الله". هذا هو أعظم ما تبدأ به سنتنا الجديدة، بأن نعطي المجد والتَّسبيح لإلهنا.

وليس أبدع من أن نورد جانباً من نص هاتين الإبصاليَّتين، وعلى القارئ العزيز أن يقرأه بتأن وتأمُّل. ثمَّ نعقِّب على ربع واحد من الإبصاليَّة الواطس على سبيل التَّأمُّل.

من الإبصاليَّة الواطس لعيد النَّيروز

– تعالوا جميعاً لنمجِّد ملك الدُّهور، لأنَّ المجد هو لإلهنا، المجد لك

٤– أي أيام الأربعاء والخميس والجمعة والسَّبت.
٥– أي أيام الأحد والاثنين والثلاثاء.

يا إلهنا.
- قوّتك لضعفنا هي سلاح عظيم. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- صوِّر في أنفسنا جمال صورتك. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- كل ألحان التّسبيح تليق بالله. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- يسوع المسيح ملك المجد، وملك الدُّهور. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- كل الألسن تبارك الله بتهليل سمائي. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- أنت هو الله، يجب لك النّشيد في صهيون. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- باركوا الرَّب يا جميع الأمم بتسبحة روحيَّة. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- لكي نبارك عظمتك يوماً فيوماً. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- كل طبائع البشر تسبِّحك يا محب البشر. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- أسبِّح اسم الرَّب ما دمت موجوداً إلى الدُّهور. لأنّ المجد هو لإلهنا ...

ويتخلّل الإبصاليَّة بعض الطّلبات التّوسليَّة Litany منها:
- يارب حل عنّا رباطات الشياطين. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- استل سيف قوّتك، وقم أعنّا. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- طهِّرني فأبيض أكثر من الثّلج. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- نسأل ونطلب منك أن لا تبعُد عنّا. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- أيها الرَّاعي الصَّالح، برحمتك أعنّا. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- اقطع من أنفسنا أفكار الشُّكوك. لأنّ المجد هو لإلهنا ...
- أهدني إلى استقامتك بالرُّوح المدبِّر. لأنّ المجد هو لإلهنا ...

وتُختتم الإبصاليَّة الواطس بالرُّبع الذي يتكرَّر على مدار السَّنة الطّقسيَّة كلّها، وهو: "إذا ما رتّلنا، فلنقل بحلاوة، يا ربّنا يسوع المسيح اصنع رحمة مع نفوسنا". ويعقبه في الحال الرُّبع الذي يقول: "المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور. آمين". وهذان

الرُّبعان هما مدخل الثّيؤطوكيَّة الواطس.

من الإبصاليَّة الآدام لعيد النَّيروز

- أسجد لك ياربي يسوع المسيح. المجد لك الليلويا، المجد لك يا الله.
- هاأنذا أنطق بلساني من أجل مجدك. المجد لك الليلويا ...
- يليق بك البركة والمجد والتَّسبيح. المجد لك الليلويا ...
- زينة أرواحنا وفرح لساننا. المجد لك الليلويا ...
- قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ، روحك الكُلي القُدس. المجد لك الليلويا ...
- اسمك مباركٌ في أفواه المؤمنين. المجد لك الليلويا ...
- المجد للاهوتك غير الموصوف. المجد لك الليلويا ...
- كل الألسن بالحقيقة تسبِّح اسمك. المجد لك الليلويا ...
- يسوع هو رجائي. يسوع هو معيني. المجد لك الليلويا ...
- هاأنذا أباركك يا بن الله. المجد لك الليلويا ...
- الكرامة تليق بالله. المجد لك الليلويا ...

وفي هذه الإبصاليَّة أيضاً طلبات وتوسُّلات يطلبها المصلّي من الله في بداية السَّنة الجديدة، يقول فيها:

- أرشدني أنا الحقير. المجد لك الليلويا ...
- اقتل أفكاري المملوءة شراً. المجد لك الليلويا ...
- كن لي معزياً في حواسي. المجد لك الليلويا ...
- أنت يارب تعرف ضعفي. المجد لك الليلويا ...
- أدركني سريعاً بمعونتك. المجد لك الليلويا ...

وتُختم الإبصاليَّة الآدام على مدار السَّنة الطَّقسيَّة كلّها بأربعة أرباع تُقال باللّحن، هي:

- أيضاً إذا ما اجتمعنا للصَّلاة، فلنبارك اسم ربي يسوع.
- لأنَّنا نباركك ياربي يسوع، نجِّنا باسمك، لأنَّنا توكَّلنا عليك.
- لكي نسبِّحك مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس لأنَّك أتيت وخلَّصتنا.
- المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدُّهور. آمين.

وهذه الأربعة أرباع هي مدخل الثِّيوطوكيَّة الآدام.

تعقيب على ربع من الإبصاليَّة الواطس

فيما يلي تعقيب على رُبع من أرباع الإبصاليَّة الواطس والذي يقول: "صوِّر في أنفسنا جمال صورتك. لأنَّ المجد هو لإلهنا، المجد لك يا إلهنا".

هكذا تبدأ الكنيسة القبطيَّة تسبيحها وصلاتها إلى الله في بداية السَّنة الجديدة. فالطِّلبة هنا موجَّهة إلى الآب. وصورة الآب هو الابن الوحيد. وأمَّا أنا وأنت فصورة الابن، وسرور الآب يكتمل فيَّ وفيك حينما يرى الآب صورة ابنه فينا.

والكنيسة تطلب هذه الطِّلبة العميقة ليس في بداية السَّنة الجديدة فحسب، بل وأيضاً في بداية حياتنا الجديدة التي نلناها بالمعموديَّة. ففي واحدة من صلوات التَّحليل التي يقولها الكاهن وهو واقف على جرن المعموديَّة، وقبل أن يغطِّس المعمَّد في الماء مباشرة، يقول مخاطباً الآب: "فليتصوَّر المسيح في الذين ينالون صبغة الميلاد الجديد مني أنا الشَّقي، ابنهم على أساس الرُّسُل والأنبياء ... الخ". ونفس صلاة التَّحليل هذه توجد أيضاً في الكنيسة البيزنطيَّة، وفيها يقول الكاهن: "صوِّر مسيحك في من هو مزمع أن يولد ثانية، وابنه على أساس الرُّسُل والأنبياء ... الخ".

وإنه من البديع والمدهش في آن معاً أن نجد نفس هذه الطِّلبة في قدَّاس المعموديَّة في خولاجي القدِّيس سرابيون (١:١٩ـ ٤) سنة ٣٥٠م، والتي يقول فيها: "يا محب البشر، صانع الخيرات أشفق على خليقتك، خلِّص الخليقة التي صنعتها يمينك، صوِّر صورتك الإلهيَّة الفائقة الوصف في كل الذين سيولدون من جديد لكي يقدروا أن يخلصوا ويستحقُّوا ملكوتك".

فيا للعمق الذي لهذه الطِّلبة، فماذا يعوزني بعد أن يتصوَّر المسيح فيَّ، وأصير صورة المسيح المقروءة من جميع النَّاس. حينئذ فقط يتمجَّد أبي السَّماوي في كل عمل أعمله، لأنَّ ما أعمله يكون بالمسيح الذي فيَّ. وهذا هو ما ظلَّ الرَّسول بولس يجاهد لأجله في كل خدمته، لكي يتصوَّر المسيح في مخدوميه، فيكتمل سعيه وتتكلَّل خدمته، فيقول: «يا أولادي الذين أتمخَّض بهم إلى أن يتصوَّر المسيح فيهم» (غلاطية ٤:١٩).

وفي ذلك يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) في رسالته ضد الوثنيين (٢:٥٩):

[وهكذا الذين يرى الآب فيهم ابنه الخاص، فهؤلاء يدعوهم أيضاً بنين له].

ويقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كلمة الله صار إنساناً جاعلاً الإنسان بذلك مشابهاً له، حتى بواسطة هذه المشابهة مع الابن يصير الإنسان محبوباً لدى الآب][٦].

وهو نفس ما يقوله القدِّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) في عظة فصحيَّة له:

6- *AH* V, 16,2.

[إذا ما رأى الآب معالم ابنه الخاص المولود منه واضحة فينا، يحبّنا نحن أيضاً كأبناء له ويمجّدنا، ويشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم][٧].

اسمع ما نصلّيه في الكنيسة في واحدة من صلوات القسمة في القدّاس الإلهي، حين يقول الكاهن: "ليضئ علينا نور معرفتك الحقيقيَّة، لنضئ بشكلك المحيي". وهذا هو تفسير قول الإنجيل المقدَّس: «لأنَّ الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كورنثوس ٤:٦). أي أنَّ الله قد أشرق في قلوبنا بنور معرفته، أي بالإنجيل. لأنَّ معرفة الله الحقيقيَّة تحرِّرنا، وترفع البرقع الموضوع على قلوبنا، فحيث روح الرَّب فهناك كل الحريَّة، وهكذا نوقن بما يقوله الرَّسول: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرَّب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصُّورة عينها، من مجد إلى مجد كما من الرَّب الرُّوح» (٢كورنثوس ٣:١٨). فأنت يارب هو ضياء نفوسنا، يا من يضئ لكل إنسان آتياً إلى العالم.

وهكذا عندما يتصوَّر المسيح فينا، تصبح لنا "سمات المسيح"[٨]، و"فكر المسيح"[٩]، و"صبر المسيح"[١٠]، و"مشيئة المسيح"[١١]، والتي بها قدَّم نفسه ذبيحة لله أبيه.

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[حينما تنزع النَّفس عنها وسخ الخطيئة، ولا تبقي في

7- PG 77, 617-6201.

٨- غلاطية ٦:١٧
٩- ١كورنثوس ٢:١٦
١٠- ٢تسالونيكي ٣:٥
١١- عبرانيين ١٠:١

ذاتها إلاَّ ما هو طاهر وموافق للصُّورة الأصليَّة، فحينئذ حينما تصير هذه الصُّورة مصقولة فيها، ترى النَّفس فيها — كما في مرآة — الكلمة صورة الآب أنها فيه تتمثَّل الآب نفسه، لأنَّ المخلِّص هو صورة الآب][١٢].

ويقول أيضاً:

[... وهكذا فإنَّ نقاوة النَّفس تؤهِّلها لتتأمَّل الله داخلها، كما يقول الرَّب: «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله»][١٣].

فكل من تنطبع فيه صورة المسيح يدخل ويرث الملكوت، لأنَّ الآب سيتعرَّف على أبناء ملكوته حينما يرى صورة ابنه مطبوعة في نفوسهم وقلوبهم وحياتهم، كقول الرَّسول: «أم لستم تعرفون أنفسكم أنَّ يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين» (٢كورنثوس ١٣:٥).

لقد خُلقنا أصلاً على صورة الله ومثاله، ولما انطمست صورة الله فينا، وتشوَّهت في كل بني البشر، بسبب الخطيئة التي تجرأ عليها آدم في الفردوس، جاء المسيح وجدَّد مرَّة أخرى الصُّورة التي فسدت. وهكذا صار الذين يؤمنون بالمسيح ويعتمدون باسمه يلبسون المسيح، وصار الإنسان الجديد الذي نلناه في المعموديَّة لا يعمل عملاً إلاَّ بالمسيح. وهكذا يشهد الرَّسول قائلاً: «لي الحياة هي المسيح» (فيلبي ١:٢١). إذاً ليس بالقوَّة ولا بالقدرة بل بروحي قال ربُّ الجنود. وليس من أعمال كي لا يفتخر أحد، بل برحمته خلَّصنا، لكي يكون فضل القوَّة لله لا منَّا. ومن أجل هذا صار المرد الذي نردِّده بتواتر هو: "لأنَّ المجد هو لإلهنا". إذاً فلنرتِّل للرَّب بصوت الفرح قائلين: "المجد لك هلليلويا، المجد لك يا الله".

١٢- ضد الوثنيين ٣:٣٤

١٣- ضد الوثنيين ٤:٢

ثانياً: صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز

تحت عنوان: "اليَوم الأوَّل من شهر توت، عيد النَّيروز المبارك، شهادة برثلماوس، وشفاء أيوب الصِّديق"، يورد مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والمؤرَّخ بتاريخ ١١٦٠ش/ ١٤٤٤م ما يلي:

أوَّل ذلك صلاة عشيَّة، يرفعوا أستار الهيكل، ويضرب الكاهن ميطانية أمام باب الهيكل ويقول: ارحَمنا يا الله الآب ضابط الكُل ... الخ. ثمَّ يرفع البُخور **كالعادة** ... الخ.

وهنا يلزم ملاحظة أنَّ قول المخطوط "كالعادة" يعني أنَّ طقس صلوات عيد النَّيروز هو الطَّقس السَّنوي المعتاد، كما سبق أن أشرتُ غير مرَّة.

وعند الذُّكصولوجيَّات - وبعد ذُكصولوجيَّة السيِّدة العذراء - يذكر مخطوط ترتيب البيعة بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م أنه تُقال الذُّكصولوجيَّة المختصَّة بالرُّسُل، والتي بدايتها الرُّبع التَّالي:

الأوَّل في الرُّسُل يُدعى سمعان بطرس، هو أيضاً الذي أؤتمن على مفاتيح ملكوت السَّموات.	ⲡⲓϣⲟⲣⲡ ϩⲉⲛ ⲛⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ : ⲉⲧⲙⲟⲩⲧ ⲉⲣⲟϥ ⲭⲉ Ⲥⲓⲙⲱⲛ Ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ : ⲛⲉⲟϥ ⲟⲛ ⲡⲉ ⲉⲧⲁⲩⲧⲉⲛϩⲟⲩⲧϥ : ⲉⲛⲓϣⲟⲩⲱⲧ ⲛⲧⲉ ⲑⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ ⲛⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ.

ويُقال بعدها:

اطلب من الرَّب عنَّا أيها التِّلميذ المؤتَمَن، برثلماوس الرَّسول، ليغفر لنا خطايانا.	Ⲫⲱⲃϩ ⲙⲡⲓ̅ⲥ̅ ⲉⲃⲏⲣⲏ ⲉϫⲱⲛ : ⲱ ⲡⲓⲙⲁⲑⲏⲧⲏⲥ ⲉⲧⲉⲛϩⲟⲩ : Ⲃⲁⲣⲑⲟⲗⲟⲙⲉⲟⲥ ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ : ⲛⲧⲉϥ..

فواضح هنا أنَّ الذُّكصولوجيَّة التي كانت تُقال في عيد النَّيروز في الكاتدرائيَّة البطريركيَّة حتى أوائل القرن العشرين هي ذُكصولوجيَّة الرُّسُل، لكي تُختم برُبع يختص بالقدِّيس برثلماوس الرَّسول.

في حين أن بعض جهات أخرى من البلاد كانت ترتِّل ذُكصولوجيَّة تختص بعيد النَّيروز أوَّل السَّنة القبطيَّة، وهي الذُّكصولوجيَّة التي انتشرت رويداً رويداً في عموم الكنائس بعد طباعتها لأوَّل مرَّة في أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب (١٨٦٨-١٩١٨م) في القاهرة سنة ١٩٠٨م، وأيضاً في أبصلموديَّة القس مينا البراموسي (+ ١٩٢٥م) في الإسكندريَّة في نفس هذه السَّنة المذكورة. وفيما يلي حديث مختصر عن هذه الذُّكصولوجيَّة.

ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز

وهي ثمانية أرباع تبدأ أيضاً بتسبيح الله. وهي تبدأ بالقول: "سبِّحوا الرَّب تسبيحاً جديداً أيها الشُّعوب محبُّو المسيح إلهنا. لأنه قد تعهَّدنا بخلاصه كصالح ومحب البشر. نرسل لك التَّسبيح بأصوات التَّمجيد يا مخلِّصنا الصَّالح، ثبِّتنا إلى الانقضاء".

وتحوي الذُّكصولوجيَّة طلبات إلى الله أن يعطينا سلامه، وينجِّينا من الأعداء، ويشفي أمراضنا، ويخلِّص المتضايقين، ويرد المسافرين، ويحل المربوطين، وينيِّح الرَّاقدين، ويرفع غضبه عنَّا، وينجِّينا من الغلاء من فخاخ الشياطين. ممَّا يرجِّح أنها من مدوَّنات العصور الوسطي، وليس قبل ذلك[١٤].

١٤- ويرد في هذه الذُّكصولوجيَّة الرُّبع الذي صار هو المرد الوحيد للعيد في كل من أرباع النَّاقوس ومرد الإبركسيس، ومرد المزمور، ومرد الإنجيل!!، خلال الفترة من عيد النَّيروز إلى عيد الصَّليب، بما تحوي من آحاد أيضاً!!، وهو: "بارك إكليل السَّنة بصلاحك يارب، الأثمار، والينابيع والزُّروع والثِّمار".

وتُختم الذُّكصولوجيَّة بالرُّبع الثَّامن منها ونصُّه هو:

Ⲧⲉⲛϩⲱⲥ ⲉⲣⲟⲕ ⲧⲉⲛⲧⲱⲟⲩ ⲛⲁⲕ..

أي: "نسبِّحه ونمجِّده ونرفِّعه بالأكثر، كصالح ومحب البشر. ارحمنا كعظيم رحمتك"(١٥).

إلاَّ أنَّ طبعات حديثة للأبصلموديَّة لناشرها جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، قد أضافت في آخر الذُّكصولوجيَّة ربعان هما:

Ⲁⲗ Ⲁⲗ Ⲁⲗ Ⲁⲗ Ⲫⲱⲟⲩ ⲉⲡⲓⲭⲁⲗⲟⲩ ⲛⲧⲉ ⲧⲣⲟⲡⲁⲓ..

Ⲫⲁⲓ ⲉⲣⲉ ⲡⲓⲱⲟⲩ ⲉⲣⲡⲣⲉⲡⲓ ⲛⲁⲕ..

وذلك إقتداء بذُكصولوجيَّات بعض الأعياد السَّيديَّة الكُبرى. وهي إضافة غير أصيلة، حيث أنَّ الرُّبع الثَّامن من الذُّكصولوجيَّة – وهو الرُّبع السَّابق مباشرة لهذين الرُّبعين المذكورين – هو نفس الرُّبع الذي تُختم به ذُكصولوجيَّة عيد البشارة، وذُكصولوجيَّات عيد الشَّعانين الثَّلاث. بالإضافة إلى أنَّ هذين الرُّبعين المذكورين لم يرد ذكرهما في المجلَّدين الثَّالث عشر والرَّابع عشر من مجموعة مرجان(١٦).

يقول مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م ما يلي: وبعد انتهاء الذُّكصولوجيَّات يُقال إمَّا طرح أوَّل السَّنة، وذلك في الأيام الواطس، أو طرح الرَّسول برثلماوس، وذلك في الأيام الآدام، كما سبق أن أشرتُ.

١٥- وهنا تلزم الإشارة إلى أنَّ الرُّبع الثَّاني من مردِ الإنجيل خلال الفترة من عيد التَّيروز إلى عيد الصَّليب – كما تمارس الكنائس حالياً – هو نفس هذا الرَّبع الثَّامن والأخير من ذُكصولوجيَّة عيد التَّيروز، والمشار إليه في المتن.

16- Volumes XIII & XIV of the Pieropnt Morgan Collection of Coptic Mss. Cf. Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church*, cited by Bulletin de la société d'archéologie copte (BSAC), t. 6, (1940), p. 34.

ويقول مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م أنه بعد أن تُقال الأمانة، أي قانون الإيمان بمقدِّمته "نعظمك يا أم النُّور الحقيقي"، يرفع الكاهن الصَّليب، ويقول "اللَّهم ارحمنا ...".

ثمَّ بعد ذلك يقول الكاهن أوشيَّة الإنجيل. ويُطرح المزمور، ويُرد بمزمور عشيَّة **باللَّحن السَّنوي**، ويطوفون بالإنجيل حول المذبح وهم يرتِّلون بهذه القطعة من المزمور[١٧]:

مرد مزمور إنجيل عشيَّة عيد النَّيروز[١٨]

Ⲩⲁⲣⲟⲩⲟⲓⲥⲓ ⲛ̀ⲭⲉ ⲛⲉⲫⲁⲗⲱⲙ ⲙⲁⲣⲟⲩⲁⲱⲁⲓ ⲛ̀ⲭⲉ ⲛⲉⲫⲟⲩⲧⲁⲥ ⲛ̀ⲥⲣⲏⲓ ϩⲉⲛ ⲛⲉⲫⲧⲉⲗⲧⲓⲗⲓ ⲉⲫⲉⲟⲩⲛⲟϥ ⲉϥⲛⲁⲣⲱⲧ	ليرو حرثها، ولتكثر ثمارها، بقطراته ينمو بالفرح.
Ⲉⲕⲉⲥⲙⲟⲩ ⲉⲡⲓϫⲗⲟⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲣⲟⲙⲡⲓ : ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲭⲣⲏⲥⲧⲟⲥ : ⲟⲩⲟⲥ ⲛⲉⲕⲙⲉⲩⲩⲟϯ ⲉⲧⲉⲙⲟⲥ : ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲛ ⲛⲉⲧⲕⲉⲛⲓⲱⲟⲩⲧ. Ⲙⲗ.	تبارك إكليل السَّنة بصلاحك، وأوديتك فلتمتلئ من الدَّسم.

وبعد قراءة الإنجيل قبطياً وعربياً يردُّون بهذا المرد:

مردَّات إنجيل عشيَّة عيد النَّيروز

Ⲩⲁⲣⲉⲛⲥⲱⲥ ⲛ̀ⲧⲉⲛϯⲱⲟⲩ : ⲛ̀ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲥ ⲛ̀ϯⲧⲣⲓⲁⲥ ⲉⲟⲩ : ⲉⲥⲟⲓ	فلنسبِّح ولنمجِّد ولنسجد للثَّالوث القدُّوس المساوي

١٧- وهو ما يذكره أيضاً مخطوط سيرياي لسنة ١٨٦٨م، ومخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م.
١٨- كل العناوين الجانبيَّة هي للتَّوضيح فقط، و لم ترد في المخطوطات التي أنقل عنها.

الدَّائم إلى الأبد[١٩].	ⲛ̀ⲟⲩⲟⲟⲩⲧⲥⲓⲟⲥ : ⲉⲑⲩⲙⲏⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϧⲁ ⲉⲛⲉⲥ.

وتورد مخطوطات ترتيب البيعة[٢٠] مردَّات أخرى متنوِّعة لفصل إنجيل عشيَّة، وكلُّها تدور حول تسبيح الرَّب وتمجيده، ومباركة اسمه القدُّوس، الاسم الحلو المملوء مجداً الذي لربِّنا يسوع المسيح[٢١]، مثل:

السَّموات تذيع عجائبه وقوَّته، سبِّحوا الرَّب تسبحة جديدة، حدِّثوا بآياته وعجائبه[٢٢].	ⲉⲩⲉⲟⲩⲱⲛⲥ ⲛ̀ⲛⲉϥϣⲫⲏⲣⲓ : ⲛ̀ⲭⲉ ⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ ⲛⲉⲙ ⲧⲉϥⲙⲉⲧⲭⲱⲣⲓ : ϩⲱⲥ ⲉ̀Ⅱⲥ̄ ϩⲉⲛ ⲟⲩϩⲱⲥ ⲙ̀ⲙⲉⲣⲓ : ⲥⲁⲭⲓ ϩⲉⲛ ⲡⲉϥⲙⲏⲏⲓ ⲛⲉⲙ ⲛⲉϥϣⲫⲏⲣⲓ.

وأيضاً[٢٣]

سبِّحوا الرَّب تسبحة جديدة، سبِّحي الرَّب يا كل الأرض. سبِّحوا الرَّب وباركوا اسمه لأنَّ رحمته ثابتة علينا.	ϩⲱⲥ ⲉ̀Ⅱⲥ̄ ϩⲉⲛ ⲟⲩϩⲱⲥ ⲙ̀ⲙⲉⲣⲓ : ϩⲱⲥ ⲉ̀Ⅱⲥ̄ ⲛ̀ⲕⲁϩⲓ ⲧⲏⲣϥ : ϩⲱⲥ ⲉ̀Ⅱⲥ̄ ⲥⲙⲟⲩ ⲉⲡⲉϥⲣⲁⲛ : ⲭⲉ ⲡⲉϥⲛⲁⲓ ⲧⲁⲭⲣⲟ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ⲭⲱⲛ.

وهنا يتَّضح أمامنا أنَّ مردَّات الإنجيل في صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز — طبقاً لمخطوطات ترتيب البيعة المختلفة — تدور حول تمجيد

١٩- وهذا المرد عينه يرد في مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م كمرد على إنجيل باكر عيد النَّيروز. (انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٤٣).

٢٠- وهو ما يورده مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط السِّريان لسنة ١٧١٩م.

٢١- كما في مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م. وهو المخطوط الذي ينقل لنا طقوس صلوات كنائس مصر القديمة بكل تدقيق.

٢٢- وهو ما يورده مخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م، ومخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط سيرياي لسنة ١٨٦٨م.

٢٣- وهو ما يذكره مخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م، ومخطوط السِّريان لسنة ١٧١٩م، ومخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م.

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٣٩، ٤٠

الرَّب وتسبيح اسمه تسبيحاً جديداً مع بداية سنة جديدة.

يا للتَّوافق البديع بين مردات الإنجيل وبين مزمور الإنجيل الذي يقول: «سبِّحوا الرَّب تسبيحاً جديداً. سبِّحوا الرَّب يا كل الأرض. سبِّحوا الرَّب وباركوا اسمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه. هللويا» (مزمور ٩٦:٢). بل إنَّ مضمون الإنجيل نفسه يتكلَّم عن الرَّب يسوع نفسه الكنز المخفي في حقل، الذي إذ وجده إنسان خبأه ومن الفرح مضى وباع كل شئ واشترى كل الحقل لكي يظفر بيسوع. وهو أيضاً الجوهرة الثَّمينة الغالية، التي إذ وجدها التَّاجر الماهر مضى وباع كل ما يملك ليقتنيها لنفسه.

ومن هنا نرى التَّناغم بين مرد الإنجيل ومضمونه - كما تذكر مخطوطاتنا - وإلاَّ يفقد المرد معناه كمرد، فهو مردٌ لأنه يرُد في تناغم على مضمون يسبقه.

ولستُ أدري لماذا أغفلنا تراثنا الثَّري، واكتفينا بمرد واحد يتيم لم يرد منه في أيّ من مخطوطاتنا سوى نصفه الأوَّل فقط، وهو: "بارك إكليل السَّنة بصلاحك"، وأمَّا نصفه الآخر الذي يقول: "الأنهار والينابيع والزُّروع والأثمار" فلم تشر إليه المخطوطات. إنه ربعٌ مأخوذ من ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز، والتي سبق أن ذكرتُ أنها لم تكن شائعة في كل الأرجاء حتى أوائل القرن العشرين.

تمجيد قبل قانون ختام صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز

يورد مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والتي يعود إلى سنة ١٤٤٤م ترتيب التَّمجيد الذي يجري بعد انتهاء صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز، فيقول ما يلي:

"... وتُكمَّل الصَّلاة كالعادة إلى آخر قراءة الكاهن تحليل الابن، فيقولون ⲕⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ (إكسمارووت) أي[٢٤]: 'مباركٌ أنت بالحقيقة مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس المعزي، لأنك أتيت وخلَّصتنا' وبعدها ⲭⲉⲣⲉ ⲕⲉⲭⲁⲣⲓⲧⲱⲙⲉⲛⲏ (شيري كي خاريتوميني)، أي: 'افرحي يا ممتلئة نعمة يا مريم، الرَّب معك، نعظمك'[٢٥].

وإن كان ثمَّ مهل يقولون لحن الرُّسُل ⲭⲉ ⲛⲏⲉⲧⲉⲧⲉⲛⲛⲁⲥⲟⲛⲥⲟⲩ أي: 'فإنَّ ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السَّموات ...'[٢٦]، وبرلكسه ⲕⲩⲣⲓⲟⲥ ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ أي: 'الرَّب يسوع المسيح اختار له رسلاً وهم ... الخ'[٢٧].

وإن كان ما ثمَّ مهل، يقولون البرلكس (فقط) وأمَّا للتِّلميذ (برثلماوس) فيقولون ⲧⲱⲃⲥ ⲛ̀ⲓⲏⲥ أي: 'اطلب من الرَّب عنَّا ...'.

وبعد ذلك تُقال الذُّكصولوجيَّة الآدام[٢٨] الخاصة بالرُّسُل، وبدايتها[٢٩]:

٢٤- ما يلي بعد كلمة "أي" هو شرح من عندي للتَّوضيح و لم يرد في المخطوط.

٢٥- هذا هو الرُّبع الأخير من القطعة الرُّومي التي تُقال للعذراء في التَّماجيد، والتي تبدأ بالرُّبع: "افرحي يا والدة الإله العذراء، يا شفيعة في العالم عند المخلِّص إلهنا، ونقدِّم له كل تسبيحنا ونعظمك".

انظر: كتاب التَّماجيد المقدَّسة، عني بطبعه القس دوماديوس البراموسي، ١٩٢٢م.

٢٦- هذا هو الرُّبع الثَّاني من اللَّحن الذي يُقال للرُّسُل والذي بدايته ⲡⲓⲣⲱⲙⲓ ⲉⲧⲧⲁⲗⲏⲟⲩⲧ أي: "أيها الرِّجال الرُّكَّاب السُّفن، المقلعين في البحيرة، تعالوا اتبعوني لأصيِّركم صيَّادي النَّاس ...".

انظر: كتاب التَّماجيد المقدَّسة، عني بطبعه القس دوماديوس البراموسي، ١٩٢٢م، ص ١١٦

٢٧- وهو أربعة أرباع، حيث يورد أسماء الرُّسُل الاثني عشر.

٢٨- كل الذُّكصولوجيَّات التي نرتِّلها في الكنيسة في صلوات رفع البُخور سواء في عشيَّة أو في باكر — باستثناء ذُكصولوجيَّة باكر آدام - هي ذكصولوجيَّات واطس. أمَّا الذُّكصولوجيَّات الآدام فهي المختصَّة بتماجيد العذراء والرُّسُل والشُّهداء والقدِّيسين، وتماجيد الأعياد السَّيديَّة أيضاً.

الرُّسُـــل بشَّـــروا في الأمم ..	ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ⲁⲧⲥⲱⲟⲩ ϩⲓⲛ ⲛⲓⲉⲑⲛⲟⲥ...

ويُطرح الطَّرح الآدام المختص بالتِّلميذ[٣٠]، ويفسَّر الطَّرحين، طرح أوَّل السَّنة وطرح التِّلميذ (برثلماوس).

ويقال بعدها ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛⲧⲉ ⲧⲥⲓⲣⲏⲛⲏ.. أي: "يا ملك السَّلام أعطنا سلامك ...".

ثمَّ يرفع الكاهن الصَّليب والإنجيل ويُقال كيرياليسون. وبعد ذلـــك يقبِّل الشَّعب (الصَّليب والإنجيل) وهم يرتِّلون بهذا القانون بلحن البولس:

قانون ختام الصَّلوات في عشيَّة عيد النَّيروز

مجِّدوا عظمة الـــرَّب معي، فلنعظِّم اسمه معاً، ولنسجد لصليبه نحـــن المسيحيِّين، ونرفعه فوق رؤوســـنا، صـــارخين جهراً: السَّلام لك أيها الصَّليب.	ⲙⲁⲁⲩⲟⲩ ⲛⲧⲙⲉⲉⲛⲓⲱⲧ ⲙ̅ⲡ̅ⲥ̅ ⲛⲉⲙⲙⲓ : ⲙⲁⲣⲉⲛⲑⲓⲥⲓ ⲙⲡⲉϥⲣⲁⲛ ⲉⲧⲥⲟⲡ : ⲟⲩⲟⲩ ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲩⲧ ⲙⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ⲁⲛⲟⲛ ⲛⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲓⲁⲛⲟⲥ ⲧⲉⲛⲑⲁⲥϥ ⲉⲭⲉⲛ ⲛⲉⲛⲁⲫⲏⲟⲩⲓ : ⲉⲛⲱⲱ ⲉⲃⲟⲗ ⲣⲏⲧⲟⲥ : Ⲭⲉⲭⲉⲣⲉ ⲛⲁⲕ ⲱ ⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ.

٢٩- هذه الذُّكصولوجيَّة الآدام لم ترد بنصِّها كاملاً في مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، وهي غير الذُّكصولوجيَّة الآدام التي وردت في كتاب التَّماجيد المقدَّسة والذي طبع سنة ١٩٢٢م، حيث تبدأ هذه الذكصولوجيَّة بالرُّبع الذي يقول: ⲡⲁⲓⲱ̅ ⲁⲫⲟⲧⲟⲣⲡⲟⲩ أي: "هؤلاء الاثني عشر أرسلهم مخلصنا وأمرهم هكذا قائلا: ...".

انظر: كتاب التَّماجيد المقدَّسة، عني بطبعه القس دوماديوس البراموسي، ١٩٢٢م، ص ١٢٠

٣٠- أي يُقال الطَّرح بطريقته المنغَّمة بالقبطيَّة.

Δοξα..	المجد ...
Ιϩc ερoτpo ebolƨi oτωe : κατα πcaxi ιπιψaλμoc : nictoιχιon xe aqτoτbωoτ ƨen πeqcταγpoc npeqτanƨo : ebolƨitoτq anoi ιπιδρo enikotcн nτe πιxaxi : neu τeqxoш τнpc etoi nxaki.	ملك الرَّب على خشبة كقول المزمور، لذا تقدَّست العناصر، بصليبه المحيي. وبواسطته أخذنا النّصرة على العدو وكل قوَّته المظلمة.
Κε Nτn..	الآن ...“

إلى هنا نص مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م.

ويورد مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م قانون تسريح بديع جداً، وهو القانون الذي ظلّت كنائس مصر القديمة تستخدمه منذ القديم. وهو:

قانون آخر لختام صلوات عشيَّة عيد النَّيروز

Διωini τнpoτ ιφooτ : niλaoc noρθoλoγoc : ιαρενƨωc ειнc Ιχc : ƨωc eΙϩc ƨen oτƨωc ιβερι : ƨιωennoτqι ιπεqoτxai neƨooτ ƨaτƨн nƨooτ : κατα πcaxi ιπιπροφнτнc.	تعالوا كلُّكم اليَوم أيها الشَّعب الأرثوذكسي: فلنسبِّح يسوع المسيح. سبِّحوا الرَّب تسبحة جديدة، بشروا بخلاصه يوماً فيوماً كقول النَّبي.
Δοξα..	المجد ...
Oτπνeυμα nτe Ιϩc etλн ƨixωι eoβe фai aqθaƨc ιμμoι :	روح الرَّب عليَّ، لأجل هذا مسحني

لأبشِّر المساكين بسنة مقبولة للرَّب.	ⲉⲥⲓⲱϣⲉⲛⲛⲟⲩϥ ⲛⲛⲓⲃⲏⲕⲓ : ⲉⲥⲓⲱⲱϥ ⲛⲟⲩⲣⲟⲙⲡⲓ ⲉⲥϣⲛⲧ ⲙ̀Ⲡⲥ̅.
الآن ...	Ⲕⲉ Ⲛⲩⲛ..
واحدٌ من الاثني عشر رسولاً اسمه برثلماوس، التِّلميذ المكرَّم، اختاره الرَّب يسوع ابن الله بالحقيقة، ليبشِّر في المسكونة.	Ⲟⲩⲁⲓ ⲡⲉ ⲉⲃⲟⲗϩⲉⲛ ⲡⲓⲃ̅ ⲛ̀ⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ⲉⲧⲉ ⲡⲉⲕⲣⲁⲛ ⲡⲉ ⲃⲁⲣⲑⲟⲗⲱⲙⲉⲟⲥ : ⲡⲓⲙⲁⲑⲏⲧⲏⲥ ⲉⲧⲧⲁⲓⲛⲟⲩⲧ : ⲁϥⲥⲟⲧⲡϥ ⲛ̀ⲭⲉ Ⲡⲥ̅ Ⲓⲏ̅ⲥ̅ ⲡ̀ϣⲏⲣⲓ ⲙ̀Ⲫ† ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ: ⲉⲑⲣⲉϥⲥⲱⲱϥ ϩⲉⲛ †ⲟⲓⲕⲟⲩⲙⲉⲛⲏ.
الآن ...[٣١]	Ⲕⲉ Ⲛⲩⲛ..

وبانتهاء عمل التَّمجيد، وترديد قانون ختام الصَّلوات، تنتهي صلوات رفع بخور عشيَّة عيد النَّيروز، رأس السَّنة القبطيَّة.

ثالثاً: صلوات رفع بخور باكر عيد النَّيروز

وهي كما مرَّ في صلوات رفع بخور عشيَّة، باستثناء مرد إنجيل باكر، الذي يقول:

مرد إنجيل باكر عيد النَّيروز

لكن يسكبون خَمراً جديداً في زق جديد، وليس أحدٌ يشرب القديم، يريد الجديد	Ⲁⲗⲗⲁ ϣⲁⲧⲥⲓ ⲏⲣⲡ ⲛ̀ⲁⲃⲉⲣⲓ ⲉⲁⲥⲕⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲃⲉⲣⲓ : ⲟⲩⲟⲥ ⲛⲓⲙⲟⲛ ϩⲁⲓ ⲉϥⲥⲱ ⲛⲁⲡⲁⲥ : ⲟⲩⲁⲱ ⲃⲉⲣⲓ ⲉϥϫⲱ ⲛⲓⲙⲟⲥ : ϫⲉ ϥⲥⲟⲗϫ ⲛ̀ⲭⲉ

٣١- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٢

قائلاً: إنَّ القديم حلو. | πιαπαc.

وهذا المرد هو تعقيب على فصل إنجيل باكر (مرقس ٢:١٨-٢٢) الذي يقول فيه السيِّد المسيح: «وليس أحدٌ يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزُّقاق، فالخمر تنصب والزُّقاق تتلف، بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة».

وجدير بالملاحظ هنا أنَّ هذا الفَصل قد ورد في بشائر القدِّيسين متى (ص ٩) ومرقس (ص ٢) ولوقا (ص ٥)، إلاَّ أنَّ إنجيل القدِّيس لوقا وحده هو الذي أضاف قول الرَّب: «وليس أحدٌ إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد، لأنه يقول العتيق أطيب» (لوقا ٥:٣٩)، وهو ما يشير إليه مرد الإنجيل السَّابق ذكره. فهل أراد المرد بذلك أن يكمِّل قول الرَّب الذي لم يرد ذكره في فصل الإنجيل الذي قُرئ من مرقس البشير؟ أم أنَّ فصل إنجيل باكر عيد النَّيروز كان من بشارة القدِّيس لوقا في ناحية من نواحي مصر، أي في واحد من القطمارسات المخطوطة، وكان المرد يتبع هذا القطمارس المخطوط؟ إنَّ دراسة قطمارسات الكنيسة القبطيَّة على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة لم تنل حتى اليَوم نصيبها من البحث، باستثناء بعض دراسات لبعض الباحثين من الأجانب في تراثنا القبطي[٣٢].

وفي نهاية صلوات رفع بخور باكر، وبعد قراءة تحليل الابن يجلسون ويقرأون ميمر أوَّل السَّنة، وبشارة الرَّسول برثلماوس وشهادته. وبعد ذلك يرفع الكاهن الإنجيل والصَّليب، ويُقبِّلهما الشَّعب.

أمَّا قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور باكر فهو كما مرَّ في ختام

٣٢- مثل الدِّراسة التي نشرها الأب أوجو زانيتي Ugo Zanetti اليسوعي في سنة ١٩٨٥م.
Ugo Zanetti, *Les lectionaires coptes annuels, basse Egypte*, Louvain, 1985.

صلوات رفع بخور عشيَّة[٣٣].

رابعاً: قدَّاس عيد النَّيروز

مرد الإبركسيس

من المهم أن نعرف هنا أنه حين تصمت مخطوطات ترتيب البيعة عن أي مردات للإبركسيس تُقال في الأعياد والمناسبات الكنسيَّة المختلفة، فذلك بسبب أنَّ مرد الإبركسيس هو دائماً المرد الذي لا يخرج معناه عن البُخور والمجمرة الذَّهب التي يحملها الكاهن في يديه في هذه اللَّحظات بالذَّات أي أثناء ترتيل هذا المرد.

وتشير كل مخطوطاتنا وكُتُبنا الطَّقسيَّة القديمة إلى أنَّ مرد الإبركسيس لم يكن يخرج عن واحد من مردَّين لا غير.

فيقول ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في ذلك وهو يتحدَّث عن طقس القدَّاس ما نصُّه: "... وبعد رفع البخور الثاني وقت هذه الأوشية[٣٤] وقبل قراءة بركسيس يرتل الشعب بصورة من ثاوضوكية يوم الاحد او بعض صوره وهي ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ ⲁⲛⲧⲟⲧⲉ"[٣٥].

وهذا المرد الذي يشير إليه ابن كبر هو الرُّبع السَّادس من القطعة السَّادسة من ثيؤطوكيَّة الأحد وهو: "حينئذ بالحقيقة لا أخطئ في شئ إذا دعوتك **المجمرة الذَّهب**".

٣٣- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٤٣

٣٤- يقصد أوشيَّة الكاثوليكون.

٣٥- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٧

أمَّا البابا غبريال الخامس فيورد مرد الإبركسيس الذي يقال على مدار السَّنة الطَّقسيَّة فيقول في ذلك: "وعند انتهاء تفسير القتاليقون يرتلون Ⲕⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ وبعدها Ⲱⲁⲣⲉ Ⲫⲧ ⲱⲁⲓ ⲙⲙⲁⲩ وإلا يقولوا كسماروت لا غير"[٣٦].

وهو نفس ما يذكره مخطوط ترتيب البيعة بمكتبة دير البراموس لسنة ١٥١٤م الذي يقول: "وعند قراءة الكاثوليكون يرتلون Ⲱⲁⲣⲉ Ⲫⲧ "[٣٧].

وهذا المرد الذي يشير إليه البابا غبريال الخامس هو الرُّبع الثَّامن من نفس القطعة السَّادسة من ثيؤطوكيَّة الأحد ونصُّه:

"يرفع الله هناك خطايا الشَّعب من قِبَل المحرقات **ورائحة البُخور**".

فهذا هو مرد الإبركسيس على مدار السَّنة الليتورجيَّة، ولكنه اليَّوم يقال كمرد إبركسيس لقدَّاسات أيام الصَّوم المقدَّس الكبير دون سبوته وآحاده[٣٨]!.

الأرباع المصاحبة للثَّلاثة تقديسات

يورد مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة

٣٦- أضاف القُمُّص عبد المسيح البراموسي في خولاجي سنة ١٩٠٢م قائلاً: ففي رُبع Ⲕⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ هذا يقولون Ⲁⲕⲓ أي أتيت. أو Ⲁⲧⲙⲁⲥⲕ أي وُلدت. أو Ⲁⲕⲃⲱⲥ أي اعتمدتَ. أو Ⲁⲧⲁϣⲕ أي صلبتَ. أو Ⲁⲕⲧⲱⲛⲕ أي قمتَ. وكان الطَّقس القديم – بحسب المصادر الطَّقسيَّة القديمة – لا يعرف سوى "أتيتَ"، على مدار السَّنة الطَّقسيَّة باستثناء أسبوع البَصخة والخمسين المقدَّسة. ثم تعبير "صُلبتَ" في أسبوع البَصخة المقدَّسة، وتعبير "قمتَ" في الآحاد والخمسين المقدَّسة.

٣٧- الأنبا صموئيل، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص ٢٢

٣٨- لتفصيل أوفر، انظر للمؤلِّف كتاب: "صوم نينوى والصَّوم المقدَّس الكبير".

لسنة ١٤٤٤م أرباعاً تُقال بالنَّاقوس في نهاية[٣٩] الثَّلاثة تقديسات (أجيوس) التي تسبق قراءة فصل الإنجيل المقدَّس، وهي:

فلنسبِّح ونمجِّد ونسجد للثَّالوث القدُّوس، المساوي، الدَّائم إلى الأبد.	Ⲁⲁⲣⲉⲛⲍⲱⲥ ⲛⲧⲉⲛⲧⲱⲟⲩ : ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲡ ⲛ̀ⲧ̀ⲧⲣⲓⲁⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ : ⲉⲥⲟⲓ ⲛⲟⲩⲟⲙⲟⲥⲓⲟⲥ : ⲉⲑⲙⲏⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϣⲁ ⲉⲛⲉⲍ.
البُخور هو مريم ...	Ⲟⲩⲑⲩⲙⲓⲁⲙⲁ ⲡⲉ Ⲙⲁⲣⲓⲁ...
البُخور هو يسوع ...	Ⲟⲩⲑⲩⲙⲓⲁⲙⲁ ⲡⲉ Ⲓ̅Ⲥ̅...
الشَّاروبيم والسِّيرافيم	Ⲙ̀ⲡⲭⲉⲣⲟⲩⲃⲓⲙ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲥⲉⲣⲁⲫⲓⲙ..
قدوسٌ الرَّب ...	Ⲭⲟⲩⲁⲃ Ⲡ̅Ⲥ̅ ...

كما تورد مخطوطات ترتيب البيعة مردَّات بديعة المعنى على إنجيل القدَّاس، وفيما يلي نصُّها:

مرد إنجيل قدَّاس عيد النَّيروز[٤٠]

روح الرَّب عليَّ، لأجل هذا مسحني، أرسلني لأبشِّر المساكين، لأبشِّر بسنة مقبولة للرَّب.	Ⲟⲩⲡ̅ⲛ̅ⲁ̅ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡ̅Ⲥ̅ ⲡⲉⲧⲭⲏ ⲉⲓⲭⲱⲓ : Ⲉⲑⲃⲉ ⲫⲁⲓ ⲁⲫⲁⲁⲥⲥⲧ : ⲁⲫⲟⲧⲱⲣⲡ ⲙ̀ⲙⲟⲓ ⲉ̀ⲃⲓⲱⲉⲛⲛⲟⲩⲧⲉ ⲛ̀ⲛⲓⲃⲏⲕⲓ : ⲉ̀ⲃⲓⲱⲓⲱ ⲛ̀ⲟⲩⲣⲟⲙⲡⲓ ⲉⲥⲱⲏⲡ ⲙ̀Ⲡ̅Ⲥ̅.

٣٩- تذكر جميع المخطوطات أنَّ هذه الأرباع تُقال — في كل المناسبات الكنسيَّة — في نهاية الثَّلاثة تقديسات، وليس في بدايتها كما نرى اليَوم في كل كنائسنا.

٤٠- وهو المرد الذي تورده جميع مخطوطات ترتيب البيعة.

مرد آخر لإنجيل قدَّاس عيد النَّيروز(٤١)

نطلب من صلاحك أن تملأنا من مواهبك الإلهيَّة، لنثمر ثماراً مقبولة أمامك في يوم الخلاص.	ⲧⲉⲛⲧⲱⲃⲥ ⲛⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲁⲅⲁⲑⲟⲥ : ⲙⲁⲣⲧⲉⲛ ⲅⲉⲛ ⲛⲉⲕⲁⲣⲡⲁ ⲛⲛⲟⲩⲧ : ⲛⲧⲉⲛϯⲟⲩⲧⲁⲃ ⲉϥϣⲏⲡ ⲙⲡⲉⲕⲙⲟ : ⲅⲉⲛⲡⲓⲉⲃⲟⲟⲩ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩⲭⲁⲓ.

وهذان المردَّان السَّابق ذكرهما قد أوردهما مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، أي أنهما ربعان يقالان معاً كمرد واحد يعقب إنجيل قدَّاس عيد النَّيروز(٤٢). وأكرِّر دوماً مشيراً إلى أهميَّة هذا المخطوط المذكور الذي ينقل إلينا طقوس صلوات كنائس مصر القديمة، برغم أنه محفوظ في مكتبة الدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة.

مرد آخر لإنجيل قدَّاس عيد النَّيروز(٤٣)

بارك إكليل السَّنة بصلاحك، وبشِّر شعبك بسنة الرَّب المقبولة.	ⲉⲕⲉⲥⲙⲟⲩ ⲉⲡⲓϫⲗⲟⲙ ⲛⲧⲉ ϯⲣⲟⲙⲡⲓ ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲧⲉⲕⲙⲉⲧⲭⲣⲏⲥⲧⲟⲥ: ⲟⲩⲟⲥ ⲉⲕⲉⲥⲱⲟⲩ ⲙⲡⲉⲕⲗⲁⲟⲥ : ⲅⲉⲛ ⲟⲩⲣⲟⲙⲡⲓ ⲉϥϣⲏⲡ ⲙ̀Ⅱ̅ⲥ̅.

ووقت الإبروسفارين يقولون هذا الأسبسمس الآدام:

الأسبسمس الآدام لعيد النَّيروز

كل علَّة شريرة	ⲁⲱⲓϫⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲉⲧⲥⲱⲟⲩ ⲙⲁⲣⲉⲛϫⲁⲩ

٤١- وهو بحسب مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، ومخطوط السِّريان لسنة ١٦٩٨م.

٤٢- انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٤٤

٤٣- وهو بحسب مخطوط السِّريان لسنة ١٧١٩م.

فلنتركها، ولنطّهر قلوبنا باسم الرَّب.	ⲛⲥⲱⲛ : ⲙⲁⲣⲉⲛⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛⲛⲉⲛϩⲏⲧ ⲉϩⲟⲩⲛⲉⲫⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲡ̅ⲥ̅.
ليت اسم الرَّب يصير فينا، ليُنير علينا في إنساننا الدَّاخلي.	Ⲙⲁⲣⲉ ⲫⲣⲁⲛ ⲙ̀Ⲡ̅ⲥ̅ : ⲯⲱⲡⲓ ⲛ̀ϩⲏⲣⲓ ⲛ̀ϩⲏⲧⲉⲛ : ⲛⲧⲉⲩⲉⲣⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲉⲣⲟⲛ : ϩⲉⲛ ⲡⲉⲛⲣⲱⲙⲉ ⲉⲧⲥⲁϩⲟⲩⲛ.
في الحين الحسن تسمعنا. يا ربَّنا يسوع أعنَّا.	Ⲃⲉⲛ ⲟⲩⲥⲛⲟⲩ ⲉⲩⲯⲱⲡ : ⲉⲕⲉⲥⲱⲧⲉⲙ ⲉⲣⲟⲛ : ⲱ Ⲡⲉⲛ̅ⲥ̅ Ⲓⲏ̅ⲥ̅ : ⲁⲣⲓⲃⲟⲏⲑⲓⲛ ⲉⲣⲟⲛ.

في التَّوزيع

أمَّا في التَّوزيع، فيقول مخطوط ترتيب البيعة بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م ما يلي:

ووقت القُربان، إن كان وسط الجمعة[٤٤] يُقال Ⲁ̅ⲗ̅ ⲥⲙⲟⲩ ⲉ̀Ⲫ† أي: "هلليلويا سبِّحوا الله ..." سنوي دمج. وبعدها Ⲭⲉ ⲉ̀ⲡⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ (جي إفسماروأوت) أي: "مباركٌ الآب والابن والرُّوح القُدُس ... الخ" سنوي.

وإن كان يوم الأحد يُقال Ⲁ̅ⲗ̅ ⲥⲙⲟⲩ ⲉ̀Ⲫ† بلحن الأحد وتلوها Ⲭⲉ ⲉ̀ⲡⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ بلحن الأحد أيضاً.

وبعد ذلك يقولون لحن الرُّسُل، وبرلكسه إلى أن ينتهي التَّوزيع فيقولون هذا القانون:

٤٤- أي في أي يوم من أيام الأسبوع ما عدا الأحد.

قانون ختام صلوات قدَّاس عيد النَّيروز

ⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲩⲓⲁ.. ⲡⲉ ⲙⲡⲛ..	هلليلويا المجد ... الآن ...
ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗϩⲉⲛ ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲥⲛⲟϥ ⲛⲧⲉ ⲡⲭⲥ: ⲁ ⲡⲉⲛϩⲏⲧ ⲱⲟⲩⲛⲓ ⲙⲙⲉⲣⲓ.	أخذنا من جسد ودَّم المسيح، قلبُنا صار جديداً.
ⲱ ⲡⲓⲥⲱⲧⲏⲣ: ⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ..	أيها المخلِّص اغفر لنا خطايانا ...
ⲡⲭⲥ ⲡⲓⲗⲟⲩⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲫⲓⲱⲧ..	أيها المسيح كلمة الآب ...

ويختم الكاهن بقراءة البَركة ويصرف الشَّعب بسلام.

ولا يفوتنا هنا قانون ختام الصَّلوات في عيد النَّيروز المجيد والذي يقول: "أخذنا من جسد ودم المسيح، قلبُنا صار جديداً"، هذا هو كمال الكمالات وغاية كل الصَّلوات، فقد صار قلبُنا جديداً بعد أن تناولنا جسد ودم الإله الوحيد، وأُنبِّه ذهن القارئ العزيز إلى ما سبق أن بدأنا به صلوات عيد النَّيروز، حين رتَّلنا في مستهلها قائلين: "صوِّر في أنفسنا جمال صورتك. لأنَّ المجد هو لإلهنا، المجد لك يا إلهنا"، وهكذا يتصوَّر المسيح فينا، حين يصير لنا قلبٌ جديد بالتَّناول من الأسرار الإلهيَّة المقدَّسة. فهل تفوتنا هذه المناسبة الكنسيَّة المقدَّسة - أي رأس السَّنة القبطيَّة - بدون أن نشترك فيها مع كل الكنيسة في التَّسبيح والتَّهليل والصَّلاة والتَّناول من الأسرار المقدَّسة؟ لا أظن.

حول المرد الذي يُقال حالياً في التَّوزيع مع المزمور ١٥٠

بعد كل ما سبق ذكره عن أرباع ومردَّات تُقال في عيد النَّيروز،

يعزُّ علينا أن تُختزل هذه الأرباع وهذه المردَّات لتصبح ربعاً واحداً من ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز، والذي نصُّه: "بارك إكليل السَّنة بصلاحك، الأنهار والينابيع والزُّروع والثِّمار" هو الذي يُقال حالياً في أرباع النَّاقوس، وهو أيضاً مرداً للإبركسيس، وهو أيضاً مرداً للمزمور، وهو أيضاً مرداً للإنجيل.

أمَّا أن يُصبح هذا الرُّبع هو المرد الذي يُقال بلحن الفَّرح في مزمور التَّوزيع، وهو المزمور الـ ١٥٠ فهو ما يحتاج إلى مراجعة، ذلك لأنَّ المزمور الـ ١٥٠ عندما نُلحق به أرباعاً كمردات له في الأعياد السَّيديَّة، يكون المرد حول عمل السيِّد المسيح في تدبير الخلاص، لكي يتوافق المعنى بين أرباع هذا المزمور والرُّبع الذي يُقال كمرد لهذه الأرباع. كأن نقول: "سبِّحوه على مقدرته، الليلويا. (أي سبِّحوا) يسوع المسيح ملك المجد الذي قام من بين الأموات". أو أن نقول: "سبِّحوه في جلد قوَّته، الليلويا. (أي سبِّحوا) يسوع المسيح ابن الله الذي وُلد في بيت لحم"، وهكذا. وهذا إن صارت أرباع المزمور الـ ١٥٠ موجَّهة إلى الابن الكلمة الوحيد، حيث يُختم المزمور بالذُّكصا للآب والابن والرُّوح القُدُس. وعند قولنا في الرُّبع الأخير: "المجد لإلهنا" نختم قائلين: "يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا".

وعلى ذلك فإن قُلنا الرُّبع الوحيد الذي يتكرَّر في عيد النَّيروز، كمرد للمزمور المائة والخمسين، فهو أمرٌ لا يعبِّر عن التَّرابط بين أرباع المزمور والمرد المصاحب لهذه الأرباع. فما معنى أن نقول مثلاً: "سبِّحوه بصوت البوق، الليلويا. بارك إكليل السَّنة بصلاحك يارب". وعلى العموم هذه هي الحالة الوحيدة في أعياد الكنيسة التي تُصلَّى بلحن الفَّرح والتي لا يتوافق فيها المرد مع مزمور التَّوزيع.

الفصل الثاني

الاحتفال بالقدّيس يوحنا المعمدان في مستهل السَّنة القبطيَّة

تمهيد

يحتل الشَّهيد والقدِّيس يوحنا المعمدان كرامة فائقة في الكنيسة، فهو يأتي في التَّكريم بعد السيِّدة العذراء القدِّيسة مريم والدة الإله، والطَّغمات السَّمائيَّة، وقبل كل الأنبياء والرُّسُل والشُّهداء والقدِّيسين.

هذا هو ابن الموعد، وابن الصَّلاة المستجابة[١]. سُمِّي باسمه "يوحنا" عند المذبح قبل أن يُحمل به في البطن، وامتلأ من الرُّوح القُدُس وهو لم يزل بعد في بطن أمه.

هذا هو يوحنا المعمدان الذي شهدت له السَّماء بأنَّ كثيرين سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرَّب، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرَّب إلههم، ويتقدَّم أمامه بروح إيليا وقوَّته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيئ للرَّب شعباً مستعداً[٢].

وعاش يوحنا في براري الأردن ناسكاً زاهداً، فكان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد، أمَّا طعامه فكان جرادا وعسلا بريًا[٣].

وصار ليوحنا تلاميذ كثيرون، وكان يعلِّمهم كثيراً، حتى صاروا قادرين على محاورة اليهود في أمور عوائدهم[٤].

١- لوقا ١:١٣
٢- لوقا ١:١٤-١٧
٣- متى ٣:٤
٤- انظر: يوحنا ٣:٢٥

وفي أيام رئيس الكهنة حنَّان وقيافا كانت كلمة الله على فم يوحنا بن زكريا في برِّيَّة اليهوديَّة وجميع الكورة المحيطة بالأردن، فصار يكرز بمعموديَّة التَّوبة لمغفرة الخطايا[٥]، مهيئاً الشَّعب لمعموديَّة المسيح[٦]، قائلا: أنا أعمِّدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني، وهو في وسطكم قائم ولكنكم لستم تعرفونه، الذي لستُ أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالرُّوح القُدُس ونار[٧].

فأقبل جميع الشَّعب إلى يوحنا يستمعون إليه، ويقدِّمون التَّوبة، ويعتمدون منه في عين نون بقرب ساليم[٨]. وكان يقول لهم: إنَّ الفأس قد وُضعت على أصل الشَّجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النَّار. من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا. لا تستوفوا أكثر ممَّا فُرض لكم. لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم[٩].

وكان الجميع يفكِّرون في قلوبهم عن يوحنا لعلَّه المسيح[١٠]. فاعترف ولم ينكر وأقرَّ إني لستُ أنا المسيح[١١]. ولم يكن يعرف عن نفسه سوى أنه مجرَّد صوت ينادي لإعداد طريق الرَّب[١٢]، ويا له من صوت.

وفي هدوء وبين النَّاس الكثيرين جاء المسيح ليعتمد من يوحنا في

٥- لوقا ٣:٢
٦- لم يكن يسوع هو الذي يعمِّد بل تلاميذه.
٧- لوقا ٣:١٦
٨- يوحنا ٣:٢٣
٩- لوقا ٣:٧-١٤
١٠- لوقا ٣:١٥
١١- يوحنا ١:٢١
١٢- لوقا ٣:٤-٦

الأردن، ولم يكن يوحنا يعرف المسيح من هو[١٣]، ولكنَّه علم بإعلان وبصوت سمائي، أنَّ الذي يرى الرُّوح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالرُّوح القُدُس. وفي مياه الأردن رأى يوحنا ما لم يره غيره، إذ رأى الرُّوح نازلا مثل حمامة من السَّماء فاستقر عليه[١٤]. ويا لعجب الاتضاع الذي للمعمِّد، والأعجب منه بر اتضاع المعمَّد. فهنا يقول يوحنا للمسيح: أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إليَّ[١٥]، ويقول الرَّب لعبده اسمح الآن، لأنه يليق بنا أن نكمِّل كل بر.

وبعد أن اعتمد الرَّب وخرج إلى البريَّة أربعين يوماً في صوم وصلاة دائمَين، وانتصر على إبليس في أقصى وأعنف مواقعه، عاد ليبدأ خدمته، فأقبل إلى يوحنا، لكي تبدأ خدمته بشهادة لم يكن يحتاجها[١٦]، ولكن الشَّعب كان يحتاجها بكل تأكيد. حينئذ قال يوحنا مشيراً إلى المسيح: 'هوذا حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم. هذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجل صار قدَّامي، لأنه كان قبلي'. ثمَّ كشف يوحنا السِّر الذي رآه بينما كان يعمِّد الرَّب في مياه الأردن، حين رأى الرُّوح القُدُس نازلاً ومستقراً عليه. فقال: 'وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن الله'[١٧].

هذا هو يوحنا المعمدان الذي شهد عن المسيح أنه ابن الله قبل أن يشهد له بطرس، وأنه حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم قبل أن يدرك العالم كُنه رسالة المسيح وغاية إرساليَّته.

١٣- يوحنا ١:٣٢

١٤- يوحنا ١:٣٢

١٥- متى ٣:١٣، ١٤

١٦- قال يسوع: وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا. لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي إن الآب قد أرسلني (يوحنا ٥:٣٦).

١٧- يوحنا ١:٢٩-٣٤

وشهد يوحنا للمسيح قائلاً للجموع: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السَّماء. أنتم تشهدون لي أني قلت لستُ أنا المسيح، بل إني مُرسل أمامه. من له العروس فهو العريس. إذاً فرحي هذا قد كمُل. ينبغي أنّ ذلك يزيد وأني أنا أنقص. الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلّم. الذي يأتي من السَّماء هو فوق الجميع. وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته فقد ختم أنّ الله صادق. لأنّ الذي أرسله الله يتكلّم بكلام الله[١٨].

وامتدَّت كرازة يوحنا بالمسيح وبالتَّوبة حتى بلغت إلى قصر هيرودس نفسه. وكان هيرودس يهاب يوحنا عالما انه رجل بار وقدِّيس وكان يحفظه، وإذ سمعه بسرور فعل كثيرا بما كان يسمعه[١٩]. ولكن بسبب وشاية هيروديا[٢٠] أراد أن يقتله، ولكنه خاف من الشَّعب لأنه عندهم مثل نبي، فاكتفى بأن ألقاه في السِّجن.

وإذ طال سجنه أرسل يوحنا اثنين من تلاميذه ليسألا المسيح: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟. فأجاب يسوع وقال لهما: طوبى لمن لا يعثر فيّ[٢١].

ولَّما رقصت ابنة هيروديَّا، وتلقَّنت من أمِّها، قالت لهيرودس: أعطني ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان. فأرسل وقطع رأس يوحنا في السِّجن. فتقدم تلاميذ يوحنا ورفعوا الجسد ودفنوه، ثمّ أتوا وأخبروا يسوع[٢٢]. وظلّ

١٨- يوحنا ٣:٢٦-٣٦
١٩- مرقس ٦:٢٠
٢٠- متى ١٤:٤
٢١- متى ١١:٢-٦
٢٢- متى ١٤:٣-١٢

هيرودس يخاف من يوحنا حتى بعد أن قطع رأسه، إذ ظنَّ أنَّه قام[٢٣].

ومضى يسوع إلى عبر الأردن إلى المكان الذي كان يوحنا يعمِّد فيه أولاً ومكث هناك. فأتى إليه كثيرون وقالوا إنَّ يوحنا لم يفعل آية واحدة. ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقا[٢٤].

وشهد يسوع ليوحنا مخاطباً رؤساء الكهنة وشيوخ الشَّعب قائلاً لهم: إنَّ العشَّارين والزَّواني يسبقونكم إلى ملكوت الله، لأنَّ يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأمَّا العشَّارون والزَّواني فآمنوا به، وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به[٢٥]. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق[٢٦].ماذا خرجتم إلى البريَّة لتنظروا، أقصبة تحرِّكها الرِّيح؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا، أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟ هوذا الذين في اللِّباس الفاخر والتَّنعُّم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً، نعم أقول لكم وأفضل من نبي، لأني أقول لكم: إنه بين المولودين من النِّساء ليس نبيٌّ أعظم من يوحنا المعمدان، ولكنَّ الأصغر في ملكوت الله أعظم منه[٢٧]. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السَّموات يغصب والغاصبون يختطفونه[٢٨].

هذا هو خاتم الأنبياء والمرسلين، لأنَّ جميع الأنبياء والنَّاموس إلى يوحنا تنبأوا[٢٩].

٢٣- متى ١٤:٢ ؛ مرقس ١٤:٦ ؛ لوقا ٧:٩
٢٤- يوحنا ١٠:٤٠، ٤١
٢٥- متى ٢١:٣١، ٣٢
٢٦- يوحنا ٥:٣٣
٢٧- يوحنا ٧:٢٤-٢٨
٢٨- متى ١١:١٢
٢٩- متى ١١:١٣

اليَوم الثّاني من توت

قطع رأس يوحنا المعمدان

صلوات رفع بخور عشيَّة اليوم الثّاني من توت

صلاة رفع بخور عشيَّة **كالعادة**. وفي وسط الصَّلاة يقولون ذُكصولوجيَّة يوحنا المعمدان والتي بدايتها: **Ⲩⲡⲉ ⲟⲩⲟⲛ ⲧⲱⲛϥ ⲛⲉⲛ** أي: "لم يقم في مواليد النِّساء من يشبهك ..." بعد **ⲛⲓⲁⲓⲛⲓⲱⲓ ⲭⲉⲣⲉ** أي: "السَّلام لك أيتها العذراء ...". وبعدها يُطرح الطَّرح الواطس. وإذا طافوا بالإنجيل حول المذبح بعد طرح المزمور يقولون:

دورة إنجيل رفع بخور عشيَّة اليَوم الثّاني من توت

الصدِّيق كالنَّخلة يزهر، وكمثل أرز لبنان ينمو، مغروسين في بيت الرَّب وفي ديار بيت إلهنا زاهرين. هلليلويا.	**Ⲡⲓⲇⲓⲁⲓⲟⲥ ⲉϥⲉϣⲓⲣⲓ : ⲙⲡⲣϩⲧ ⲙⲡⲓⲃⲉⲛⲓ : ⲟⲩⲟⲥ ⲉϥⲉⲁⲩⲁⲓ : ⲙⲡⲣϩⲧ ⲙⲡⲓϣⲉⲛⲥⲓϥⲓ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲗⲩⲧⲃⲁⲛⲟⲥ : ⲇⲉⲛ ⲧⲏⲓ ⲙⲡⲟ̅ⲥ̅ : ⲁⲩϣⲓⲣⲓ ⲉⲃⲟⲗ ⲇⲉⲛ ⲛⲓⲁⲩⲗⲏⲟⲩ ⲛⲧⲉ ⲧⲏⲓ ⲙⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ : Ⲁ̅Ⲗ̅.**

مرد إنجيل رفع بخور عشيَّة اليَوم الثّاني من توت

يورد مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م، مردَّات إنجيل عشيَّة عيد يوحنا المعمدان في هذا اليَوم.

Χερε πινιωτ ⲙ̀προφητης : ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ πιρεqϯωⲛⲥ : ⲛ̀ⲱⲟⲣⲓ ⲙ̀πιοτηϐ : πιστϩενηc ⲛ̀Ⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ.

السَّلام للنَّبي العظيم يوحنا المعمدان ابن الكاهن نسيب عمانوئيل.

Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ⲱ ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ : πιστϩενηc ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡ̅Ⲭ̅ⲥ̅ : πⲡ̀προφητης πⲡ̀πρὸⲅⲟⲙⲟⲥ : ϩⲁⲕⲱⲕ ⲙ̀πεqⲥ̅ⲥ̅ πιρεqϯωⲛⲥ.

طوباك يا يوحنا نسيب المسيح، النَّبي المعمِّد، السَّابق لربِّه.

Ⲁqϫⲱⲕ ⲙ̀πεqⲡ̀ⲅⲟⲙⲟⲥ ⲉⲃⲟⲗ : ⲉⲁqⲙⲟⲩ ⲉϫⲉⲛ ϯⲙⲉⲑⲙⲏ : ⲁqⲃⲓ ⲙ̀πⲓϫⲗⲟⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲱⲛϩ : ϣⲁ ⲉⲛⲉϩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲉⲛⲉϩ.

أكمل سعيه ومات على الحق وأخذ إكليل الحياة إلى أبد الأبد.

قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور عشيَّة وباكر اليَوم الثَّاني من توت

ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ ⲛ̀ⲱⲟⲣⲓ ⲛ̀Ⲍⲁⲭⲁⲣⲓⲁⲥ : ⲁⲩⲥⲁϫⲓ ⲉⲑⲃⲏⲧⲟⲩ ⲉⲩⲭⲱ ⲙ̀ⲙⲟⲥ : ⲛ̀ⲁⲭⲉ Ⲡ̅Ⲥ̅ⲟ̅ⲥ̅ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ Ⲡ̅Ⲭ̅ⲥ̅ : ϩⲉⲛ ⲡⲓⲉⲩⲁⲅⲅⲉⲗⲓⲟⲛ ⲉⲑⲩ̅.

يوحنا ابن زكريا تكلَّم عنه الرَّب يسوع المسيح في الإنجيل المقدَّس قائلاً:

Ⲭⲉ ⲙ̀ⲡⲉ ⲟⲩⲟⲛ ⲧⲱⲛⲟ ϩⲉⲛ ⲛⲓϫⲓⲛⲙⲓⲥⲓ : ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓϩⲓⲟⲙⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ : ⲉϩⲟⲩⲧⲉ ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ πιρεqϯωⲛⲥ : ⲱ πιστϩενηc ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡ̅Ⲭ̅ⲥ̅.

إنه لم يقم في مواليد النِّساء كلّهن أعظم من يوحنا المعمدان. يا نسيب المسيح.

Ⲇⲟϫⲁ Ⲡⲁⲧⲣⲓ..

المجد للآب ...

ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ πⲡ̀πρὸⲅⲟⲙⲟⲥ : Ⲏⲥⲁⲓⲁⲥ

يوحنا المعمدان، تنبأ

عنه إشعياء قائلاً، صوتُ صارخ في البريَّة، أعدُّوا طريق الرَّب الإله، قوِّموا طرقه يا بني إسرائيل.	ⲁϥⲥⲁϫⲓ ⲉⲑⲃⲏⲧϥ : ϫⲉ ⲧⲥⲱⲙⲏ ⲙ̀ⲡⲉⲧⲱⲱⲡⲉⲃⲟⲗ ⲉⲓ ⲛ̀ⲣⲁϥⲉ : ϫⲉ ⲥⲉⲃⲧⲉ ⲫⲱⲱⲓⲧ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡⲟⲥ Ⲫ† : Ⲟⲩⲟⲥ ⲥⲱⲧⲟⲩⲛ ⲛ̀ⲛⲉϥⲙⲁⲓⲙⲟⲩⲓ ⲛⲉⲛⲱⲟⲏⲣⲓ ⲙ̀Ⲡⲓⲥⲁ.
الآن ...	Ⲕⲉ ⲛⲩⲛ ..

تمجيد للقدّيس يوحنا المعمدان بعد صلوات رفع بخور عشيَّة

وبعد انتهاء صلوات عشيَّة وبعد قانون ختام الصَّلوات يعملون تمجيداً للقدّيس يوحنا المعمدان. ويُقال فيه لحن يوحنا المعمدان[٣٠].

لحن ليوحنا المعمدان

اسم فخر هو اسمك ...	Ⲟⲩⲣⲁⲛ ⲛ̀ⲱⲟⲩⲱⲟⲩ ⲡⲉ ⲡⲉⲕⲣⲁⲛ...

برلكس

أنت مرتفع أكثر من البطاركة..	Ⲕⲃⲟⲥⲓ ⲉⲛⲓⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ...

ذُكصولوجيَّة آدام ليوحنا المعمدان

ويورد كتاب التَّماجيد المقدَّسة ذُكصولوجيَّتين آدام ليوحنا المعمدان، الأولى هي: ⲁⲓⲛⲁⲧⲉⲛⲑⲟⲛⲕ ⲉⲛⲓⲙ "بمن أشبِّهك أيها الكوكب العظيم ..."، والثانية هي: Ⲟⲩⲥⲁⲫⲓ ⲛⲧⲉ Ⲡⲟⲥ "كلمة الرَّب صارت إلى يوحنا بن زكريا ...".

٣٠- وهو يقال في التَّمجيد، وبعد قراءة الإبركسيس في قدَّاسات أعياد يوحنا المعمدان، وفي التَّوزيع، وعلى المعموديَّة.

أمَّا مخطوطات ترتيب البيعة فتورد ذُكصولوجيَّة آدام أخرى، ومن بين أرباعها:

السَّلام ليوحنا ابن زكريا ساكن بريَّة اليهوديَّة.	Χερε ιω̅α̅ : ⲡⲱⲛⲣⲓ ⲛⲤⲁⲭⲁⲣⲓⲁⲥ : ⲡⲓⲣⲉⲙⲇⲟⲣⲓⲛⲏ : ⲡⲱⲁⲥⲉ ⲛⲓⲟⲩⲇⲉⲁ.
السَّلام للمعمدان ابن العاقر الذي دُعيَ في السَّموات العُليا.	Χερε ⲡⲓⲃⲁⲡⲧⲓⲥⲧⲏⲥ : ⲡⲱⲛⲣⲓ ⲛⲧⲁⲧⲃⲣⲏⲛ : ⲫⲏⲉⲧⲁⲩⲣⲁⲛ ⲉⲣⲟⲩ : ⲇⲉⲛ ⲛⲓⲫⲏⲟⲩⲓ ⲉⲧⲥⲁⲡⲱⲱⲓ.
السَّلام لذاك المختار من كل الأنبياء. والبطاركة أيضاً أنت عال أكثر منهم.	Χερε ⲫⲏⲉⲧⲥⲱⲧⲡ : ⲉⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ : ⲛⲓⲕⲉⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ : ⲉⲕⲃⲟⲥⲓ ⲉⲃⲟⲧⲉ ⲉⲣⲱⲟⲩ.
صديقك حقاً الشَّاهد لك أن ليس من يشبهك في مواليد النِّساء.	Ⲡⲉⲕⲱⲫⲛⲣ ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ : ⲉⲧⲟⲓ ⲙⲙⲉⲟⲩⲉ ⲇⲁⲣⲟⲕ : ⲭⲉ ⲙⲙⲟⲛ ⲡⲉⲧⲟⲛⲓ ⲙⲙⲟⲕ : ⲇⲉⲛ ⲛⲓⲭⲓⲛⲙⲓⲥⲓ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲥⲓⲟⲙⲓ.
أيضاً فرح الوحوش العظيم أنك قضيت عمرك كلّه في البريَّة معهم.	Ⲡⲓⲕⲉⲛⲱⲧ ⲛⲣⲁⲱⲓ : ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲑⲏⲣⲓⲟⲛ : ⲭⲉ ⲁⲕⲉⲣ ⲡⲉⲕⲥⲛⲟⲩ ⲧⲏⲣⲥ : ⲉⲕⲉⲓ ⲡⲱⲁⲥⲉ ⲛⲉⲙⲙⲟⲩ.
الأردن يفرح، وتتهلَّل مياهه، لأنك سبقت	Ⲡⲓⲗⲟⲣⲇⲁⲛⲏⲥ ⲣⲁⲱⲓ : ⲛⲉⲩⲕⲉⲙⲙⲟⲩ ⲑⲉⲗⲏⲗ : ⲭⲉ ⲁⲕⲉⲣⲱⲟⲣⲡ ⲉⲓ : ⲇⲁⲭⲱⲩ

فأتيت قبل عمانوئيل.	ⲛⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ.
صارخاً قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب إليكم ملكوت السَّموات.	ⲉⲕⲱⲱⲡ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲕⲭⲱ ⲙⲙⲟⲥ : ⲭⲉ ⲁⲣⲓⲙⲉⲧⲁⲛⲟⲓⲛ : ⲁⲥϣⲱⲛⲧ ⲅⲁⲣ ⲉⲣⲱⲧⲉⲛ : ⲛⲭⲉ ⲙⲙⲉⲧⲟⲩⲣⲟ ⲛⲛⲓⲫⲟⲩⲓ.
بشفاعة السَّابق ...	ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ : ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ...

صلوات رفع بخور باكر اليَوم الثَّاني من توت

مرد إنجيل باكر

يوحنا المعمدان، كاهن الحمل العالي، ذو الاسم المكرَّم، أكثر من الأنبياء كلّهم.	ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲥ ⲡⲓⲣⲉϥϯⲱⲙⲥ : ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ ⲙⲡⲓⲥⲓⲛⲏ ⲉⲧⲃⲏⲥⲓ : ϥⲁ ⲡⲓⲣⲁⲛ ⲉⲧⲧⲁⲓⲟⲩⲱϯ : ⲉⲃⲟⲗⲧⲉ ⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲧⲏⲣⲟⲩ.
أكمل سعيه ومات على الحق وأخذ إكليل الحياة إلى أبد الأبد.	ⲫⲁϥⲱⲕ ⲙⲡⲉϥⲇⲣⲟⲙⲟⲥ ⲉⲃⲟⲗ : ⲉⲁϥⲙⲟⲩ ⲉϫⲉⲛ ϯⲙⲉⲑⲙⲏ : ⲁϥⲃⲓ ⲙⲡⲓϫⲗⲟⲙ ⲛⲧⲉ ⲛⲱⲛϩ : ϣⲁ ⲉⲛⲉⲉⲥ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲉⲛⲉⲉⲥ.

صلوات قدَّاس اليَوم الثَّاني من توت

مرد إنجيل قدَّاس اليَوم الثَّاني من توت

طوباك أيها السَّابق،	ⲱⲟⲧⲛⲓⲁⲧⲕ ⲛⲉⲟⲕ ⲱ ⲡⲓⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ :

نبي العلي، نسيب المسيح، يوحنا ابن زكريا.	ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲛⲉⲧⲃⲟⲥⲓ : ⲡⲓⲥⲩⲥⲥⲉⲛⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡ̀ⲭ̅ⲥ̅ : ⲓ̅ⲱ̅ ⲡ̀ⲱⲏⲣⲓ ⲛ̀Ⲍⲁⲭⲁⲣⲓⲁⲥ.
طوباك يا يوحنا، نبي العلي، السَّابق لربِّه، المعمدان الجدير بالكرامة.	Ⲱⲟⲩⲛⲓⲁⲧⲕ ⲱ ⲓ̅ⲱ̅ : ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲛⲉⲧⲃⲟⲥⲓ : ⲡⲓⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ ⲥⲁⲭⲱⲩ ⲙ̀ⲡⲉⲩⲥ̅ⲥ̅ : ⲡⲓⲣⲉϥϯⲱⲙⲉ ⲡⲓⲱⲟⲩⲧⲁⲓⲟⲩ.
شهد الرَّب ليوحنا نسيبه قائلاً: لم يقم في مواليد النِّساء مَنْ يشبهك.	Ⲇⲉⲫⲣⲙⲉⲑⲣⲉ ⲛ̀ⲭⲉ Ⲡⲥ̅ⲥ̅ : ⲉⲃⲏⲉ ⲓ̅ⲱ̅ ⲡⲉⲩⲥⲩⲥⲥⲉⲛⲏⲥ : ⲭⲉ ⲙ̀ⲡⲉ ⲟⲩⲟⲛ ⲧⲱⲛⲩ ⲥⲉⲛ ⲛⲓⲙⲓⲛⲙⲓⲥⲓ : ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲃⲓⲟⲙⲓ ⲉ̀ⲧⲟⲛⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ.

الأسبسمس الآدام في اليَوم الثَّاني من توت

السَّلام ليوحنا العظيم السَّابق، السَّلام للكاهن نسيب عمانوئيل.	Ⲭⲉⲣⲉ ⲓ̅ⲱ̅ : ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲙ̀ⲡⲓⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ : Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ : ⲡⲓⲥⲩⲥⲥⲉⲛⲏⲥ ⲛ̀Ⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ.
السَّلام للذي استحق فرأى الرُّوح القُدُس. اطلب من مخلِّصنا ليغفر لنا.	Ⲭⲉⲣⲉ ⲫⲛⲉⲧⲁϥⲉⲣⲡⲉⲙⲡϣⲁ : ⲁϥⲛⲁϩ ⲉ̀ⲡⲓⲡⲛⲁ Ⲫⲟϯ : ⲙⲁⲧⲥⲟ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲥⲱⲣ̅ : ⲉⲑⲣⲉϥⲭⲱ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ.

وعندما يقول الكاهن ⲛⲉⲟⲕ ⲥⲁⲣ يقول الشَّعب الأسبسمس ⲧⲫⲉ ⲣⲁⲱⲓ أي: "افرحي، أيتها السَّماء" بكماله ووقت التَّوزيع يُقال لحن يوحنا المعمدان.

قانون ختام صلوات قدَّاس اليَوم الثَّاني من توت

ⲁⲗⲗⲏⲗⲟⲩⲓⲁ.. Ⲕⲉ ⲙⲛ..	هلليلويا المجد... الآن ...
ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲛⲟⲩ ⲛⲧⲉ Ⲡⲭⲥ: ⲁ ⲡⲉⲛⲍⲏⲧ ⲫⲱⲡⲓ ⲙⲃⲉⲣⲓ.	أخذنا من جسد ودَّم المسيح، قلبنا صار جديداً.
ⲱ ⲡⲓⲥⲱⲧⲏⲣ: ⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ..	أيها المخلِّص اغفر لنا خطايانا ...
Ⲡⲭⲥ Ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲛⲧⲉ Ⲫⲓⲱⲧ..	أيها المسيح كلمة الآب ..

الأحد الأوَّل من شهر توت

التَّرتيب في صلاة عشيَّة ونصف اللَّيل وباكر والقدَّاس نظير ما شُرِح أولاً[٣١]، **أي بالطَّقس السَّنوي.**

صلوات رفع بخور عشيَّة الأحد الأوَّل من توت

يذكر مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقوس) المحفوظ بمكتبة الـدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م ما يلي كمرد للإنجيـل في عشيَّة وباكر وهو:

مرد إنجيل عشيَّة الأحد الأوَّل من توت

أنتَ أفضل من نـبي، تعاليت في البر، أنت هو صديق الختن، حَمل الله.	ⲛⲉⲟⲕ ⲟⲩⲥⲟⲩⲟ ⲙ̀ⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ ⲁⲕⲃⲓⲥⲓ ϩⲉⲛ ϯⲙⲉⲑⲙⲏ ⲛⲉⲟⲕ ⲡⲉ ⲡ̀ⲱⲫⲣ ⲙ̀ⲡⲓⲁⲧⲥⲉⲗⲉⲧ ⲡⲓϩⲓⲏⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫϯ.

قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور عشيَّة كل الآحاد[٣٢]

أمَّا قانون ختام صَّلوات رفع بخور عشيَّة الآحاد من الأحد الأوَّل من توت، إلى الشَّهر الصَّغير، أي على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة[٣٣] كلّها فهو:

٣١- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٨٤

٣٢- وهو قانون ختام الصَّلوات في عشيَّة الآحاد السَّنوي. ويُقال أيضاً في ختـام صلوات رفع بخور عشيَّة وباكر ليوم الثلاثاء من كل أسبوع.

٣٣- وهو ما يذكره يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقوس) المحفوظ بمكتبة الـدَّار

Ⲫⲏⲉⲧⲁⲩϫⲫⲟⲩ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ Ⲫⲓⲱⲧ ⲍⲁϫⲱⲟⲩ ⲛⲛⲓⲉⲱⲛ ⲧⲏⲣⲟⲩ : Ⲫⲧ ⲡⲓⲗⲟⲩⲟⲥ ⲉⲧⲁⲩⲃⲓⲥⲁⲣⲝ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ Ⲙⲁⲣⲓⲁⲙ.

المولود من الآب قبل كل الدُّهور. الله الكلمة الذي تجسَّد من العذراء مريم.

Ⲇⲁⲱⲓⲛⲓ ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲧ ⲙⲙⲟⲩ ϫⲉ ⲁⲩⲟⲩⲓ ⲅⲁⲣ ⲉⲟⲩⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ ⲟⲩⲟⲩ ⲁⲩⲧⲱⲛϥ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑⲙⲱⲟⲩⲧ : Ⲟⲩⲟⲩ ⲁⲩⲛⲁⲍⲙⲟⲩ ⲉⲃⲟⲗⲍⲁ ⲫⲣⲱⲙⲓ ⲉⲧⲁⲩⲥⲱⲣⲉⲙ.

تعالوا نسجد لـه، لأنه احتمل الصَّليب وقام من بين الأموات. وأنقذنا من المضل.

Ⲇⲟⲝⲁ Ⲡⲁⲧⲣⲓ...

المجد للآب ...

Ⲙⲁⲣⲉⲛⲍⲱⲥ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲁⲣⲭⲏⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲍⲁ ⲧⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ⲙⲡⲝⲥ ϫⲉ ⲛⲑⲟϥ ⲅⲁⲣ ⲡⲉ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ ⲟⲩⲟⲩ ⲡⲥⲱⲧⲏⲣ ⲛⲧⲉ ⲛⲉⲛⲯⲩⲭⲏ : ⲉⲧⲁϥⲛⲁⲍⲙⲉⲛ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲛⲓⲙⲩⲗⲏ ⲛⲧⲉ ⲁⲙⲉⲛϯ : ⲑⲙⲉⲧⲁⲧⲧⲁⲕⲟ ⲁϥⲉⲣⲍⲙⲟⲩ ⲙⲙⲟⲥ ⲛⲁⲛ ⲧⲏⲣⲉⲛ.

فلنسبِّح قيامة المسيح مع رؤساء الملائكة لأنه إلهنا ومخلِّص نفوسنا، الذي أنقذنا من أبواب الجحيم، وأنعم لنا كلّنا بالخلود.

Ⲕⲉ ⲛⲩⲛ...

الآن ...

Ⲡⲁⲓⲥⲧⲩⲙⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲁⲓⲉⲍⲟⲟⲩ : ⲙⲁⲣⲉⲛϫⲟϥ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲛⲉⲛⲍⲏⲧ : ⲉⲧⲉⲟⲩⲏⲧ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲉⲧⲥⲟⲡ : ⲉⲛϯⲱⲟⲩ ⲛϯⲧⲣⲓⲁⲥ : ⲉⲛⲱⲱ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛϫⲱ

فلنقل من قلوبنا هذا التَّسبيح الذي لهذا اليَوم مجتمعين كلّنا معاً، ممجِّدين الثَّالوث،

البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م. ومخطوطات ترتيب البيعة الأخرى.

صارخين قائلين: يا مَنْ صُلب على الصَّليب ووُضِعَ في قبرٍ، أيها الكائن عن يمين أبيه، اغفر لنا آثامنا.	ⲓⲏⲥ : ⲭⲉ ⲫⲏⲉⲧⲁⲧⲁϣⲛ ⲉⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ ⲟⲩⲟⲥ ⲁⲩⲧⲏⲓ ⲉⲟⲩⲛⲥⲁⲩ : ⲫⲏⲉⲧⲭⲏ ⲥⲁⲟⲩⲛⲁⲓ ⲙⲡⲉϥⲓⲱⲧ : ⲭⲱ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲛⲉⲛⲁⲛⲟⲙⲓⲁ.
صارخين قائلين ...	ⲉⲛⲱϣⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛⲭⲱ ⲙⲙⲟⲥ...

ولستُ أدري كيف أمكن إلغاء هذا القانون الدَّائم لختام صلوات رفع بخور عشيَّة الآحاد على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة بهذه البساطة؟، وهو القانون الذي يحوي مضمونه السُّجود لله الكلمة المولود من الآب في الأزل ومن العذراء في ملء الزَّمان، مسبِّحين مع السَّمائيين لصليبه وقيامته، لأنه خلَّصنا وأنقذنا من الهلاك. وكما يلاحظ القارئ العزيز أنه بالفعل قانون يصلح على مدار السَّنة اللِّيتورجيَّة كلِّها. فهل بهذه البساطة نستغني عن ميراث ظلَّ يُردَّد في جنبات كنائسنا القبطيَّة لمئات السِّنين كما تشهد مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا؟!. ولا ينبغي أن نغفل أنَّ القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) كاهن كنيسة العذراء المعلَّقة، وهي الكاتدرائيَّة البطريركيَّة في ذلك الوَقت، قد أشار إلى هذا القانون كقانون مستقر في الكنيسة، ومعروف منذ القديم، ومن ثمَّ فقد اكتفي بإيراد أوَّل كلمتين منه فحسب.

صلوات رفع بخور باكر الأحد الأوَّل من توت

يذكر مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقوس) المحفوظ في مكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، ما يلي كمرد لإنجيل باكر الأحد الأوَّل من توت.

مرد إنجيل باكر الأحد الأوّل من توت

أنتَ أفضل من نبي، تعاليت في البر، أنت هو صديق الختن، حَمل الله.

Ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲟⲩⲥⲟⲧⲟ ⲙ̀ⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ : ⲁⲕⲃⲓⲥⲓ ⲃⲉⲛ ⲧⲙⲉⲑⲙⲏ : ⲛ̀ⲑⲟⲕ ⲡⲉ ⲡ̀ⲱⲩϣⲏⲣ ⲙ̀ⲡⲓⲡⲁⲧⲱϩⲉⲗⲉⲧ : ⲡⲓⲥⲓⲛⲏ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲫⲏ.

أمّا قانون ختام الصّلوات في رفع بخور باكر من الأحد الأوّل من توت، وحتى الأحد الرّابع من هاتور فهو:

قانون ختام الصّلوات في باكر الأحد الأوّل من توت

يا ربُ يا ربُ يا ربُ، ولو أنك وقفتَ للمحاكمة أمام بيلاطس مستهزئين بك، لكنّك لم تترك عنك عرشك، جالساً مع أبيك. وقُمتَ من بين الأموات وصيَّرتَ العالم حرّاً من عبوديَّة العدو لكي تُنقذ نفوسنا.

Ⲡⲥ̄ Ⲡⲥ̄ Ⲡⲥ̄ : ⲓⲥⲭⲉ ⲁⲕⲟⲩⲓ ⲉⲣⲁⲧⲕ ⲉⲟⲩⲙⲁⲛ̀ⲧⲉⲁⲡ ⲛⲁⲃⲣⲉⲛ Ⲡⲓⲗⲁⲧⲟⲥ ⲉⲧⲥⲱⲃⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ : ⲁⲗⲗⲁ ⲙ̀ⲡⲉⲕⲭⲱ ⲛ̀ⲥⲱⲕ ⲙ̀ⲡⲉⲕⲓⲱⲟⲛⲟⲥ : ⲉⲕⲃⲉⲙⲥⲛⲟⲩⲧ ⲁⲕⲃⲉⲙⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲕⲓⲱⲧ : ⲁⲕⲧⲱⲛⲕ ⲉ̀ⲃⲟⲗⲃⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑⲙⲱⲟⲩⲧ ⲁⲕⲉⲣ ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲃⲉ : ⲉ̀ⲃⲟⲗⲃⲁ ⲧⲙⲉⲧⲃⲱⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϫⲁⲕⲓ : ϫⲉ ⲉⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲕⲛⲟⲃⲉⲙ ⲛⲛⲏⲉⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲯⲩⲭⲏ.

يا ربُ يا ربُ يا ربُ، إذ أعطيتنا صليبك سلاحاً ضد إبليس، فهو مرتعد وخائف

Ⲡⲥ̄ Ⲡⲥ̄ Ⲡⲥ̄ : ⲓⲥⲭⲉ ⲁⲕϯ ⲛⲁⲛ ⲙ̀ⲙⲏⲉⲧⲉ ⲫⲱⲕ ⲛ̀ⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ⲫⲟⲓ ⲛ̀ⲥⲟⲡⲗⲟⲛ ⲟⲩⲃⲉ ⲡⲓⲇⲓⲁⲃⲟⲗⲟⲥ : ⲉⲩⲥⲟⲉⲣⲧⲉⲣ ⲟⲩⲟⲩ ⲫⲟⲓ ⲛ̀ⲥⲟϥ :

ⲛⲉϥϣⲟⲡⲱⲛϩ ⲙⲙⲟϥ ⲉⲃⲟⲗ ⲁⲛ: ⲭⲉ ⲁϥⲛⲁϩ ⲉⲛⲓⲭⲟⲩ ⲉⲧⲉ ⲛⲅⲏⲧⲕ: ⲭⲉ ⲁⲕⲧⲟⲩⲛⲟⲥ ⲛⲓⲣⲉϥⲙⲱⲟⲩⲧ ⲟⲩⲟϩ ⲁⲕⲕⲱⲣϥ ⲙⲡⲓⲕⲉⲙⲟⲩ: ⲭⲉ ϩⲓⲛⲁ ⲛⲧⲉⲕⲛⲟϩⲉⲙ ⲛⲛⲏⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙⲯⲩⲭⲏ.

ولا يستطيع أن يظهر علناً، لأنه نظر القوَّات التي فيك، إذ أقمتَ الموتى وأبطلتَ الموت أيضاً، لكي تنقذ نفوسنا.

Ⲡⲥ̅ Ⲡⲥ̅ Ⲡⲥ̅: ⲓⲥⲭⲉ ⲁⲕⲟⲓ ⲙⲫⲣⲏϯ ⲛⲟⲩⲣⲉϥⲙⲱⲟⲩⲧ ⲁ ⲛⲓⲗⲟⲩⲁⲁⲓ ϩⲓⲧⲕ ⲉⲟⲩⲙⲁⲁⲩ ϩⲉⲛ ⲟⲩⲧⲉⲃⲉ ⲁⲩⲧⲉⲃⲉ ⲉⲭⲱⲕ: ϩⲱⲥ ⲁⲉ ⲉⲩⲣⲱⲓⲥ ⲉϯⲥⲱϥ: ⲁⲕⲧⲱⲛⲕ ⲉⲃⲟⲗϩⲉⲛ ⲛⲏⲉⲑⲙⲱⲟⲩⲧ: ⲁⲕⲉⲣ ⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ ⲛⲣⲉⲙϩⲉ: ⲉⲃⲟⲗϩⲁ ϯⲙⲉⲧⲃⲱⲕ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲭⲁⲭⲓ: ⲭⲉ ϩⲓⲛⲁ ⲛⲧⲉⲕⲛⲟϩⲉⲙ ⲛⲛⲏⲧⲉ ⲛⲟⲩⲛ ⲙⲯⲩⲭⲏ.

يا ربُّ يا ربُّ يا ربُّ، ولو أنك صرتَ مثل ميتٍ ووضعك اليهود في قبرٍ وختموا عليك حارسين القبر، لكنَّك قمتَ من بين الأموات وصيَّرتَ العالم حرّاً من عبوديَّة العدو لكي تُنقذ نفوسنا.

Ⲉⲛⲱϣ ⲉⲃⲟⲗ ⲉⲛⲭⲱ ⲙⲙⲟⲥ...

صارخين قائلين ...

وهذا القانون أيضاً هو قانون قديم مشهور في الكنيسة يُقال في رفع بخور باكر من الأحد الأوَّل من توت وحتى الأحد الرَّابع من هاتور. ومن يوم أحد الفصح (القيامة) إلى آخر الأحد الصَّغير. أي أنَّ هذا القانون يتوقَّف فقط بدءاً من الأحد الأوَّل من كيهك، وحتى نهاية الصَّوم المقدَّس الكبير. وقد أوردته كل مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، وقد ذكره

أيضاً ابن كبر (+ ١٣٢٤م) ضمن قوانين ختام الصّلوات التي أشار إليها.

صلوات قدّاس الأحد الأوّل من توت

يورد مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقوس) المحفوظ بمكتبة الدّار البطريركيّة بالقاهرة مرد إنجيل قدّاس الأحد الأوّل من توت كما يلي:

مرد إنجيل قداس الأحد الأوّل من توت

أنتَ مرتفع أكثر من رؤساء الآباء ومكرّم أكثر من الأنبياء لأنه لم يقم في مواليد النّساء مَنْ يُشبهك.	ⲕⲃⲟⲥⲓ ⲉⲛⲓⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ : ⲕⲧⲁⲓⲛⲟⲩⲧ ⲉⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ : ⲭⲉ ⲙⲡⲉ ⲟⲩⲟⲛ ⲧⲱⲛϥ ϩⲉⲛ ⲛⲓⲝⲓⲛⲙⲓⲥⲓ : ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲃⲓⲟⲙⲓ ⲉϥⲟⲛⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲕ.

ويكمّل كالعادة.

الأسبسمس الآدام للأحد الأوّل من توت

يذكر مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقوس) المحفوظ بمكتبة الدّار البطريركيّة بالقاهرة والمؤرّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م الأسبسمس الآدام التّالي[٣٤]:

السّلام ليوحنا، العظيم السّابق، السّلام للكاهن	ⲭⲉⲣⲉ ⲓ̅ⲱ̅ⲁ̅ : ⲡⲓⲛⲓⲱϯ ⲙ̀ⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ : ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ : ⲡ̀ⲱⲛⲣⲓ ⲙ̀ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ.

٣٤- الرُّبع الأوّل من هذا الأسبسمس ينفرد به مخطوط رقم (١١٧طقوس)، أمّا الرُّبع الثّاني منه فيورده أيضاً مخطوط البطريركيّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط سيرباي لسنة ١٨٦٨م.

بن الكاهن.

السَّلام لمن استحق أن يرى الرُّوح القُدُس. اطلب من مخلِّصنا ليغفر لنا خطايانا.

Χερε φηεταϥερ ⲛⲉⲙⲡⲱⲁ ⲛⲛⲁⲩ ⲉⲡⲓⲡⲛⲁ ⲉⲟⲩ : ⲙⲁⲧⲥⲟ ⲙⲡⲉⲛⲥⲱⲣ ⲉⲑⲣⲉϥⲭⲱ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ.

كما تورد مخطوطات ترتيب البيعة أسبَسمسات أخرى، وفيما يلي أُوردُ الأسبَسمس الذي يذكره مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ في مكتبة الدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م وهو:

السَّلام ليوحنا بن زكريا، السَّلام للمعمِّد كاهن الله.

Χερε Ⲓⲱⲁ : ⲡⲱⲏⲣⲓ ⲛⲤⲁⲭⲁⲣⲓⲁⲥ : χερε ⲡⲓⲃⲁⲡⲧⲓⲥⲧⲏⲥ : ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ ⲛⲧⲉ Ⲫⲧ.

السَّلام للبتول ساكن البريَّة، السَّلام للنَّبي فرح الأردن.

Χερε ⲡⲓⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ: ⲉⲧⲱⲟⲡ ⲉⲣⲓ ⲡⲱⲁϥⲉ: χερε ⲡⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ: ⲫⲣⲁⲱⲓ ⲙⲡⲓⲗⲟⲣⲇⲁⲛⲏⲥ.

السَّلام ليوحنا العظيم السَّابق، السَّلام للكاهن نسيب عمانوئيل.

Χερε Ⲓⲱⲁ : ⲡⲓⲛⲓⲱϯ ⲙⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ : χερε ⲡⲓⲟⲩⲏⲃ : ⲛⲥⲩⲥⲩⲉⲛⲏⲥ ⲛⲈⲙⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ.

ويقول مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م ما يلي[٣٥]:

ويُقال وقت القربان Ⲁⲗ ⲛⲓⲟⲩ Ⲫⲧ "هلليلويا، سبِّحوا الله ..."، بلحنها المعروف بيوم الأحد[٣٦]، وبعدها Ⲕⲛⲓⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ

٣٥- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٨٧

٣٦- أي اللَّحن السَّنوي.

"مباركٌ أنت ..." بلحنها المعروف لها. وبعد ذلك إمَّا أن يقولوا ⲁⲣⲉⲙⲁⲥϥ ⲁⲃⲛⲉ ⲑⲱⲗⲉⲃ "ولدته بغير دنس"[٣٧]، وإمَّا أن يقولوا ⲡⲓⲱⲓⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲱⲛϩ (بي أويك) أي: "خبز الحياة ..." بلحن الآدام.

وهذا هو ترتيب الحدود إلى آخر الأحد الرَّابع من هاتور.

أمَّا قانون ختام صلوات القدَّاسات في الطَّقس السَّنوي على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة فهو:

قانون ختام صلوات القدَّاسات في الأيام السَّنويَّة

هلليلويا المجد ... الآن ...	ⲁⲗ̅ⲗⲟⲩⲓⲁ.. ⲕ̅ⲉ ⲛⲩⲛ..
أخذنا من جسد ودَّم المسيح، قلبُنا صار جديداً.	ⲁⲛⲟⲓ ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲛ ⲡⲓⲥⲱⲙⲁ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲥⲛⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̅ⲭ̅ⲥ: ⲁ ⲡⲉⲛϩⲏⲧ ϣⲱⲡⲓ ⲙ̀ⲙⲉⲣⲓ.
أيها المخلّص اغفر لنا خطايانا ...	ⲱ ⲡⲓⲥⲱⲧⲏⲣ: ⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉⲃⲟⲗ..
أيها المسيح كلمة الآب..	ⲡ̅ⲭ̅ⲥ ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲓⲱⲧ..

تنويه

إن وقع أوَّل توت يوم أحد، تُقرأ قراءات يوم أوَّل توت في الأحد الأوَّل منه، وتُرحَّل قراءات الأحد الأوَّل من توت إلى الأحد الثّاني منه، وهكذا حتى الأحد الرَّابع، والذي سيكون اليوم التَّاسع والعشرين من شهر توت.

٣٧- وهي من ثيؤطوكيَّة الأحد.

الفصل الثالث

طقس الفترة الواقعة
بين عيدي النَّيروز والصَّليب

تمهيد

إنه من البديهي بعد الشَّرح الذي أوردته مخطوطات ترتيب البيعة عن طقس صلوات عيد التَّيروز أن يكون طقس الفترة الواقعة بين عيدي التَّيروز والصَّليب هو الطَّقس السَّنوي المعتاد.

ولكنَّنا نعرف جميعاً أنَّ طقس الفرح يدوم في الكنيسة القبطيَّة حالياً ستَّة عشر يوماً، من بدء السَّنة القبطيَّة وحتى عشيَّة عيد الصَّليب. وفي الحقيقة لا ذكر لذلك الأمر عند آباء الكنيسة القبطيَّة وبطاركتها، ولا في قوانين آباء الكنيسة، حتى العصور الوسطى. فماذا عن العصور الوُسطى؟

ما ورد عن هذه الفترة في العصور الوسطى

إذا فحصنا قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العصور الوسطى، لا نتقابل مع أي ذكر لطقس هذه الفترة في هذه القوانين. ولا نجد ذكراً لهذه الفترة من السَّنة الليتورجيَّة بأنها تُصلَّى بطقس الفرح، لا عند يوحنا بن سباع في القرن الثَّالث عشر الميلادي في كتابه: "الجوهرة النَّفيسة في شرح علوم الكنيسة"، ولا في قوانين الصَّفي بن العسَّال، ولا عند القس شمس الرِّئاسة بن كبر في القرن الرَّابع عشر، سوى ما ذكره هذا الأخير عن أعياد الكنيسة تحت عنوان: "قوانين منسوبة إلى معلِّمي البيعة المقدَّسة

الجامعة"[١]، فيقول:

"آخرها: الأمر بالبطالة في أيام الأعياد من عمل دنيوي، وهو يوم الميلاد، يوم الغطاس، جمعة الفصح، الجمعة التي بعد القيامة، أيام الآحاد كلّها، عيد الأربعين الذي هو تمام تدبير مخلّصنا (أي الصُّعود)، عيد الخمسين (أي العنصرة)، عيد السيِّدة مرتمريم الذي هو يوم وفاتها وصعودها في كل شهر، يوم أعياد الاثني عشر تلميذاً، يوم عيد مقدِّم الشُّهداء إسطفانوس، يوم عيد الصَّليب، يوم أعياد الشُّهداء الأبرار، أعياد آبائنا القدِّيسين أعني الأنبياء وآباء الشُّعوب ومعلّمي كنيسة الله، أعياد الملاك الكبير أوَّل أجناد قوات السَّمائيين[٢] ... الخ".

وهنا يذكر القس أبو البركات ابن كبر الأيام التي تكون فيها البطالة من الأعمال الدُّنيويَّة، لذلك تراه مثلاً لم يذكر فترة الخمسين المقدَّسة بعد القيامة، بل اكتفى بالأسبوع الذي بعد القيامة. وعلى ذلك فلا نستطيع أن نحدِّد ما ذكره عن يوم أعياد الشُّهداء الأبرار، إن كان يعني به يوماً واحداً، هو بداية رأس السَّنة القبطيَّة، أو أعيادهم على مدار السَّنة اللّيتورجيَّة. وهو ما لم يفدنا شيئاً في ماهيَّة طقس تلك الفترة ما بين التّيروز والصَّليب، وهو موضوع بحثنا.

وإن عُدنا إلى الباب التَّاسع عشر من نفس هذه الموسوعة الطِّقسيَّة، نجد أنّ ابن كبر يتطرَّق إلى الحديث عن أيام الخمسين المقدَّسة، وعيد الصُّعود، وعيد البندقستي، وصوم الرُّسُل وعيدهم، وأعياد البشارة والميلاد والإبيفانيا، وعيد الشَّعانين، وعيد الفصح، وعيد أحد توما، وأعياد

١- كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الأوَّل، مكتبة الكاروز، سنة ١٩٧١م، ص ٢٠٠، ٢٠١

٢- أي رئيس الملائكة ميخائيل.

التَّجلي، ودخول السيِّد المسيح للهيكل، ودخوله أرض مصر، ويوم الخميس الكبير، والجمعة الكبيرة، وعيد الصَّليب (١٧ توت)، وبرامون الميلاد، والفترة من الميلاد إلى الغطاس حيث يستمر فيها لحن الفرح متتابعاً على حد قوله، وصوم العذراء، وعيد صعود جسدها، وجمعة البصخة، وعيد الختان، وعيد الصَّليب (١٠ برمهات).

هذا هو التَّرتيب الذي يورده ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في هذا الباب عن هذه الأعياد والمناسبات الكنسيَّة، بدون أي ذكر لعيد النَّيروز، أو الفترة الواقعة بينه وبين عيد الصَّليب.

أمَّا مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقوس) والمحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة، والمنسوخ سنة ١٩١٠م فيبتدئ بالحديث عن طقس الأحد الأوَّل من شهر توت، مشيراً إلى أنه الطَّقس السَّنوي المعتاد للآحاد حتى الشَّهر الرَّابع من هاتور. وعندما يتحدَّث عن عيد الصَّليب في يوم ١٧ توت فيذكر أنه يُصلَّى بطقس عيد الصَّليب، أي الطَّقس الشَّعانيني.

وأمَّا مخطوطات ترتيب البيعة الأخرى في بعض الكنائس والأديرة، فهي تورد ترتيب صلوات اليَوم الأوَّل من شهر توت، حيث تشير بكل وضوح إلى أنَّ طقس عيد النَّيروز هو الطَّقس السَّنوي، مع ما يصاحبه من مردَّات وأسبَسمسات تختص بالعيد، ولكن بدون أي إشارة إلى الفترة الواقعة بينه وبين عيد الصَّليب[٣].

٣- الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأوَّل، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٧ وما بعدها.

أوَّل إشارة طقسيَّة عن طقس الفرح في هذه الفترة

وإنَّ أوَّل إشارة طقسيَّة مكتوبة أي موثَّقة عن هذه الفترة نجدها في نشرة عن طقوس الكنيسة موقَّعة في نهايتها بتوقيع البابا كيرلس السَّادس (١٩٥٩- ١٩٧١م) البابا الـ ١١٦ من باباوات الكرازة المرقسيَّة هكذا: "كيرلس بنعمة المسيح بابا الكرازة المرقسيَّة"، وهي نشرة ذات ثلاثة بنود كما يلي:

- أولاً: ملاحظات على الفصول والقراءات.
- ثانياً: ملاحظات على طقوس الصَّلوات.
- ثالثاً: ملاحظات على الأصوام.

فتقول في البند الثَّاني:

١- يُصلَّى بالطَّقس الفرايحي في الظُّروف الآتية:

أ- من أوَّل توت إلى ١٦ منه ... الخ.

٥- يُحتفل بعيد الصَّليب المجيد من ١٧-١٩ توت، ويُصلَّى بالطَّقس الشَّعانيني.

وهذه هي أوَّل إشارة مكتوبة ترد عن طقس هذه الفترة، حتى أعاد ترديدها كتاب "دليل الطُّقوس الكنسيَّة على مدار السَّنة التُّوتيَّة"[٤]. وهو نفس ما سبق نشره في كتاب "مشتهى النُّفوس في ترتيب الطُّقوس"[٥].

٤- إصدار رهبان دير السيِّدة العذراء السِّريان، ١٩٩٣م، ص ٣٥

٥- رابطة مرتِّلي الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، مشتهي النُّفوس في ترتيب الطُّقوس، القاهرة، ١٩٨٦م.

ماذا يعني طقس الفرح في الكنيسة القبطيَّة

أودُّ أن أؤكّد أنّ طقس الفرح في الكنيسة القبطيَّة لا نعني به تلك النَّغمة الفرايحي التي اعتدنا على ترديدها اليَوم في كنائسنا عندما يقول الكاهن في بداية كل صلاة "السَّلام لجميعكم"، ويرد عليه الشَّعب "ولروحك أيضاً"، أو في ختام مردَّات الشمَّاس التي ينهيها بهذه النَّغمة، ويرد عليه الشَّعب قائلاً: "يارب ارحم" بنفس هذه النَّغمة.

فهذه النَّغمة التي نسمِّيها اليَوم "النَّغمة الفرايحي" هي وليدة ما كان يمارسه بعض مرتِّلي الكنائس في طقس صلوات الإكليل، لإدخال البهجة في نفوس الحاضرين. ثمَّ تسرَّبت هذه النَّغمة إلى صلوات الكنيسة في مناسبات الفرح فيها، بل دخلت أيضاً لتحتل مكانها في صلوات الكنيسة في الطَّقس الشَّعانيني في يوم أحد الشَّعانين، وفي عيدي الصَّليب.

إنّ طقس الفرح في الكنيسة يميِّزه نغمة الإبصاليَّة الواطس أو الآدام، كما يميِّزه أيضاً نغمة الذُّكصولوجيَّة الواطس، وأيضاً لحن مقدِّمة الشِّيرات الفرايحي، إلى جانب الألحان المختصَّة بهذه المناسبة، والتي تبعث في الوجدان فرحاً روحياً عميقاً، مقترنة بكلمات تشرح مضمون المناسبة الكنسيَّة، وترسِّخ البهجة في القلوب.

التَّقليد اللّيتورجي يشهد بأنَّ الطَّقس السَّنوي هو طقس هذه الفترة

إنَّ الإبصاليَّة التي تُقال في عيد النَّيروز بنغمة الفرح، هي إبصاليَّة تختص بهذا اليَوم فحسب، وهذا ما تذكره الأبصلموديَّات المطبوعة التي التزمت بالأصول التي نقلت عنها، كما في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م سواء في القاهرة أو الإسكندريَّة والتي تذكر العنوان التَّالي: "إبصاليَّة تُقال في

عيد النَّيروز أوَّل توت". أمَّا ما ذكرته أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة عن الإبصاليَّة التي تُقال في عيد النَّيروز أنها تُقال من يوم ١ توت حتى يوم ١٦ منه، في طبعتها الأولى سنة ١٩٤٨م، فكانت هي أوَّل إشارة إلى ذلك، وهي إضافة غير أصيلة، لأنها لو كانت كذلك، لكان من الأولى أن تذكر أيضاً عن ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز أنها تُقال هي الأخرى من أوَّل توت إلى يوم ١٦ منه، وهذا ما لم تذكره، إذ ظلَّ عنوان هذه الذُّكصولوجيَّة أنها ذُكصولوجيَّة تُقال في يوم أوَّل توت وهو رأس السَّنة القبطيَّة.

ولقد ظلَّت ذُكصولوجيَّة عيد النَّيروز في كل الأبصلموديَّات على اختلافها تحمل عنوان: "ذُكصولوجيَّة تُقال في عيد النَّيروز أوَّل توت"، حتى كانت سنة ٢٠٠٤م حين طُبعت أبصلموديَّة سنويَّة جاءت الذُّكصولوجيَّة فيها تحمل عنوان: "ذُكصولوجيَّة رأس السَّنة القبطيَّة (عيد النَّيروز) تُقال من ١ توت — ١٦ توت"[٦]. وهذه الإضافة لا تستند على أصول ليتورجيَّة بأي حال من الأحوال، كما سيأتي شرحه أيضاً فيما بعد.

إنَّ الأبصلموديَّات السَّنويَّة المقدَّسة حين تورد ما يختص بأرباع النَّاقوس في عيد النَّيروز، تخصِّص ذلك لعيد النَّيروز فحسب، وليس بدءاً من النَّيروز حتى اليَوم السَّادس عشر من توت كما ذكرت — خطأً — بعد الأبصلموديَّات المطبوعة حديثاً، والتي نهجت على نهج أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة. فأبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب التي طبعها في القاهرة سنة ١٩٠٨م اكتفت بالقول: "وفي بعض الأعياد يُضاف ربع مخصوص"، أمَّا أبصلموديَّة القس مينا البراموسي التي طبعها

٦- كتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطيَّة، إعداد مطرانيَّة الأقباط الأرثوذكس بالجيزة، ودير الشَّهيد العظيم مار مينا العجائبي بمريوط، الطَّبعة الأولى، مارس سنة ٢٠٠٤م.

في الإسكندريَّة سنة ١٩٠٨م فتقول (ص ٢٩٤): "وفي الأعياد تُضاف أرباع مخصوصة لكل عيد على حدته. فبعد ترتيل البداءة كما ذُكر يقال في عيد النَّيروز ... الخ"[٧].

إنَّ النَّشرة الطَّقسيَّة السَّابق ذكرها، والتي تحدِّد أنَّ هذه الفترة يُصلَّى فيها بطقس الفرح، لم تشر إلى ما يختص بطقس يومي الأربعاء والجمعة في هذه الفترة، وهما يوما صوم. أمَّا ما يُشاع اليَوم من قول أن يُصام هذين اليومين ولكن بدون انقطاع، فهو ما لا تعرفه قوانين الكنيسة على مدى قرونها الطَّويلة، لأنَّ الصَّوم يعني الانقطاع عن الطَّعام فترة من الوقت يأكل بعدها الصَّائم أطعمة خالية من الدَّسم. وبالتَّالي ماذا يكون موقف القدَّاسات الإلهيَّة التي تُقام في هذين اليومين، هل تُقام في موعد متأخِّر كعادة قدَّاسات الأربعاء والجمعة، برغم طقس الفرح في هذه الفترة؟.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما هو حُكم طقس الصَّلاة في اليَوم الثَّاني من توت، وفي الأحد الأوَّل منه، وهما يومان يختصان بالاحتفال بالقدِّيس يوحنا المعمدان، حيث تدور كل القراءات الكتابيَّة حوله. فهل يلائم أنه بعد قراءة فصل إنجيل عشيَّة أو باكر أو القدَّاس في هذين اليَومين وهما يتحدَّثان عن يوحنا المعمدان، أن نرد بالمرد "هلليلويا، بارك إكليل السَّنة بصلاحك"؟. لأنه والحالة هذه، ما هي علاقة هذا المرد بما قيل للتَّو في فصل الإنجيل المقدَّس؟. ويتسحَّب الشَّئ نفسه على مرد الإبركسيس والأسبَسمسات وغيرها. إنه سؤال يجيب عنه رجوعنا إلى مخطوطات

٧- تذكر الأبصلموديَّة السَّنويَّة المقدَّسة التي طبعها دير البراموس سنة ٢٠٠٠م والتي اعتبرها النَّاشر كطَّبعة ثانية لأبصلموديَّة القُمُّص مينا المحلاوي البراموسي: "ما يقال من عيد النَّيروز إلى ١٦ توت" (ص ٤٧١). وقد اقتفت الأبصلموديَّة المذكورة نهج أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة في أرباع النَّاقوس والذُّكصولوجيَّات، والإبصاليَّات، بدون أن تشير إلى ذلك.

ترتيب البيعة التي بين أيدينا.

ويلزم الإشارة إلى أنَّه بحسب مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، فلكل يوم من أيام شهر توت مردَّاته وأسبَسماته الخاصة به، وكل أحد من آحاده أيضاً له مردَّاته الخاصة به، وأيضاً أسبَسماته.

إنَّ مخطوطات ترتيب البيعة المنتشرة في كنائسنا وأديرتنا والتي ظلَّت تدوَّن وتُنسخ حتى أوائل القرن العشرين تذكر كلُّها أنَّ طقس هذه الفترة هو الطَّقس السَّنوي المعتاد، بما فيها عيد النَّيروز نفسه، وأنَّ عيد النَّيروز وما يختص به من مردَّات وألحان يختص بيوم واحد فقط، ومن ثمَّ لم تظهر مشكلة معالجة طقس يومي الأربعاء والجمعة في هذه الفترة، ولا مشكلة مردَّات الأيام والآحاد الواقعة فيها.

ولو كانت هذه الفترة تختص كلُّها ببداية العام الجديد، لكانت فصول قراءات الأحدين الأوَّلين من شهر توت، تدور هي الأخرى حول السَّنة الجديدة، ولكن هذا الأمر غير وارد، في حين نجد أنَّ قراءات الأحدين الأخيرين من السَّنة اللِّيتورجيَّة تدور القراءات فيهما حول نهاية العالم والمجئ الثَّاني. وهنا يشهد التَّقليد اللِّيتورجي مجدَّداً بأنَّ الاحتفال بعيد النَّيروز رأس السَّنة القبطيَّة هو ليوم واحد فقط.

وما يؤكِّد من جديد أنَّ هذه السِّتة عشر يوماً لا يجوز اقتطاعها من شهر توت ليكون الطَّقس فيها مخالفاً لطقس باقي الشَّهر كلِّه، هو أنَّ فصل إنجيل القيامة تتوقَّف قراءته في رفع بخور باكر ليس في الآحاد الواقعة في هذه الفترة أي خلال الـ ١٧ يوماً الأولى من شهر توت، بل على مدار الأربعة أسابيع لشهر توت كلِّه. وهكذا يشهد التَّقليد اللِّيتورجي مرَّة أخرى أنَّ الشَّهر الأوَّل من السَّنة القبطيَّة هو وحدة ليتورجيَّة واحدة،

وليس نصفه الأوَّل فحسب[٨].

وفي النهاية يبقى سؤال هو: لماذا نصلّي عيد النَّيروز أوَّل السَّنة بطقس الفرح؟ في حين أننا لا نصلّي بهذا الطَّقس عينه في أعياد العذراء مثلاً؟. إنَّ عودتنا إلى مخطوطات ترتيب البيعة والالتزام بما تورده من تنبيهات تغنينا عن البحث عن إجابة لمثل هذه التَّساؤلات.

وخلاصة القول إنها فترة طقسيَّة تحتاج إلى تقنين كنسي واضح، لأنها فترة طقسيَّة في السَّنة اللّيتورجيَّة ليس لها حالياً طقس محدَّد، على خلاف الفترة الواقعة ما بين عيدي الميلاد وعيد الختان، وكذلك الثَّلاثة أيام التي تعقب عيد الغطاس، وتنتهي بعيد عُرس قانا الجليل.

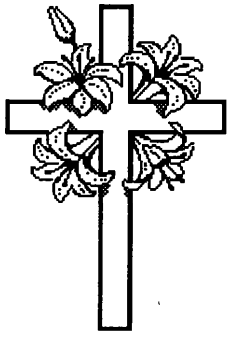

٨- تتوقَّف قراءة فصل إنجيل القيامة في صلوات رفع بخور باكر فترتين على مدار السَّنة الطَّقسيَّة، الفترة الطَّقسيَّة الأولى هي هذه الفترة، والفترة الطَّقسيَّة الثَّانية تكون بدءاً من شهر كيهك، وحتى عيد القيامة المجيدة.

الفصل الرابع

عيد الصَّليب المجيد من الوجهة التَّاريخيَّة

تمهيد

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[أعطانا السيِّد المسيح إلهنا الصَّليب سلاحاً نافذاً ينفـذ في النَّار والهواء والماء والأرض، ولا يحجزه شئ. فهو قوَّة الله التي لا تُقاوَم، وتهرب من صورته الشياطين حينما يُرسم عليها. هو قوَّة المسيح للخلاص، والملائكة يخضعون لقوته].

وعجب الصَّليب وسرِّه، والذي لا يعرفه غير أبناء السِّر، أنه علامـة المجد والهوان معاً، فهوانه الظَّاهر مجدٌ خفي. وهو الضَّعف والقـوَّة في آن واحد، لأنَّ قوَّة المسيح لا تكمُل إلاَّ في الضَّـعف. وهـو الألم الحسـي، والعزاء السِّري. وهو الضِّيق والحزن حاوياً فيه السَّلام والفرح. هو سـرُّ المسيحيَّة. فالمسيحيَّة بدأت من عند الصَّليب ولا تكتمل وتدوم إلاَّ بـه. ومن يريد المسيح فلابد أن يقبله بصليبه حتى الموت أولاً، وحينئذ تظهـر حياة يسوع فيه، ويحيا به. فالذي يرضى بموت الصَّليب لا يستطيع العالم أن ينال منه شيئاً.

الأحداث التَّاريخيَّة الأساسيَّة لعيد الصَّليب

ينحصر الحديث عن الجانب التَّاريخي في هـذا الفَصـل، في ثلاثـة أحداث رئيسيَّة للصَّليب هي:

الحدث الأوَّل: ظهور علامة الصَّليب في السَّماء.

الحدث الثَّاني: بحث الملكة هيلانه عن خشبة الصَّليب في أورشليم.

الحدث الثَّالث: استرجاع الصَّليب من بلاد الفُرس إلى أورشليم في القرن السَّابع الميلادي.

وسنبحث في هذه الأحداث الثَّلاثة من مصدرين؛ المصدر الأوَّل، هو كتاب "مجموع أصول الدِّين ومسموع علم اليقين"، للمؤتمن بن العسَّال، والمصدر الثَّاني هو كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة، التي تُستخدم في هذا اليَوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بخصوص الحدث الثَّالث للصَّليب، لا يأتي أي ذكر عنه في كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة القبطيَّة لهذا اليَوم، باستثناء ما أورده السِّنكسار في طبعاته الحديثة، نقلاً عن ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، كما سنرى فيما بعد. أمَّا الحدثان الأوليان، فتدور حولهما نصوص وتسابيح العيد، باعتبار الحدث الأوَّل منهما سبباً مباشراً للثَّاني.

أولاً: الجانب التَّاريخي لعيد الصَّليب عند المؤتمن بن العسَّال[١]

كَتَب المؤتمن بن العسَّال[٢] كتاباً مهماً عنوانه: "مجموع أصول الدِّين ومسموع علم اليقين"[٣]، وهو كتاب يضم سبعين باباً في جزأين،

١- قام الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني بعمل دراسة موسَّعة عن المؤتمن بن العسَّال، وتحقيق كتابه "مجموع أصول الدِّين ومسموع علم اليقين"، في سبعة كُتُب، صدرت ما بين سنة ١٩٩٧م وسنة ٢٠٠٢م، وذلك ضمن إصدارات المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة، بما لا يدع مكاناً لمجتهد بأن يضيف المزيد.

٢- المؤتمن بن العسَّال هو أصغر أولاد العسَّال، وكان كاهناً بكنيسة السيِّدة العذراء المعلَّقة بمصر القديمة، وعمل حيناً في قلاية البابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥- ١٢٤٣م)، وتوفي في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث عشر.

الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، دراسة عن المؤتمن بن العسَّال وكتابه "مجموع أصول الدين"، وتحقيقه، المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة – القدس، ١٩٩٧م، ص ١٢٩، ١٣٠، ١٤٥

٣- تمَّ تأليف الكتاب ما بين سنة ١٢٦٣م وسنة ١٢٦٥م. ومن المحتمل أن يكون أبو

يتحدَّث في شتى الموضوعات الفلسفيَّة والعقائديَّة والقانونيَّة واللّيتورجيَّة ... الخ. والباب السَّابع والأربعون منه بعنوان: "في وجوب إكرام الصَّليب وتعظيمه وتقبيله، ورشم مثاله على الأعضاء البدنيَّة، وذكر الآيات التي ظهرت بواسطته". وأقتطعُ من هذا البَاب ما يهمُّنا الآن في موضوع عيد الصَّليب تاريخياً، ولاسيَّما الفقرات التي يرد فيها اقتباسٌ من كتاب اسمه "تاريخ السَّامرة" المسمَّى "سفر يوشع"(٤).

النَّص:

عن الحدث الأوَّل: ظهور علامة الصَّليب في السَّماء(٥)

– وقد علمت أيها المؤمن، أنَّ إيمان قسطنطين الملك، إنما كان بأنَّ الله (تعالى) أراه في السَّماء، وقيل في المنام، مثال الصَّليب، وسمع صوتاً من السَّماء يقول: "احمل هذا المثال، تغلب أعداءك". وكان كذلك، فانتقل من الكُفر إلى الإيمان، وإلى معرفة بالله (تعالى). وشيَّد الله به الدِّين، وأقام أركانه، وثبَّت بمملكته عُمُدَه، وأعزَّ بسطلنته الشَّعب المسيحي، وكثروا في أيامه، ونموا جداً، إلى أن اتَّسعت ممالكهم، وامتلأت الأرض بهم.

البركات بن كبر (+ ١٣٢٤م) قد اطَّلع على هذا الكتاب، لأنَّه يحدِّد أنه يقع في سبعين باباً على جزأين.

الرَّاهب الأخ وديع الفرنسيسكاني، مرجع سابق، ص ١٧٩، ١٨٤م.

٤– حاولتُ أن أبحث عن أصل هذا الكتاب، أو هذا السِّفر، فوجدتُ له دراسة بالإيطاليَّة، ضمن دراسة شاملة لهذا البَاب الـ ٤٧ لكتاب المؤتمن، وهي لبارتولوميو بيروني Bartolomeo Pirone منشورة في المرجع التَّالي:

Studia Orientalia Christiana, *Collectania 35-36, Studia – Documenta*, The Franciscan Center of Christian Oriental Studies, Cairo – Jerusalem, 2003, p. 10-32.

و لم أستطع ترجمتها، و لم أوفَّق في أيِّ مساعدة في ذلك.

٥– العنوان من عندي للتَّوضيح.

– ولمَّا ملك بعده قسطنطين ولده، ظهر على المقبرة في أيامه، في أورشليم، في السَّاعة الثَّالثة من عيد يوم العنصرة، صليبٌ عظيمٌ من نور، ولم يظهر لواحد، ولا لاثنين، بل لكلِّ أهل المدينة، جهراً، ورآه النَّاس بأعينهم، ثلاث ساعات، حتى أنَّ شُعاعه غلب على شُعاع الشَّمس وحجبها، وتنصَّر عند رؤية هذه الأعجوبة ألوفٌ كثيرة، وصاروا مسيحيِّين. وهذا تواتره صحيح.

عن الحدث الثَّاني: بحث الملكة هيلانه عن خشبة الصَّليب[٦]

– ومن حصر صفات هذا المثال الشَّريف، أنَّ اليهود لمَّا جعلوا خشبته المتشرِّفة بتعليق الجسد المسيحي عليها، تحت كوم الجلجلة المترفعة، وأخفوها، وكشفتها السِّت هيلانة، والدة قسطنطين، الملك المذكور، بنثار الدَّنانير على الكوم المذكور، إلى أن وجدت الخشبة مع الخشبتين، اللَّتين صُلب اللِّصان، مع السيِّد عليهما.

– فلم تعلم أيّهن الخشبة المخصوصة به، فاستدعت هيلانة جسد ميت، وأمرت بوضع الخشبات الثَّلاث عليه، فوُضع خشبتا اللِّصين عليه، فلم يتحرَّك الميت، ولم يقُم، ووضع خشبة السيِّد عليه، فللوقت قام حياً ممجِّداً للسيِّد المسيح (له المجد). وهذا تجده مسطوراً في التَّواريخ.

– وممَّا يصدِّق هذا النَّقل، ويحقِّق آيته ومعجزته، ما تضمَّنه "تاريخ السَّامرة"، المسمَّى "سفر يوشع"، وكتاب "البيان" وهو المعروف بـ "سفر الجلوات"، وتدوينهم هذه الآية فيه، آية ثانية؛ لأنَّ هذه وأمثالها مرادهم أن يخفوها، ولو ادَّعَينا عليهم بها لجحدوها. وإنما قدرة الله أرشدتهم إلى إيرادها في كتابهم، ليكون اعترافهم بها آية ثابتة لنا. وفيه من

٦– العنوان من عندي للتَّوضيح.

شطح النَّصارى وأنبياء بني إسرائيل ما يكافئهم الله عليه.

قالوا: "إنَّ في أيام قسطنطين الملك، وُجدت خشبة المسيح، التي صُلب عليها. وكان لمَّا قُتل، صُلب بين اثنين قاتولين (كذا)، ودُفن ببيت المقدس، وكان هناك حاضراً حكيمٌ منجمٌ حاذق، يهودي، ودفن الخشبة في حاكورة، وقال لمقدِّمي اليهود: "يجئ وقت تُطلب منكم، فإن لم توجد تملكوا.

- وقد دَفنتُ هذه الخشبات الثَّلاث، متى طلبوا منكم، احفروا، تصيبوهن، وأنا أعرِّفكم معجزاً، تقولوا: هذه إذا قُدِّمت لميت قام، قولوا: هذه خشبة يوشوا، أي يشوع، وأنتم تتخلَّصوا". وكذلك فعلوا، وقالوا. هذا نص ما تضمَّنه كتاب "السَّامرة" المشار إليه. والفضل ما شهدت به الأعداء[٧].

ثانياً: الجانب التَّاريخي لعيد الصَّليب في كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة

وعن الوجهة التَّاريخيَّة لعيد الصَّليب، سأركِّز حديثي على ما أوردته كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة لهذا العيد في الكنيسة القبطيَّة، مع شرح للجوانب التَّاريخيَّة كلَّما لزم الأمر.

أمَّا هذه الكُتُب الطَّقسيَّة التي تستخدمها الكنيسة القبطيَّة في هذا اليَوم فهي:

- كتاب الإبصاليَّات والطُّروحات الواطس والآدام[٨].
- الدِّفنار[٩].

٧- المؤتمن بن العسَّال، مجموع أصول الدِّين ومسموع محصول اليقين، المجلد الثَّاني: نص الأبواب ٢٠-٧٠ والخاتمة، تحقيق الأخ وديع الفرنسيسكاني، مؤلَّفات المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة – القدس، ١٩٩٩م، ص ٢٠٥، ٢٠٦

٨- اهتم بطبعه القُمُّص فيلوثاؤس المقاري والمعلِّم ميخائيل جرجس في عهد البابا كيرلس الخامس سنة ١٩١٣م.

- كتاب دورتي عيدي الصَّليب والشَّعانين وطروحات الصَّوم الكبير والخمسين[١٠].
- السِّنكسار[١١].
- الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة، وخدمة الشمَّاس والألحان، وكتاب المدائح الرُّوحيَّة[١٢].

الحدث الأوَّل: ظهور علامة الصَّليب في السَّماء

نتقابل مع حدث ظهور علامة الصَّليب للإمبراطور قسطنطين Constantine الكبير (٣٢٣ - ٣٣٧م) في السَّماء، في إبصاليَّة العيد الواطس حيث تقول الإبصاليَّة: "قسطنطين محب المسيح، رأى علامة الصَّليب في جَلَد السَّماء، وآمن بيسوع المسيح ... وأيضاً صنع رسمه فغلب في الحروب". وقد كرَّرت الإبصاليَّة الآدام نفس المعنى فقالت: "قسطنطين الملك رأى صليب ملك المجد في وسط السَّماء".

أمَّا كتاب الدِّفنار في طرحه بلحن آدام فلم يضف جديداً على ما ذكرته الإبصاليَّة الآدام، فيقول: "السَّلام للصَّليب الذي أبصره قسطنطين في الحرب". ويضيف الطَّرح الواطس من الدِّفنار أوصافاً للصَّليب بقوله: "علامة الخلاص الذي رآه قسطنطين مضيئاً في وسط السَّماء".

وعدا ذلك لا نجد ذكراً لهذا الحدث الأوَّل في صلوات وتسابيح الكنيسة في هذا اليَوم.

٩- طُبع في عهد البابا كيرلس الخامس، وعنى بطبعه القس دوماديوس البراموسي سنة ١٩٢٢م.

١٠- عني بطبعه القُمُّص فيلوثاؤس المقاري والقُمُّص برنابا البراموسي والقس أقلاديوس جرجس سنة ١٩٢١م.

١١- وضع أنبا بطرس الجميل أسقف مليج والأنبا ميخائيل أسقف أتريب والأنبا يوحنا أسقف البرلس وغيرهم من الآباء القدِّيسين. والمهتم بطبعه القُمُّص عبد المسيح ميخائيل والقُمُّص أرمانيوس حبشي شنا البرماوي في عهد الأنبا يؤانس التَّاسع عشر سنة ١٩٣٥م.

١٢- وهي مدائح جمعها المعلِّم فرح عبد المسيح والأرشيدياكون توفيق إبراهيم، وطُبعت سنة ١٩٥٩م.

إنَّ التَّقليد الكنسي الشِّفاهي والمتوارث عبر الأجيال كما تسلَّمته وتناقلته بعض الكنائس الشَّرقيَّة، هو أنَّ صليباً ظهر للإمبراطور قسطنطين في السَّماء، مع عبارة "بهذا تغلب" وذلك أثناء حربه مع مكسنتيوس Maxentius قيصر رومية. فصنع الإمبراطور قسطنطين حينئذ علامة الصَّليب راية لجنوده، وبقوَّة صليب المسيح انتصر على أعدائه. ومن ثمَّ اعتنق قسطنطين الدِّيانة المسيحيَّة — وإن كان في أواخر حياته وقبل موته — وأصدر مرسوم التَّسامح الدِّيني سنة ٣١٢م وهو المعروف بمنشور ميلان، فصارت المسيحيَّة واحدة من الدِّيانات المعترف بها في الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة.

ولكن قبل حادثة ظهور الصَّليب للإمبراطور قسطنطين في السَّماء، كان قسطنطين يود الدِّيانة المسيحيَّة منذ صبوَّته إقتداء بأبيه قسطنديوس Constantius خلورس الذي كان قيصراً على بريطانيا وغاليا (فرنسا)، والذي فضلاً عن أنه لم يكن يضطَّهد المسيحيِّين نظير رفاقه القياصرة في نيقوميديا Necomedia ورومية والإسكندريَّة، كان يسمح لتابعيه أن يدينوا بالدِّيانة المسيحيَّة علناً. حتى أنَّ كثيرين من المسيحيِّين حصلوا على مناصب عالية بين رجال دولته. ولمَّا كان قسطنطين مقيماً جوار الإمبراطور ديوكلتيانوس في مدينة نيقوميديا، ازداد ميلاً نحو المسيحيِّين لأنَّ صبرهم على الاضطهاد مع حُسن سيرتهم وتعلُّقهم بواجباتهم المدنيَّة، فضلاً عن الدِّينيَّة، كان أمامه هو البرهان على سمو الدِّيانة المسيحيَّة. ولمَّا ارتقى العرش الإمبراطوري أخذ يقرِّب منه المسيحيِّين مُظهراً لهم تمام إخلاصه نحوهم وثقته بهم، حتى أنَّ أكثر جنوده كانوا من المسيحيِّين. ولما نشبت الحرب بينه وبين مكسنتيوس وظهرت له علامة الصَّليب في السَّماء جعلها راية لجنوده، وبانتصاره اعتنق المسيحيَّة.

ولكن من الغريب حقاً أنَّ المؤرِّخ الكنسي ذائع الصِّيت والذي أطنب

كثيراً في مدح الإمبراطور قسطنطين، والذي كان مقرَّباً منه، وهو المؤرِّخ يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، قد أورد في مؤلَّفه "تاريخ الكنيسة" شرحاً وافياً للحرب التي نشبت بين قسطنطين الملك وبين عدوِّه مكسنتيوس، بدون أن يذكر مطلقاً حادثة ظهور صليب في السَّماء للإمبراطور قسطنطين، أو حتى مجرَّد التَّنويه عنها، سوى ما ذكره يوسابيوس عن أنَّ قسطنطين بعد أن دخل روماً ظافراً أمر أن يوضع في يد التِّمثال الذي أقيم تخليداً لانتصاره صليباً تُنقش عليه الكتابة التَّالية باللُّغة الرُّومانيَّة: "بهذه العلاَّمة المقتدرة دليل الشَّجاعة الحقيقيَّة، أنقذتُ مدينتكم وحرَّرتها من نير الطَّاغية ..."[١٣].

على أنَّ هذا الحدث لا علاقة له بمناسبة العيد ذاته – كعيد كنسي – إلاَّ في كونه سبباً في اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحيَّة، وفي تحوُّل الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة من الوثنيَّة إلى المسيحيَّة بعد ذلك، وفي سعى الملكة هيلانه إلى أورشليم للبحث عن خشبة الصَّليب المقدَّسة. وهذا يأتي بنا إلى الحدث الثَّاني وهو البحث عن خشبة الصَّليب المقدَّسة في أورشليم.

الحدث الثَّاني: البحث عن خشبة الصَّليب المقدَّسة في أورشليم

وسأعرضُ أولاً لاعتقاد الكنيسة القبطيَّة التَّاريخي لهذا الحدث من خلال نصوص صلواتها وتسابيحها، ثمَّ أُعقِّبُ على الحدث بما تعتقده الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى.

فأوَّل ذكر لما فعلته الملكة هيلانه، تذكره الإبصاليَّة الواطس وكذلك الإبصاليَّة الآدام فتقول: "فقامت هيلانه وذهبت إلى مدينة الرَّب أورشليم وطلبت باجتهاد خشبة الصَّليب المقدَّسة". أمَّا كتاب الدِّفنار في طرحه

١٣- تاريخ الكنيسة ليوسابيوس، ك ٩: ف ٩: ١٠، ١١

بلحن واطس فهو يشرح بالتَّفصيل قصَّة اكتشاف الصَّليب المقدَّس، فيقول في ذلك:

"اشتهت الملكة هيلانه أن ترى خشبة الصَّليب الذي صُلب رب المجد عليه، و لم تمل البتَّة تطلبه باشتياق حتى وجدته باجتهاد من قبَل أمانتها فيه ... لأنَّ هيلانه الملكة قامت وأخذت ثلاثة آلاف جندي ومضت إلى أورشليم تطلب الصَّليب، ثمَّ ذهبوا معها إلى موضع الجلجلة (الإقرانيون) فصلّى يهوذا قائلاً: أيها الرَّب الإله ضابط الكُل، أدوناي رب الصَّباؤوت، الجالس على الشَّاروبيم اظهر لنا. يا من قاس السَّماء بشبره والأرض بقبضته، أظهر صليبك لكي يتمجَّد اسمك القدُّوس. وفي تلك السَّاعة افترقت الأرض إلى ثلاثة طرق، وأعبق طيب رفيع عظيم الكرامة. فلمَّا حفروا أخرجوا ثلاثة صلبان معاً، ولكن لم يعلموا أيُّها هو صليب مخلِّصنا. وفي تلك السَّاعة جازوا بميِّت، فأمر يهوذا أن يضعوا الميِّت، ولما وضعوا عليه الصَّليب الأوَّل والثَّاني لم يقم، وحين وضعوا عليه الثَّالث جلس الميِّت، فخرَّت الملكة هيلانه وسجدت له وجميع الشَّعب صارخين قائلين: مباركٌ الرَّب يسوع وصليبه المحيي الذي صُلب عليه حتى خلَّص شعبه".

ثمَّ يعود كتاب الدِّفنار بعد ذلك وفي نفس الطَّرح يقول بتفصيل آخر: "السَّلام لك أيها الصَّليب الذي طلبته الملكة هيلانه باجتهاد حتى وجدته مع المسامير".

أمَّا طرح عيد الصَّليب الذي ورد في كتاب دورة عيدي الصَّليب فهو نفس كلمات طرح الدِّفنار بلحن واطس، إلاَّ أنه أضاف جملة قبل صلاة يهوذا السَّابق ذكرها من أجل إظهار خشبة الصَّليب بقوله: "فتشاور اليهود مع بعضهم قائلين لو بلغنا أن نموت كلُّنا لا نُظهر الصَّليب".

ثمَّ يأتي السِّنكسار الذي يوضِّح جوانب أخرى لهذا الحدث، فيذكر

أنَّ اختفاء الصَّليب تحت كومة الجلجثة كان بسبب أنه صارت عادة عند اليهود وعلى مدى مائتي سنة أن يلقوا بالقمامة ومخلَّفاتهم على قبر يسوع النَّاصري لكثرة الأعاجيب التي ظهرت من قبر المخلِّص من إقامة الموتى وإبراء المقعدين ... الخ.

وعن يهوذا الذي ورد ذكره في الدِّفنار وطرح الصَّليب في كتاب دورتي عيد الصَّليب، يذكر السِّنكسار أنه رجل كهل، كان يعرف مكان الصَّليب، وقد استعانت به الملكة هيلانه، ولكنه في البداية أنكر، ثمَّ اضطر للاعتراف بعد أن شدَّدت الملكة عليه.

وعلى ذلك نرى أنَّ الكنيسة القبطيَّة تحدِّد:

- سَفَر الملكة هيلانه صحبة ٣٠٠٠ جندي للبحث عن الصَّليب المقدَّس في مدينة أورشليم.
- كان اليهود قد طمسوا معالم القبر المقدَّس بإلقاء القمامة عليه مدَّة طويلة من الزَّمن.
- محاولة اليهود التَّكتُّم على مكان الصَّليب والقبر المقدَّس لكثرة العجائب التي ظهرت منه.
- رجلٌ كهل اسمه يهوذا هو الذي دلَّ على مكان الصَّليب.
- نص صلاة يهوذا.
- افتراق الأرض إلى ثلاثة طرق، وأعبق طيب رفيع الكرامة.
- حفر الجنود عند الجلجثة حتى وجدوا ثلاثة صلبان مع المسامير.
- عُرف صليب يسوع من إقامته لميِّت كانوا عابرين به من هناك.
- سجود الملكة هيلانه وهتاف الشَّعب: "مباركٌ الرَّب يسوع المسيح وصليبه المحيي الذي صُلب عليه حتى خلَّص شعبه".

وتربط كل الكنائس الشَّرقيَّة بين البحث عن صليب المخلِّص وبين

الملكة هيلانه، حين توجَّهت إلى أورشليم، وفتَّشت باجتهاد عن محل الصَّلب والآلام.

ويذكر المؤرِّخ ثيؤدوريت (٣٩٣- ٤٦٦م) أنَّ الملكة التقيَّة هيلانه تجشَّمت أتعاب السَّفر إلى أورشليم، وهي تناهز من العمر ثمانين سنة تقريباً. أمَّا القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م) فهو أوَّل من ربط بين البحث عن الصَّليب وبين الملكة هيلانه، وذلك في تقريظه لثيؤدوسيوس الكبير[١٤]، وتبعه في ذلك القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) وغيره من الآباء. أمَّا القدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) في مقالاته الرَّابعة والعاشرة والثَّالثة عشر، وفي رسالته إلى قسطنديوس الملك، يذكر قصَّة اكتشاف الصَّليب المقدَّس في زمن قسطنطين الملك سنة ٣٣٧م، وذلك أثناء الحفر لبناء بازيليكا كان الإمبراطور قد أمر بتشييدها على القبر المقدَّس بدون أن يذكر الملكة هيلانه[١٥]. وكان قد مرَّ على اكتشاف الصَّليب حوالي ٢٠ سنة[١٦].

أمَّا القدِّيس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) والذي عاش قريباً من مكان هذه الأحداث فقد صمت عن ذكر شئ منها. ويشهد سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) المؤرِّخ في الفَصل العاشر من تاريخه الكنسي على أنَّ الملكة هيلانه وجدت الصَّليب، وأرسلت جزءاً منه إلى القسطنطينيَّة.

ويتَّفق المؤرِّخ ثيؤدوريت (٣٩٣- ٤٦٦م) مع المؤرِّخ سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) على أنَّ الملكة وجدت أيضاً المسامير مع الصَّليب

14- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988, p. 710.

15- *Ibid.*, p. 710.

١٦- العظة التي ألقاها القدِّيس كيرلس الأورشليمي كانت سنة ٣٤٨م. وأمَّا اكتشاف الصَّليب المقدَّس فقد حدث سنة ٣٢٦م.

المقدَّس[١٧]، فأرسلتها إلى ابنها الإمبراطور قسطنطين الذي ثبَّت مسماراً منها في خوذته الملكيَّة.

وجدير بالذِّكر أنَّ كل الكنائس الشَّرقيَّة تعتقد بأنَّ شيخاً يهودياً اسمه يهوذا هو الذي دلَّ على مكان الجمجمة، حيث كان يصير هناك قصاص المجرمين قبل خراب أورشليم مفترضاً وجود الصَّليب فيه.

ويذكر غريغوريوس أسقف لاطور (+ ٥٩٤م) أنَّ الذي دلَّ على مكان الصَّليب هو يهوذا الذي سُمي بعد المعموديَّة كرياكوس. وكان في ذلك المكان (مكان الجمجمة) آنئذ هيكل وثني للزُّهرة بناه الملك أدريانوس، فأمرت الملكة هيلانه بهدمه وحفر الأرض للبحث عن الصَّليب المقدَّس.

ولا يذكر التَّقليد الشِّفاهي القبطي شيئاً عن هذا الهيكل الوثني، بل ذكر أكواماً من القمامة كانت تُلقى في هذا المكان. ولربما يمكننا جمع الأمرين معاً. فسقراط المؤرِّخ يذكر أنَّ السَّبب في اختفاء المكان هو تغطيته بالأتربة على شكل هضبة، أقيم فوقها هيكل وثني للزُّهرة، إمعاناً في إخفاء الصَّليب والقبر المقدَّس.

١٧- يخصِّص السِّنكسار الماروني يوم ٨ حزيران/ يونيو لتذكار وجود مسامير السيِّد المسيح. ويذكر أنَّ القدِّيسة هيلانه لمَّا وجدت صليب المسيح في أورشليم، وجدت معه المسامير واللَّوح الذي كُتب عليه: "يسوع النَّاصري ملك اليهود".

فعملت المسمار الأوَّل لجاماً لفرس ابنها قسطنطين الملك، يتَّخذه في الحروب للانتصار. والمسمار الثَّاني وضعته ذخيرة في القسطنطينيَّة ثمَّ نُقل إلى فرنسا ليد الملك لويس التَّاسع. والمسمار الثَّالث أُلقي في البحر حيث كانت تغرق المراكب فنجت من الغرق.

ويقول بعض العلماء أنَّ المسامير كانت أربعة، واحد منها جعله الملك قسطنطين في تاجه. أمَّا اللَّوح فهو محفوظ الآن في روما في كنيسة الصَّليب القريبة من كنيسة القدِّيس مار يوحنا لاتران.

أمَّا صلاة يهوذا التي أوردتها نصوص الصَّلوات القبطيَّة، فلم ترد في غيرها من الكنائس الشَّرقيَّة.

وتعتقد كلُّ الكنائس الشَّرقيَّة أنه بعد تعب ومشقَّة عظيمين، وجدوا ثلاثة صلبان، وليس صليباً واحداً، كما وجدوا المسامير أيضاً. ولا تتَّفق تقاليد الكنائس الشَّرقيَّة المختلفة حول نوع الأعجوبة التي حدثت لاكتشاف صليب الرَّب من بين الثَّلاثة صلبان، فهي إمَّا شفاء مريض أو إقامة ميِّت، ولكنها كلُّها تتَّفق على وجود ثلاثة صلبان بالجلجلة بواسطة الملكة هيلانه، وأنَّ صليب المسيح قد عُرف بواسطة معجزة[١٨].

فيفيد تقليد الكنيسة القبطيَّة بأنه أمكن التَّعرُّف على صليب الرَّب بإقامة ميِّت بعد وضع الصَّليب عليه. وهو ما يذكره بولينوس (+ ٤٣١م) أسقف نولا Nola في رسالته إلى سفيروس حين يخبره بأنَّ صليب الرَّب قد عُرف من إقامته لميِّت قبل دفنه.

أمَّا القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) في عظته الخامسة والثَّمانين على إنجيل القدِّيس يوحنا فيذكر أنه أمكن التَّعرُّف على صليب الرَّب بسهولة بين الثَّلاثة صلبان، فيقول:

> [... لمَّا فُتِّش عنها (أي على خشبة الصَّليب) فيما بعد، وُجدت الصُّلبان الثَّلاثة ملقاة معاً، ولكن لم يكن صليب الرَّب مجهولاً، إذ وُجد كما هو في الوسط، وعليه العنوان].

إلاَّ أنَّ التَّقليد السِّرياني الأنطاكي يقول بأنَّ الملكة هيلانه وهي ابنة قسِّيس سرياني من جوار الرَّها، قد نذرت أنه إذا استجاب الرَّب صلاتها وآمن ابنها الإمبراطور قسطنطين بالمسيح، ستسعى لتفتِّش عن خشبة

18- ODCC, 2nd edition, p. 710.

الصَّليب في أورشليم. وهكذا فعلت بعد أن استجاب الـرَّب لصـلاتها وتنصَّر ابنها قسطنطين، فذهبت إلى أورشليم وبحثت عن خشبة الصَّـليب المقدَّس، فوجدتها، وجرت معجزات باهرات للعديد من المرضى الـذين لمسوا تلك الخشبة، حتى أنَّ ميِّتاً وُضعت على جثمانه خشـبة الصَّـليب فعادت إليه الحياة[١٩].

ويقول روفينوس (٣٤٥-٤١٠م) المؤرِّخ في تاريخـه الكنسـي[٢٠]: إنَّ الصَّليب المقدَّس قد وُجد في عهد البطريرك مكاريوس الأورشـليمي (٣١٣-٣٣٤م)، وقد أمكن التَّعرُّف عليه من شفائه لامرأة كانت مقاربة الموت.

كما يذكر سقراط (٣٨٠-٤٥٠م) المؤرِّخ أنَّ الملكة هيلانه وجـدت ثلاثة صلبان على رمية حجر من مكان القبر المقدَّس، وقد وُجد صـليب الرَّب وعليه العنوان الذي كتبه بيلاطس. وقد تأكَّدوا من الصَّليب المقدَّس لمَّا وضعوه على امرأة مريضة فشُفيت.

ويشهد سوزومين المؤرِّخ (أوائل القرن الخامس) والذي كان معاصـراً لسقراط، بأنَّ الصَّليب قد عُرف من شفاء امرأة مصابة بمرض ثقيل.

فلمَّا شاع خبر اكتشاف الصَّـليب المقـدَّس في المدينـة المقدَّسـة وضواحيها، هرع المسيحيُّون لمشاهدة الصَّليب، ونظراً لتقاطر الجمـوع، وقف البطريرك مكاريوس على موضع عال، ورفع الصَّليب أمام الجميع، فسجدوا له بورع ومهابة.

أمَّا الصَّلوات التي ذكرتها نصوص الصَّلوات القبطيَّة فقد انفردت بها

١٩- المجلة البطريركيَّة، العدد ١٣٨، تشرين الأوَّل ١٩٩٤م، ص ٤٨٣

٢٠- كتاب ١٠، فصل ٧، ٨

الكنيسة القبطيَّة دون غيرها من الكنائس الشَّرقيَّة، حيث تقول هذه الكنائس الشَّرقيَّة: إنَّ جميع الشَّعب قالوا: "يارب ارحم". وقد حدث هذا في سنة ٣٢٦م.

ويذكر التَّاريخ أنه من جملة الذين آمنوا بعد اكتشاف الصَّليب المقدَّس كان يهوذا الآنف الذِّكر، والذي سُمي بعد المعموديَّة "كرياكوس"، وقيل إنه صار فيما بعد بطريركاً على أورشليم، واستشهد في عهد الإمبراطور يوليانوس الجاحد.

الحدث الثَّالث: استرجاع الصَّليب من بلاد الفُرس إلى أورشليم

قبل الحديث عن هذا الحدث الثَّالث وتأثيره على الاحتفال بعيد الصَّليب في الكنائس الشَّرقيَّة المختلفة، يلزمنا هنا إلقاء بعض الضَّوء على الملابسات التَّاريخيَّة التي صاحبت هذا الحدث.

ملابسات هذا الحدث

ملك الإمبراطور هرقل Heraclius سنة ٦١٠م واستمر حُكمه لمملكة الرُّوم إلى سنة ٦٤١م. وفي أوَّل سنة لمُلكه - وقد ضعفت المملكة البيزنطيَّة كثيراً نظراً للانقسام الدِّيني بين أطرافها، والذي تسبَّب عنه مجمع خلقيدونية - تحرَّك الملك الفارسي كسرى الثَّاني وهو العدو التَّقليدي للمملكة، وهيأ جيشين في وقت واحد، ومشى الأوَّل منهما إلى أنطاكية بقيادة شاهر براز، ومشى الثَّاني إلى الكبادوك وكيلكيَّة بقيادة شاهين، فاصلاً تلك المناطق، وتمركز فيها بغية قطع المواصلات والمؤن بين العاصمة القسطنطينيَّة وهذه البلاد المحتلَّة، وكان ذلك في سنة ٦١١م.

وفي ربيع سنة ٦١٤م مشى شاهر براز على القُدس ودخلها في شهر

مايو، وأحرق كنيسة القيامة، واستولى على عود الصَّليب في ١٥ مايو من تلك السَّنة كرهينة ثمينة، فاهتزَّت أركان مملكة الرُّوم لهذا الحدث الجلل.

وفي أغسطس سنة ٦١٥م اجتاز القائد شاهين[٢١] آسيا الصُّغرى بدون مقاومة، ودخل خلقيدونية، وتمركز فيها مهدِّداً بذلك مدينة القسطنطينيَّة نفسها، فألقى الرُّعب في القلوب.

وفي سنة ٦١٧م تمكَّن شاهر براز من دخول الإسكندريَّة، واحتل مصر كلَّها في سنة ٦١٨م. وفي سنة ٦٢١م - وكانت الأحوال قد ساءت في المملكة البيزنطيَّة، وانتشر الطَّاعون في البلاد، وبلغ القسطنطينيَّة - طلب هرقل الصُّلح مع كسرى، فرُفض طلبه، وكان الجواب مهيناً وطاعناً في الدِّين المسيحي مع الطَّلب بتسليم القسطنطينيَّة بدون قيد أو شرط.

فقد بعث قائد جيوش الفُرس يطلب إلى هرقل المفاوضة على الصُّلح، وقال مخبراً رسول الإمبراطور: قل لمولاك إنَّ دولة الرُّوم من أرضي، وما هو إلاَّ عاصي ثائر وعبد آبق، ولن أمنحه سلاماً حتى يترك عبادة الصَّليب ويعبد الشَّمس. فأحدثت هذه السُّبة هزَّة عنيفة أيقظت نفوس الرُّوم من رقادها، وأظهرت لهم أنَّ الحرب هي حرب دينيَّة فتملَّك الحماس القوم.

فصمَّم هرقل على الهجوم المباشر على كسرى في عُقر داره، وبدأ رحلته ثاني يوم عيد الفصح سنة ٦٢٢م. وهكذا استطاع بعد حرب دامت ست سنوات أن يحرِّر مملكته بأسرها من يد الفُرس. ففي ٢٩ فبراير سنة ٦٢٨م كان كسرى قد حرم ابنه كواذ — ويُسمى أيضاً شيرويه — من

٢١- يرى المؤرِّخ ألفريد بتلر A. Butler بعد بحث واستقصاء أنَّ الذي دخل إلى خلقيدونية هو "خوريام" الذي اشترك مع "شاهين" في قيادة الجيوش.
انظر: ألفريد بتلر، فتح العرب لمصر، الجزء الأوَّل، ص ١٠٦

ولاية العهد لصالح أحد إخوته، فقام هذا على أبيه وقبض عليه وسجنه ثمَّ عذَّبه وأذلَّه وفي النِّهاية قتله، واستولى على العرش الفارسي، وأرسل للحال يلتمس من هرقل الصُّلح معه. فانسحب الفُرس فوراً من أرمينيا، وهكذا أمكن لهرقل أن يعود بسهولة إلى القسطنطينيَّة.

ولكن شاهر براز ظلَّ مسيطراً في بلاد ما بين النَّهرين وسوريا ومصر، لأنه لم يعترف بشرعيَّة كواذ، ولأنَّ الشَّعب في سوريا ومصر كان ثائراً على المملكة البيزنطيَّة في حياة كسرى، فكان على هرقل أن يتَّفق مع شاهر براز على إخلاء هذه البلاد ويعيد إليه عود الصَّليب. وحدث أن مات كواذ بعد ثمانية أشهر فقط من تبوئه العرش، فصار على هرقل أن يتفاوض رسمياً من جديد مع شاهر براز. وتمَّ الاتفاق على إخلاء البلاد من الجيش الفارسي، وتعود الحدود بين المملكتين كسابق عهدها، أي أن يكون الفاصل بينهما هو نهر الفرات، ثمَّ يكون تسليم الصَّليب إلى هرقل بالسُّرعة الممكنة. فعاد هرقل إلى القسطنطينيَّة ودخلها رسمياً في احتفال منتصر، وذلك في أواخر أغسطس سنة ٦٢٩م حاملاً معه وفرة من الغنائم.

ثمَّ ما لبث أن انطلق مع زوجته الملكة مرتينا إلى آسيا في رحلة تفقديَّة في المنطقة، وكان الهدف الأساسي من الرِّحلة هو استلام عود الصَّليب الذي كان الفُرس قد تركوه هناك. ويبدو أنه كان محفوظاً في مدينة هيرابوليس (منبج) فحمله هرقل وسار به إلى مدينة بيرية (حلب) ثمَّ إلى حمص فدمشق، ومنها إلى طبريَّة. فالقُدس التي دخلها على الأرجح في ٢١ مارس سنة ٦٣٠م.

وهكذا سار إلى المدينة المقدَّسة حيث اقترب منه موكب من القسوس والرُّهبان يحملون الأناجيل والشُّموع والبخور، ودخل المدينة من بابها الذَّهبي في الجانب الشَّرقي منها. وكان البطريرك زكريا في انتظاره هناك،

وهنا خلع الإمبراطور ثيابه الفخمة ورداءه الأرجواني حتى يقترب من المواضع الطَّاهرة بما يليق بها من الخضوع والخشوع، حيث وضع الصَّليب المقدَّس في كنيسة القيامة في احتفال مهيب عُرف باسم "إعلاء الصَّليب" أو "رفع الصَّليب"[٢٢].

وقد حُفظت بقايا الصَّليب المقدَّس في صندوق من الفضَّة في أورشليم، بعد أن وُزِّعت أجزاء كثيرة منه على الكنائس في أنحاء العالم[٢٣].

ويذكر قطمارس الصَّوم الكبير[٢٤] في الكنيسة القبطيَّة، نقلاً عن ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في كتابه "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة"[٢٥] حادثة استرجاع الإمبراطور هرقل لخشبة الصَّليب المقدَّسة، والتي بسببها عُرف صوم الأسبوع الأوَّل من الصَّوم الكبير، وهو أسبوع هرقل. وهو ما ورد ذكره أيضاً عند الصَّفي ابن العسَّال في كتابه "المجموع الصَّفوي"[٢٦]. ولقد شرحتُ هذا الأمر شرحاً وافياً في كتاب "صوم نينوى والصَّوم المقدَّس الكبير"، فارجع إليه هناك، إن رغبتَ، منعاً للتِّكرار.

تأثير هذا الحدث على طقس الاحتفال بعيد الصَّليب

هذا هو الحدث الأساسي الذي يتركَّز حوله طقس الاحتفال بعيد الصَّليب في الغرب في مثل هذا اليَوم[٢٧]. فالعيد في الغرب هو عيد رفع

٢٢- مجلَّة المسرَّة، حزيران ١٩٩٠م، ص ٨٤-٩٠

23- ODCC, 2nd edition, p. 710.

٢٤- قطمارس الصَّوم الكبير، طُبع في عهد البابا يوساب الثَّاني سنة ١٦٦٩ش/ ١٩٥٣م، ص ٢٦

٢٥- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب الثَّامن عشر.

٢٦- انظر أيضاً كتاب "المجموع الصَّفوي لابن العسَّال، عني بنشره جرجس فيلوثاؤس عوض، الجزء الأوَّل، بدون تاريخ، الباب الخامس عشر، ص ١٧٠

27- ODCC, 2nd edition, p. 489.

خشبة الصَّليب المقدَّس في أورشليم سنة ٦٢٩م بواسطة الإمبراطور هرقل Heraclius حيث كان أوَّل احتفال به في الغرب في عصر البابا سرجيوس الأوَّل (٦٨٧-٧٠١م)[٢٨].

فقد ظلَّت خشبة الصَّليب المقدَّسة موجودة في كنيسة القيامة إلى أن غزا كسرى الثَّاني ملك الفُرس مدينة القُدس سنة ٦١٤م وانتصر على فوقا ملك الرُّوم، ودخل أورشليم، وسلب ذخائرها وعود الصَّليب معها. إلاَّ أنَّ الملك هرقل استرجع الصَّليب من خليفة كسرى. وقد أدخل الإمبراطور هرقل الصَّليب إلى أورشليم وهو يحمله على منكبيه من باب أورشليم إلى الهيكل حافي القدمين مكشوف الرأس بملابس بسيطة، ماراً به في شوارع أورشليم سنة ٦٢٩م[٢٩].

أمَّا كتاب القراءات الأرمني Armenian Lectionary الذي يعود تاريخه إلى سنة ٤٦٠م فيذكر الاحتفال بتكريم الصَّليب في يوم ١٤ سبتمبر (٢٧ سبتمبر في التَّقويم اليولياني)، وهو اليَوم الأوَّل من "أوكتاف" تكريس كنائس القسطنطينيَّة، وكان هذا العيد في الأصل هو عيد تكريم الصَّليب المقدَّس[٣٠].

علاقة هذه الأحداث الثَّلاثة بيوم ١٧ توت

يقول السِّنكسار القبطي تحت يوم ١٧ توت: "لما أخرجت الملكة هيلانه الصَّليب المقدَّس، بنت له كنيسة، وكُرِّست في السَّابع عشر من شهر توت". ولكن السِّنكسار القبطي يورد تفصيلات أكثر لهذه العبارة

28- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 144.

٢٩- كان هذا في زمن بطريركيَّة البابا بنيامين الأوَّل في مصر.

30- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 144.

السَّابقة تحت يوم ١٦ توت فيقول: "نعيِّد في هذا اليَوم من سنة ٣٢٦م لتكريس هياكل القيامة في أورشليم. وذلك أنه في السَّنة العشرين من مُلك قسطنطين، وبعد اجتماع المجمع المقدَّس بنقية، قالت الملكة هيلانه لابنها قسطنطين إنها كانت قد نذرت الذِّهاب إلى أورشليم، والتَّبرُّك من المواضع المقدَّسة، والبحث عن عود الصَّليب المحيي. ففرح بذلك وأعطاها أموالاً كثيرة، وأصحبها بعدد كبير من العسكر. ولمَّا وصلت إلى هناك وتباركت من الآثار المقدَّسة، فتَّشت عن عود الصَّليب حتى وجدته بعد التَّعب الشَّديد، فمجَّدته تمجيداً عظيماً، وأكرمته إكراماً جزيلاً، وأمرت ببناء هياكل القيامة والجلجثة وبيت لحم والمغارة والعليَّة والجسمانيَّة وسائر الهياكل ... ولما رجعت إلى ابنها وأعلمته بما صنعت، فرح وأرسل أموالاً طائلة ... ولما كمُل البناء في السَّنة الثَّلاثين من مُلكه[٣١]، أرسل أوان وكساو ثمينة، كما أرسل إلى بطريرك القسطنطينيَّة وإلى أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة ليأخذ كل منهما أساقفته ويذهب إلى القُدُس. فذهبا إلى هناك، واجتمعا ببطريرك أنطاكيا وأسقف القُدس ومكث الجميع إلى اليَوم السَّادس عشر من شهر توت، فكرَّسوا الهياكل التي بُنيت. وفي السَّابع عشر منه طافوا بالصَّليب تلك المواضع وسجدوا فيها للرَّب، وقدَّموا القرابين، ومجَّدوا الصَّليب وكرَّموه، ثمَّ عادوا إلى كراسيهم ..."

ثمَّ يعود السِّنكسار ليذكر تحت اليَوم السَّابع عشر من شهر توت أنَّ ظهور الصَّليب المجيد كان في العاشر من شهر برمهات (١٩ مارس)، ولأنه دائماً يكون في فترة الصَّوم الكبير، فقد استبدله الآباء بيوم ١٧ توت الذي هو تكريس كنيسة القيامة.

ويضيف السِّنكسار أيضاً: "إنه في هذا اليَوم اعتادت الشُّعوب

٣١- حيث استمر البناء لمدَّة عشر سنوات.

المسيحيَّة أن تذهب إلى كنيسة القيامة — التي بُنيت على قبر المخلِّص — في عيد تكريسها في مثل هذا اليَوم بجموعٍ غفيرة". وذكر السِّنكسار قصَّة رجل يُدعى اسحق السَّامري كان يبكّت النَّاس على تكبُّدهم مشاق السَّفر إلى أورشليم للسُّجود لخشبة. ولكنه آمن بعد أن عطشوا في الطَّريق و لم يجدوا ماءً، حتى وجدوا بئراً كان منتناً مُراً، صار حلواً برسم علامة الصَّليب. ولما وصل إلى القُدس ذهب إلى أسقفها وتعمَّد هو وأهل بيته.

ونفس هذه القصَّة قد أوردها الدِّفنار أيضاً بلحن واطس بقوله: "السَّلام لك أيها الصَّليب الذي جعل في المياه المُرَّة حلاوة، وشربت منها شعوب المؤمنين. السَّلام لك أيها الصَّليب الذي استحق أن يؤمن به اسحق السَّامري وكل الذين معه".

لقد تعدَّدت الآراء حول يوم اكتشاف الصَّليب المقدَّس بواسطة الملكة هيلانه. فالسِّنكسار القبطي يُرجعه إلى يوم ١٠ برمهات أي يوم ١٩ مارس بالتَّقويم اليولياني، وهو يقابل يوم ٥ أو ٦ مارس بالتَّقويم الجريجوري الذي تعمل به الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى. ويؤكّد السِّنكسار اليوناني هذا الأمر، حيث يذكر أنَّ الصَّليب وُجد في ٦ آذار/ مارس. إلاَّ أننا نجد أنَّ بعض السِّنكسارات الأخرى تقول إنه وُجد في شهر آيار/ مايو. وفي الحقيقة فإنَّ اكتشاف الصَّليب المقدَّس قد حدث فعلاً في الرَّبيع، وهو ما اتَّفقت عليه جميع الكنائس شرقاً وغرباً، حيث ظلّت الكنيسة الغربيَّة تحتفل بعيد الصَّليب في يوم ٣ مايو، وذلك قبل استرجاعه من الفُرس سنة ٦٢٩م[٣٢]. فتذكار يوم ٣ مايو والذي حُفظ في كتب الأبوكريفا قد حُفظ أولاً في بلاد الغال حتى القرن السَّابع، ثمَّ دخل إلى روما سنة ٨٠٠م

32- ODCC, 2nd edition, p. 489.

ولكنه أُلغي سنة ١٩٦٠م[٣٣].

أمَّا عن الاحتفال بالصَّليب في شهر سبتمبر، فهو الاحتفال بتدشين هياكل كنيسة القيامة في يوم ١٣ أيلول/ سبتمبر سنة ٣٣٥م حيث دام الاحتفال بهذا التَّدشين ثمانية أيام. وفي اليَوم التَّالي من هذه الاحتفالات — أي اليَوم الثَّاني منها وهو يوم ١٤ أيلول/ سبتمبر - رفع مكاريوس أسقف المدينة المقدَّسة آنذاك الصَّليب أمَّام الشَّعب، فهتف الشَّعب "يارب ارحم". وتقول السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا في القرن الرَّابع: إنه تمَّ تعيين عيد التَّدشين في هذا اليَوم بسبب اكتشاف عود الصَّليب. وهكذا نرى الدَّمج ما بين العيدين، أي تدشين هياكل كنيسة القيامة ورفع الصَّليب الكريم.

وتشهد الوثائق القديمة أنَّ تدشين هياكل كنيسة القيامة كان في يوم ١٣ أيلول/ سبتمبر طبقاً للتَّقويم الجريجوري، والذي يوافق الآن يوم ٢٦ سبتمبر بحسب التَّقويم اليولياني الذي تتبعه كنيسة الإسكندريَّة حتى الآن. أمَّا التَّعييد للصَّليب المقدَّس فقد كان في اليَوم التَّالي مباشرة أي يوم ١٤ سبتمبر من كل عام بحسب التَّقويم الجريجوري، والذي يقابل يوم ٢٧ سبتمبر بحسب التَّقويم اليولياني (١٧ توت).

ويُسمَّى هذا العيد في الكنيسة القبطيَّة "عيد الصَّليب المجيد". أمَّا الكنيسة البيزنطيَّة فتدعوه "عيد رفع الصَّليب الكريم المحيي". وهو يُسمَّى في كنائس الغرب بأسماء: "عيد تكريم صليب المسيح"، و"عيد الصَّليب المقدَّس"، و"عيد رفع الصَّليب المقدَّس".

إذاً فقد صار يوم ١٤ سبتمبر (٢٧ سبتمبر عند الأقباط) هو اليوم الذي تحتفل فيه جميع الكنائس بعيد الصَّليب، وذلك منذ عصور مبكِّرة.

33- ODCC, 2nd edition, p. 710.

كما ارتبط عيد الصَّليب بعيد تذكار تكريس كنيسة القيامة سنة ٣٣٥م.

ونلاحظ هنا أنَّ العيد يُسمَّى في كل من الكنيسة البيزنطيَّة والكنيسة الغربيَّة باسم "عيد رفع الصَّليب". ولكن الفرق بين التَّقليدين البيزنطي والغربي هو أنَّ الكنيسة البيزنطيَّة تعني برفع الصَّليب أي تذكار رفع الصَّليب المقدَّس على الجلجثة بواسطة البطريرك مكاريوس الأورشليمي سنة ٣٢٦م، حيث يظهر من سيرة القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) ومن قصَّة مريم المصريَّة وغيرهما، أنَّ الكنيسة الشَّرقيَّة كانت تعيِّد بهذا العيد قبل استرجاع الصَّليب من الفُرس في القرن السَّابع الميلادي. أمَّا الكنيسة الغربيَّة فالعيد عندها هو لتذكار رفع الصَّليب ونصبه في الجلجثة بعد استرجاعه من الفُرس في عهد الملك هرقل سنة ٦٣٨م. وجدير بالذِّكر أنَّ الكنائس الشَّرقيَّة قد ضمَّت هذا الحدث الأخير إلى عيد رفع الصَّليب الذي حدث قبلاً سنة ٣٢٦م وعيِّدت له أيضاً في يوم ١٤ سبتمبر.

وفي بغداد كان عيد الصَّليب يوم عطلة عامة، ويشترك المسلمون مع النَّصارى في الاحتفال به. وكانت الاحتفالات التي تتم في الأديرة المسيحيَّة تُظهر أيضاً هذه المشاركة[٣٤].

وماذا بعد؟

لقد تخضَّب الاحتفال بالصَّليب وإعلائه بدماء غزيرة أريقت، ومذبحة مروِّعة لليهود لم ينسها التَّاريخ. وشتَّان بين ما فعل المسيح المصلوب بصالبيه عندما طلب الغفران والصَّفح لهم، وبين أتباع المصلوب الذين أعملوا السَّيف والقتل في القوم أنفسهم، فحقَّ على القاتلين قول الإنجيل

٣٤- ناريمان عبد الكريم، معاملة غير المسلمين في الدَّولة الإسلامية، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٧١، ١٧٢

وهو لا يسقط أبداً: «الذين يُهلكون بالسَّيف، بالسَّيف يَهلكون». فهؤلاء اليهود الذين هرب منهم من استطاع الهرب إلى الصَّحراء فيما بعد نهر الأردن، قد تربَّصوا هناك الدَّوائر بأعدائهم، وقلوبهم تتَّقد بنار الغيظ وطلب الثَّأر، حتى لاحت لهم أعلام الإسلام، وهي طالعة، فرحَّبوا بهذه الجموع التي جاءت تطلب قتال الدَّولة الرُّومانيَّة، وصاروا لهم مرشدين في تلك البلاد، ولابد أنَّ ذلك كان في سنة ٦٣٤م حيث كان العرب قد دخلوا بلاد الفُرس بقيادة خالد بن الوليد.

وكأنَّ الصَّليب لم يرض بما فعله أتباعه من شرور تحت اسم الصَّليب، فلم يستقر له مقام في أورشليم بضعة سنين لم تبلغ أصابع اليد الواحدة. فبعد معركة اليرموك، جاز العرب نهر الأردن وكانت هيبتهم تسبقهم، فتُوقع الرُّعب في قلوب أهل البلاد، فأخذ أهل بيت المقدَّس الصَّليب المكرَّم، وكل ما كان في الكنائس من الآنية، ووضعوها عند السَّاحل، حيث شحنوها في سفينة وبعثوا بها إلى القسطنطينيَّة إلى الإمبراطور الذي أوهنه المرض وفتت عليه الأكباد. فاختلط فرح النَّاس بالصَّليب بحزن خيَّم عليهم إذ رأوا في عودة الصَّليب إليهم رمزاً لإخفاق ملكهم وخيبته. ويقيناً أنَّ الأقدار لم تسخر من هرقل سخراً أقطع حداً ولا أمر مذاقاً من هذا على كثرة ما أنزلته من نكبات.

وحاصر العرب مدينة القُدُس، ولمَّا لم يكن لهم عهداً بالحصار في حروبهم، ولم تكن لديهم عدد وآلات لصدع الأسوار، اكتفوا بحصار المدينة مدَّة استطالت زمن الشِّتاء كلِّه - شتاء سنة ٦٣٦/ ٦٣٧م - ولعلَّها كانت أطول من ذلك.

ولم يأت من قبَل الرُّومان أنباء تجعلهم يؤملون في النَّجدة، ولم يكن بأهل المدينة قوَّة ترفع الحصار عنهم، وقد قاربت المئونة على النَّفاذ، واقترب وقوع المجاعة. وما أن وصل الأمر إلى ذلك حتى اضطَّر البطريرك

الملكاني صفرونيوس (٦٣٤- ٦٣٨م) بطريرك أورشليم على مفاوضة العرب من فوق الأسوار، واتَّفق على أن يسلِّم المدينة على شرط أن يأتي الخليفة عُمَر بنفسه ليكتب عهدها.

وجاء عُمَر إلى الشَّام على جمل، وكان خشن الملبس والهيئة، وختم العهد، وزار الأماكن المقدَّسة بصحبة صفرونيوس، فالتفت ذلك البطريرك إلى أصحابه وقال لهم باللُّغة اليونانيَّة: "هذا هو الرِّجس الآتي من القفر، الذي ذكره النَّبي دانيال". وكانت هذه هي آخر مقالة وردت عن ذلك البطريرك صاحب اللِّسان المعسول في الدِّفاع عن الدِّين. وقد شهد مرَّة ثانية آخر حياته أسر بلاد صهيون، وكان حزنه وألمه لذلك الأسر الأخير سبباً في الإسراع به إلى قبره.

ولم تمض بضع مئات من السِّنين حتى سلَّمت القسطنطينيَّة للإسلام، ونُقش اسم النَّبي العربي حيث هو اليَوم على جدران الكنيسة الكُبرى، كنيسة آجيًّا صوفيًّا، التي صارت جامعاً من جوامع المسلمين. وبانهيار القسطنطينيَّة انهارت دولة الرُّوم، ذلك المارد العملاق الذي ظلَّ يجول في الشَّرق ويصول طيلة خمسة عشر قرناً من الزَّمان[٣٥].

٣٥- ألفريد بتلر، فتح العرب لمصر، مرجع سابق، ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٢٨

الفصل الخامس

عيد الصَّليب المجيد من الوجهة الطَّقسيَّة

تمهيد

تُعد يوميَّات السَّائحة الأسبانيَّة إيجيريا التي زارت أورشليم في القرن الرَّابع الميلادي أقدم مصدر تعرَّفنا منه على طقس الاحتفال بعيد الصَّليب في المدينة المقدَّسة أورشليم، حيث تعطينا هذه اليوميَّات وصفاً دقيقاً لها. وتصف لنا حفلة التَّدشين وكثافة المشاركين فيها من أساقفة وصل عددهم إلى أربعين أو خمسين أسقفاً ما عدا الكهنة والرُّهبان.

فطقس الاحتفال بالصَّليب المقدَّس نشأ أولاً في كنيسة أورشليم، ومنها انتقل إلى بقيَّة كنائس المسكونة شرقاً وغرباً. وبينما اختفى طقس تكريم الصَّليب المقدَّس في موطنه الأصلي في فلسطين، إلاَّ أنه لازال يترك آثاره في كُتُب الطَّقس للكنائس الشَّرقيَّة بصفة خاصة. فلازال هذا الطَّقس ناضراً ذا أهميَّة كُبرى في يوم الجمعة العظيمة عند السِّريان الأنطاكيِّين وعند الموارنة أيضاً. ومن الشَّرق انتقل تكريم الصَّليب إلى روما، ومنها إلى كل الغرب، حيث انتشر انتشاراً واسعاً.

ففي الطَّقس الرُّوماني القديم، كان الاحتفال بتكريم الصَّليب احتفالاً بسيطاً للغاية كما في الطَّقس القبطي الحالي والذي ظلَّ بسيطاً حتى اليَوم. ولكن تحت تأثير الطَّقس البيزنطي تطوَّر الاحتفال بالصَّليب في طقس روما لاسيَّما في وسط وجنوب إيطاليا في البداية. ومن هذا التَّأثير اليوناني

كان أصل التَّفخيم الذي صاحب هذا الطَّقس في الغرب.

ونتعرَّف على مثل هذه المراسيم اليونانيَّة في طقس تكريم خشبة الصَّليب المقدَّسة في مدينة القسطنطينيَّة في الثَّلاثة أيام الأخيرة من الأسبوع المقدَّس (أسبوع البَصخة)، وذلك في قصَّة زيارة الأسقف آركولف Arculf أسقف إحدى بلاد الغال إلى مدينة القسطنطينيَّة في منتصف القرن السَّابع الميلادي. وتُظهر لنا المصادر الملكانيَّة في لغتها السِّريانيَّة أنه في أنطاكيا — وفي زمن الحروب الصَّليبيَّة — كانت هناك "الحربة المقدَّسة" Holy Lance والتي كانت تُكرَّم في يوم الجمعة العظيمة. وإنَّ قصَّة اكتشاف هذا الأثر في أنطاكيا في هذه الفترة هي قصَّة مشهورة جداً[١].

وعن طقس عيد الصَّليب في الكنيسة القبطيَّة يقول ابن كبر (+ ١٣٢٤م): "عيد الصَّليب يعيَّد دُفعتين في السَّنة، الدُّفعة الأولى في السَّابع عشر من توت، وهي لظهوره الثَّاني بعد إخفائه، ولتكريس كنيسته. والدُّفعة الثَّانية في العاشر من برمهات، وهو أوَّل عيد له في أوَّل إظهاره. وفي كلا اليومين لا يُحَل صوم إن اتفقا فيه، وإنما يُزمَّر بألحانه المختصَّة به، ويعيَّد التَّعييد الرُّوحاني، وتدور الصُّلبان بالمجامر والرَّياحين والتَّرتيل والأناجيل"[٢].

وكما تعيِّد الكنيسة القبطيَّة للصَّليب المقدَّس مرَّتين في السَّنة، الأولى في ١٧ توت الموافق ٢٧ سبتمبر، والثَّانية في ١٠ برمهات الموافق ١٩ مارس والذي يقع دائماً في زمن الصَّوم المقدَّس الكبير، فإنَّ الكنيسة البيزنطيَّة تعيِّد أيضاً للصَّليب المقدَّس في ١٤ أيلول/ سبتمبر، وهو يقابل العيد الأوَّل

1- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958.

٢- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، البَاب ١٩

في الكنيسة القبطيَّة، وتعيِّد له مرَّة ثانية في الأحد الثَّالث من الصَّوم المقدَّس الكبير، وهو يُسمَّى "عيد السُّجود للصَّليب الكريم المحيي". أمَّا الأربعاء والجمعة من كل أسبوع فهما مخصَّصان لتذكار الصَّليب أيضاً.

ويحتفظ الطَّقس البيزنطي أيضاً باليَوم الأوَّل من شهر آب/ أغسطس للطَّواف بالصَّليب الكريم المحيي، وهو اليَوم الأوَّل من صوم السيِّدة العذراء عندهم. وأمَّا سبب الاحتفال بالصَّليب في هذا اليَوم فهو الأمراض التي تحصُل غالباً في شهر آب، ومن ثمَّ فقد جرت العادة قديماً في القسطنطينيَّة أن يُطاف في مدَّة صوم السيِّدة العذراء بعود الصَّليب الكريم في أزقَّتها وشوارعها لتقديس المكان ورفع الأمراض. فكان يؤتى به في مثل نهار اليَوم السَّابق (٣١ تموز / يوليو) من خزانة الملك علناً ويوضع على المائدة المقدَّسة أي المذبح في الكنيسة العظمى – أي كنيسة آجيًّا صوفيًّا – وفي مثل هذا اليَوم وما يليه من الأيام حتى إلى عيد نياحة والدة الإله (١٥ آب) كان يُطاف به في المدينة كلِّها، ثمَّ يوضع في مكان لكي يراه الشَّعب ويسجد له. ويُسمَّى هذا في الطَّقس البيزنطي: "تزييح الصَّليب الكريم".

وفي التَّقليد القبطي تكون صلوات عيد الصَّليب باللَّحن الشَّعانيني الذي يُصلَّى به أيضاً في يوم أحد الشَّعانين. وجدير بالذِّكر أنه ليس ثمَّة خلط بين الطَّقس الشَّعانيني، والطَّقس الفرايحي[٣].

أولاً: طقس تسبحة عشيَّة عيد الصَّليب المجيد

لا تشير أيٌّ من مخطوطات ترتيب البيعة التي لدينا إلى طقس يختص بتسبحة عشيَّة عيد الصَّليب المجيد، ومن ثمَّ فلم يرد فيها شئ عن إبصاليَّة

٣- عرضتُ لهذه الجزئيَّة بتفصيل عند الحديث عن طقس أحد الشَّعانين.

واطس أو آدام تُقال في هذه التَّسبحة.

أمَّا الأبصلموديَّات المطبوعة التي بين أيدينا فتورد إبصاليَّتين، واحدة واطس والأخرى آدام لعيد الصَّليب.

الإبصاليَّة الواطس لعيد الصَّليب

وهي تبدأ بالرُّبع الذي يقول: "رتِّلوا أيها المؤمنون محبِّي الإله يسوع المسيح، من أجل كرامة الصَّليب الخشبة المقدَّسة غير المائتة".

وفي هذه الإبصاليَّة المرتَّبة على الحروف الهجائيَّة القبطيَّة نُصلِّي قائلين:

- أيُّ فرح صار اليَوم في السَّماء وعلى الأرض من أجل الصَّليب المحيي الذي للمسيح ملك السَّموات.

- داود المرتِّل قال في كتاب مزاميره: الرَّب ملك على خشبة، التي هي مثال الصَّليب.

- من قَبَل صليبه ردَّ آدم وحواء إلى الفردوس، وكلُّ الصِّدِّيقين وآبائنا الأوَّلين.

- هوذا نحن المسيحيِّين نفتخر بالصَّليب، لأنه من قبل علامته صرنا أحراراً.

- تباركتَ يا سيِّدنا المسيح الذي ولدته العذراء، ورُفع على الصَّليب لأجل خلاص جنسنا.

- الصَّليب هو رجاؤنا، الصَّليب هو ثباتنا في شدائدنا وضيقاتنا، الصَّليب هو طهارتنا.

- باركوا الرَّب بالتَّسابيح والتَّراتيل قائلين: السَّلام لفخر المؤمنين، صليب ربِّنا يسوع المسيح.

الإبصاليَّة الآدام لعيد الصَّليب

أمَّا الإبصاليَّة الآدام والمرتَّبة على الحروف الهجائيَّة القبطيَّة فتبدأ بالرُّبع الذي يقول: "بالحقيقة نؤمن بك يا يسوع المسيح المخلِّص ابن الله، وبصليبك". وفيها نقول أيضاً:

- كلُّ كرامة ومجد تليق بصليب مَلك المجد، ثبات المؤمنين.
- عمانوئيل إلهنا الحقيقي، أعطانا الخلاص من أجل الصَّليب.
- عظيمة هي كرامة علامة الصَّليب الذي لملكنا يسوع المسيح ربِّنا.
- الصَّليب هو ثباتنا، الصَّليب هو رجاؤنا، الصَّليب هو ناصرنا في شدائدنا.
- لا نفتخر إلاَّ بالصَّليب كقول الصِّدِّيق بولس الرَّسول.

وهاتان الإبصاليَّتان هما من وضع مؤلِّف واحد، وإن لم يذكر فيهما اسمه صراحة، إلاَّ أنَّ أسلوبه معروف جيداً، وذو سمات خاصة تميِّزه[٤]، وهو "نيقوديموس" الذي عاش في غضون القرن الرَّابع عشر الميلادي، والذي يذكر اسمه صراحة في بعض إبصاليَّاته التي ألَّفها[٥].

ولقد ظلَّت إبصاليَّاته معروفة فقط في ناحية من نواحي البلاد، ومن المرجَّح أنها إحدى بلاد الصَّعيد، ومن ثمَّ فلم تشر إليها أيٌّ من مخطوطات ترتيب البيعة في القاهرة والإسكندريَّة حتى إلى بدايات القرن العشرين، كما سبق أن أشرتُ، ولكنَّها وجدت طريقها إلى الانتشار بعد طباعتها

٤- من بين هذه السِّمات رغبته المتكرِّرة في زيارة الأماكن المقدَّسة بمدينة أورشليم، حيث يفرد أرباعاً لهذه الرَّغبة، وقد أفرد مثلاً خمسة أرباع من الإبصاليَّة الآدام لهذا الغرض. ولا تخلو إبصاليَّاته من نغمة التَّوسُّل وطلب الخلاص من الضِّيقات والتَّجارب، والشِّفاء من الأمراض، مهما كانت المناسبة التي أُلفت الإبصاليَّة لأجلها ... الخ.

٥- أشرتُ إليه بتفصيل أكثر أثناء الحديث عن التَّسبحة الكيهكيَّة.

في كُتُب الصَّلوات الكنسيَّة بدءاً من العشرينيَّات من القرن العشرين.

وتُكمَّل وتُختم التَّسبحة كالعادة.

ثانياً: طقس صلوات رفع بخور عشيَّة عيد الصَّليب المجيد

يشرح مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقس) المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والذي تعود نساخته إلى سنة ١٩١٠م وتحت اليَوم السَّابع عشر من توت، يشرح طقس عيد الصَّليب المجيد، فيقول:

"يبتدئ بصلاة عشيَّة **كالعادة** من غير زيادة ولا نقص، **ولكن اللَّحن السَّنوي بطَّال**، ويُقرأ لحن الصَّليب المعروف به. فإن كانت الثِّيؤطوكيَّة[٦] واطس يُقرأ لبشها بلحن الصَّليب، ويُطرح الطَّرح بلحن الصَّليب إن أردت في الثِّيؤطوكيَّة ... وإن كان قُرئ الطَّرح، وإلاَّ فيقرأونه في آخر الذِّكصولوجيَّة"[٧].

وعند رفع البُخور يقولون:

أرباع النَّاقوس[٨]

نسجد للآب والابن، والرُّوح القُدُس، السَّلام للكنيسة بيت الملائكة.

Ⲡⲉⲛⲟⲩⲱⲟⲩⲧ ⲙ̀ⲡⲓⲱⲧ ⲛⲉⲙ
Ⲡ̀ⲱⲛⲣⲓ : ⲛⲉⲙ Ⲡⲓⲡⲛⲁ ⲉⲑⲟⲩ : ϫⲉⲣⲉ
ⲧⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ : ⲛ̀ⲧⲛ̀ⲛⲧⲉⲛⲓⲁⲥⲥⲉⲗⲟⲥ.

٦- "التوضوكية" طبقاً للمخطوط.

٧- وهكذا تذكر باقي مخطوطات ترتيب البيعة.

٨- وهو ما يشير إليه أيضاً مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط سيرباي لسنة ١٨٦٨م.

وكل العناوين الجانبيَّة هي للتَّوضيح فقط، ولم ترد في المخطوطات التي أنقل عنها.

السَّلام للصَّليب، الـــذي صُلب ربي عليه. السَّـــلام للقبر الذي وُضِعَ جسدُه فيه.	Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ⲉⲧⲁⲩⲉϥ Ⲡⲁⲥ̄ ⲉⲣⲟϥ : ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲙⲁⲃⲁⲧ : ⲉⲧⲁⲩⲭⲱ ⲙⲡⲉϥⲥⲱⲙⲁ ⲛⲁⲏⲧϥ.
بشفاعة والدة الإلـــه القدِّيسة مريم يـــارب، أنعم لنا بمغفرة خطايانا.	Ⲥⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ : ⲛⲧⲉ ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉⲃⲟⲗ ⲅⲁⲣⲓⲁ : Ⲡⲃⲟⲓⲥ ⲁⲣⲓⲃⲙⲟⲩ ⲛⲁⲛ : ⲙⲡⲓϫⲱ ⲉⲃⲟⲗ ⲛⲧⲉ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ.
مباركٌ أنت بالحقيقة ...	Ⲕⲉⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲁⲗⲏⲑⲱⲥ...

وتُقال ⲛⲓⲯⲁⲗⲙⲟⲥ (بي إبسيكي) أي أوشيَّة الرَّاقدين. وبعد "تفضَّل يارب ..." وما يتبعها، تُقال الشِّيرات باللَّحن الشَّعانيني الكبير، ويعقبها الذُّكصولوجيَّات، بدءاً بذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب.

ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب

(أ) حول نص الذُّكصولوجيَّة

من بين مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، أشار مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بسرباي والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٨٦٨م[٩] إلى هذه الذُّكصولوجيَّة الواطس المختصَّة بعيد الصَّليب.

ولقد طُبعت هذه الذُّكصولوجيَّة لأوَّل مرَّة في كتاب "الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة" التي طبعها أقلاديوس بك لبيـــب (١٨٦٨-١٩١٨م) في القاهرة سنة ١٦٢٤ش/ ١٩٠٨م[١٠]، وأيضاً في أبصلموديَّة القـــس مينـــا

٩- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦٢

10- Cf. Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church,* cited by Bulletin de la société d'archéologie copte (BSAC), t.VI, 1940.

البراموسي وكيل بطريركيَّة الإسكندريَّة، التي طبعها في الإسكندريَّة في نفس هذه السَّنة المذكورة[١١].

وقد حوت هذه الذُّكصولوجيَّة في طبعة سنة ١٩٠٨م أربعة عشر رُبعاً. وظلَّت هذه الذُّكصولوجيَّة تُرتَّل هكذا حتى سنة ١٩٤٨م حين قامت جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بطباعة الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة لأوَّل مرَّة، وجاءت فيها هذه الذُّكصولوجيَّة حاوية ثمانية عشر ربعاً. وليست هذه الذُّكصولوجيَّة وحدها هي التي طالها هذا التَّعديل بل كثيرٌ من العناصر اللِّيتورجيَّة الأخرى التي تحويها الأبصلموديَّة السَّنويَّة.

فنقرأ في المقدِّمة التي وردت في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م ما يلي: "لمَّا كانت التَّسابيح والتَّماجيد التي وضعها آباء الكنيسة، أودعوها كتباً خطيَّة، فقد اهتم الطيِّب الذِّكر والخالد الأثر المرحوم أقلاديوس يوحنا لبيب بك عام ١٦٠٦ش/ ١٩٠٨م بجمعها ومراجعتها على نسختي مثلَّث الرَّحمات الأنبا كيرلس الخامس والمتنيِّح الأنبا إيساك مطران كرسي بني سويف والبهنسا حينذاك، ثمَّ طبعها في كتاب أسماه 'كتاب الأبصلموديَّة السَّنويَّة المقدَّسة'. ولما رأت الجمعيَّة أنَّ نُسَخ الطَّبعة المذكورة فضلاً عن نفاذها وعن عدم جودة ورقها ينقصها الكثير من الذُّكصولوجيَّات وأرباع النَّاقوس، فكَّرَت في إعادة طبعها مع إكمال نقصها وتهذيب ألفاظها وترتيب أبوابها ... وحصلت على إذن غبطة البابا المعظم بإعادة الطَّبع فمنحها غبطته طرس البَركة الذي زيَّنت به جيداً هذا الكتاب ... وقد قيَّض الله لجنة من حضرات الشَّمامسة ... تحت إشراف المعلِّم ميخائيل جرجس كبير مرتِّلي الكنيسة المرقسيَّة الكُبرى لإتمام هذا العمل ... الخ".

١١- حسب طقس وترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، بأمر نيافة السيِّد الجليل أنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفيَّة ووكيل الكرازة المرقسيَّة بإسكندريَّة كلي الشَّرف. في عهد غبطة الأنبا كيرلس الخامس المائة والثَّاني عشر.

والجدول التَّالي هو نص ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب المجيد في كل من أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م، وأبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م.

أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م	أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م
	١- نحن أيضاً[١٢] معشر الشُّعوب أبناء الأرثوذكسيِّين نسجد لصليب ربِّنا يسوع المسيح.
	٢- بولس الرَّسول ينطق بكرامة الصَّليب قائلاً: ليس لنا أن نفتخر إلاَّ بصليب المسيح[١٣].

١، ٣- فلنسبِّح أيها المؤمنون ربَّنا يسوع المسيح، ونسجد لصليبه الخشبة المقدَّسة غير المائتة.

٢، ٤- نفتخر بك أيها الصَّليب الذي صُلب عليك يسوع، لأنه من قبل

١٢- واضح هنا أنَّ هذا الرُّبع لا يوافق أن يكون الرُّبع الأوَّل من الذُّكصولوجيَّة، بسبب كلمة "أيضاً"، والتي تعني استرسالاً في الحديث وليس بداية له. كما أنَّ معنى هذا الرُّبع الأوَّل قد تكرَّر مرَّة أخرى في الرُّبع الثَّالث، والذي هو البداية الأصيلة لهذه الذُّكصولوجيَّة بحسب أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م.

١٣- هذا الرُّبع الثَّاني يورد نفس مضمون ما يورده الرُّبع الرَّابع من الذُّكصولوجيَّة بحسب أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م. ممَّا يتَّضح معه أنَّ هذين الرُّبعين الأوَّلين لم يأتيا بجديد عمَّا أورده الرُّبعان الثَّالث والرَّابع، وهو ما يؤكِّد مجدَّداً أنَّ أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م كانت أكثر حبكاً ودقَّة من أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م فيما يختص بذكصولوجيَّة عيد الصَّليب المجيد.

وهنا تلزم الإشارة إلى أنه بدراسة محايدة - وعلى مدى سنين طويلة - لما صدر من كتب الصَّلوات الكنسيَّة على مدى القرن العشرين كلِّه، فإنَّ أدق كتب طقسيَّة كنسيَّة صدرت على مدى هذا القرن هي: كتاب الخولاجي المقدَّس الذي طُبع سنة ١٩٠٢م، وكتاب الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة الذي طُبع سنة ١٩٠٨م سواء في القاهرة أو الإسكندريَّة، وكتاب الأبصلموديَّة الكيهكيَّة الذي طُبع سنة ١٩١١م في القاهرة. فقد اتَّبعت هذه الكُتُب المنهج العلمي في الطَّبع والنَّشر، إلى جانب حفاظها على الأصول.

أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م	أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م
مثالك صرنا أحراراً.	
٣، ٥- أفواه الأرثوذكسيِّين والسَّبع الطَّغمات الملائكيَّة يفتخرون بك أيها الصَّليب الذي لمخلِّصنا الصَّالح.	
٤، ٦- نحملك على أعناقنا أيها الصَّليب ناصر المسيحيِّين بشجاعة ونصرخ جهاراً:	
٥- قائلين: السَّلام لك أيها الصَّليب الذي حمله الملك قسطنطين معه إلى الحرب وقتل البربر.	انظر بند (١٣)
٦- هذا هو اسم الخلاص الذي لربِّنا يسوع المسيح، وصليبه المحيي الذي صُلب عليه.	
	٧- السَّلام لك أيها الصَّليب فرح المسيحيِّين الغالب ضد المعاند، وثباتنا نحن معشر المؤمنين.
	٨- السَّلام لك أيها الصَّليب عزاء المؤمنين، وثبات الشُّهداء حتى أكملوا عذاباتهم.
٧- مكرَّمة جداً علامة الصَّليب الذي ليسوع المسيح الملك إلهنا الحقيقي.	انظر بند (١٤)
٨- الذي صُلب على الصَّليب حتى خلَّص جنسنا. ونحن أيضاً فلنكرمه صارخين قائلين	انظر بند (١٥)
٩- السَّلام لك أيها الصَّليب سلاح الغلبة، السَّلام لك أيها الصَّليب	

أبصلوديَّة سنة ١٩٠٨م	أبصلوديَّة سنة ١٩٤٨م
عرش الملك.	
١٠- السَّلام لك أيها الصَّليب علامة الخلاص، السَّلام لك أيها الصَّليب النُّور المشرق.	
١١- السَّلام لك أيها الصَّليب سيف الرُّوح، السَّلام لك أيها الصَّليب ينبوع النِّعم.	
١٢- السَّلام لك أيها الصَّليب كنز الخيرات، السَّلام لك أيها الصَّليب إلى كمال الدُّهور.	
١٣- فلنسجد للمسيح إلهنا الذي صلب على الصَّليب، وأعطانا الخلاص والعتق.	
انظر بند (٥)	١٣- قائلين: السَّلام لك أيها الصَّليب الذي حمله الملك قسطنطين معه إلى الحرب وقتل البربر[١٤].
انظر بند (٧)	١٤- مكرَّمة جداً علامة الصَّليب الذي ليسوع المسيح الملك إلهنا الحقيقي.
انظر بند (٨)	١٥- الذي صُلب على الصَّليب حتى خلّص جنسنا. ونحن أيضاً فلنكرِّمه صارخين

١٤- يتَّضح جلياً من هذا الرُّبع أنه في غير موضعه الطَّبيعي، لاسيَّما بسبب كلمة "قائلين" التي تتصدَّر بدايته. وهو ما نجده متوافقاً ومتناسقاً تماماً في أبصلوديَّة سنة ١٩٠٨م، حيث يأتي الرُّبعان السَّادس والثالث عشر – بحسب التَّرقيم الموجود في المتن – متتابعين، ليس في اتفاق اللَّفظ فقط، بل وفي المعنى أيضاً. وهما الرُّبعان الرَّابع والخامس في أبصلوديَّة سنة ١٩٠٨م.

أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م	أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م
	قائلين[١٥]:
	١٦- الصَّليب هو سلاحنا، الصَّليب هو رجاؤنا، الصَّليب هو ثباتنا في ضيقاتنا وشدائدنا.

١٤، ١٧- لأنه مباركٌ المسيح إلهنا وصليبه المحيي الذي صُلب عليه حتى خلَّصنا من خطايانا.

	١٨- نسبِّحه ونمجده ونزيده علواً كصالح ومحب البشر، ارحمنا كعظيم رحمتك[١٦].

ففي أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م نجد الآتي:

• الرُّبعان الأوليان من هذه الذُّكصولوجيَّة لا وجود لهما في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م والتي تبدأ فيها الذُّكصولوجيَّة بالرُّبع الذي يقول: ⲧⲉⲛⲉⲣⲅⲁⲛⲟⲥ ⲱ ⲛⲓⲡⲓⲥⲧⲟⲥ أي: "فلنسبِّح أيها المؤمنون ربَّنا يسوع المسيح ... الخ".

وهو نفس ما يذكره مخطوط أبصلموديَّة سنويَّة محفوظ بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار تحت رقم (١٠٣طقس) ويعود تاريخه إلى سنة ١٧٧٤م،

١٥- هذا الرُّبع الذي تأتي فيه كلمة "قائلين" في نهايته يشير إلى أنَّ الرُّبع الذي يليه (وهو الرُّبع السَّادس عشر) ليس في موضعه الطَّبيعي، فأبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م تفضح هذا الأمر، حيث يرد بعد هذا الرُّبع أربعة أرباع كاملة تبدأ كلها بكلمة "السَّلام لك أيها الصَّليب ...". وهذا يؤكِّد مجدَّداً أنَّ ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م هي الأكثر حبكاً ودقَّة عن تلك التي وردت في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م.

١٦- واضحٌ من نص هذا الرُّبع أنه ختام عام لا يختص بالصَّليب المقدَّس بعينه، أمَّا الختام الطَّبيعي لذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب فهو كما ورد في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م.

وهو وقف على القلاّيَة البطريركيَّة المرقسيَّة القبطيَّة. وتبدأ فيه ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب بكلمة ⲫⲉⲛⲉⲣⲥⲉⲙⲛⲟⲥ "فلنسبِّح"، ونص الذُّكصولوجيَّة في المخطوط المذكور هو كما ورد في أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب سنة ١٩٠٨م.

• هناك ثلاثة أرباع في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م لم ترد في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م[١٧]، وفي مقابلها هناك ربعان فقط في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م لم يردا في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م[١٨].

أمَّا الثَّلاثة أرباع التي وردت في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م ولم ترد في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م فهي[١٩]:

- السَّلام لك أيها الصَّليب فرح المسيحيِّين، الغالب ضد المعاندين، وثباتنا نحن معشر المؤمنين.
- السَّلام لك أيها الصَّليب عزاء المؤمنين، وثبات الشُّهداء حتى أكملوا جهادهم.
- الصَّليب هو سلاحنا، الصَّليب هو رجاؤنا، الصَّليب هو ثباتنا في ضيقاتنا وشدائدنا.

أما الرُّبعان اللَّذان وردا في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م ولم يردا في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م فهما[٢٠]:

هذا هو اسم الخلاص | ⲉⲧⲉ ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲓⲣⲁⲛ ⲛⲟⲩⲥⲁⲓ:ⲛⲧⲉ

١٧- وهي الأرباع السَّابع والثَّامن والسَّادس عشر.

١٨- وهما الرُّبعان السَّادس والثَّالث عشر، بحسب أبصلموديَّة ١٩٠٨م.

١٩- لاحظ هنا أنَّ هذه الأرباع الثَّلاثة تشير إلى الصَّليب خلواً من ذكر المصلوب عليه ربِّنا يسوع المسيح.

٢٠- لاحظ أنَّ هذين الرُّبعين يربطان بين المسيح له المجد وصليبه المحيي، وهو النَّهج الذي ثبتت عليه ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م.

ⲡⲉⲛⲟⲥ ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ : ⲛⲉⲙ ⲡⲉⲫⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ ⲛ̀ⲣⲉⲫⲧⲁⲛⲁⲱ : ⲫⲏⲉⲧⲁⲧⲁϣⲫ ⲉⲃ̀ⲣⲏ ⲉϫⲱⲫ.	الـذي لربِّنـا يسـوع المسيح، وصليبه المحيـي الذي صُلب عليه.
ⲙⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙ̀ⲡⲭⲥ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ : ⲫⲏⲉⲧⲁⲧⲁϣⲫ ⲉⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ⲟⲩⲟⲉ ⲁⲫⲧ ⲛⲁⲛ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲱⲧ : ⲛⲉⲙ ⲧⲙⲉⲧⲉⲗⲉⲩⲑⲉⲣⲟⲥ.	فلنسجد للمسيح إلهنا الـذي صُـلب علـى الصَّـليب، وأعطانـا الخلاص والعتق.

• الرُّبع الأخير من أبصلوديَّة سنة ١٩٤٨م لا وجود له في أبصلوديَّة ١٩٠٨م حيث تُختم الذُّكصولوجيَّة في أبصلوديَّة سنة ١٩٠٨م بالرُّبع الذي يقول: ⲭⲉ ⲉⲛⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛⲁⲉ ⲡⲭⲥ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ أي: "لأنه مباركٌ المسيح إلهنا ... الخ"، وهو الرُّبع قبل الأخير في أبصلوديَّة سنة ١٩٤٨م.

وبعد كل هذا، أليس عجيباً حقاً أن تظل ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب التي طُبعت سنة ١٩٠٨م تُرتَّل على مدى أربعين سنة حتى جرى تعديلها في سنة ١٩٤٨م، ثمَّ بعد حوالي أربعين سنة أخرى نعود إلى ذُكصولوجيَّة سنة ١٩٠٨م مرَّة أخرى؟. لأنه في سنة ١٧٠٢ش/ ١٩٨٦م تُصدر لجنة التَّحرير والنَّشر بمطرانيَّة بني سويف والبهنسا الطَّبعة الثَّانية من أبصلوديَّة أقلاديوس بك لبيب التي صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٠٨م، وجاءت هذه الطَّبعة الثَّانية بعنوان: "الأبصلوديَّة السَّنويَّة حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة"[٢١]. وبالطَّبع جاءت فيها ذُكصولوجيَّة

٢١- من أجل الأمانة العلميَّة فحسب، يلزم التَّنويه إلى أن هذه الطَّبعة الثَّانية لم تلتزم بما ورد في الطَّبعة الأولى لأبصلوديَّة أقلاديوس بك لبيب، بل أضافت عناصر ليتورجيَّة وتنبيهات منقول بعضها عن أبصلوديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس بدون أي إشارة إلى هذه

عيد الصَّليب – التي نحن بصددها الآن – حاوية أربعة عشر ربعاً فقط!. وفي سنة ٢٠٠٠م يصدر دير السيِّدة العذراء براموس الطَّبعة الثَّانية من أبصلموديَّة القس مينا البراموسي التي صدرت في الإسكندريَّة سنة ١٩٠٨م، ولكن هذه الطَّبعة في الحقيقة قد نهجت على نهج أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة في أرباع النَّاقوس والإبصاليَّات والذُّكصولوجيَّات، ولم تقتفي آثار دقة الطَّبعة الأولى، حيث وردت فيها هذه الذُّكصولوجيَّة المختصَّة بعد الصَّليب حاوية ثمانية عشر ربعاً!.

(ب) حول مضمون الذُّكصولوجيَّة

تخاطب هذه الذُّكصولوجيَّة الصَّليب خطاباً مباشراً، وهو تقليد تعرفه الكنائس المسيحيَّة عموماً منذ عصور مبكرِّة. فإيمان الكنيسة الجامعة هو أنَّ تكريم الصَّليب المقدَّس وتكريم المصلوب عليه ربِّنا يسوع المسيح صنوان لا يفترقان. فكرامة الصَّليب صارت من كرامة المصلوب عليه. وحينما أراد القدِّيس بولس الرَّسول أن يوجز هذا الإيمان قال: «لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١كورنثوس ٢:٢). وإنَّ الرُّبعين اللَّذين وردا في أبصلموديَّة سنة ١٩٠٨م ولم يرد ذكرهما في أبصلموديَّة سنة ١٩٤٨م يحملان هذا المعنى بكل جلاء. وما سبق إيراده من ملاحظات على الذُّكصولوجيَّة توفي هذا الغرض حقَّه.

باقي العناصر اللِّيتورجيَّة لصلوات رفع بخور عشيَّة عيد الصَّليب

ويكمل مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧ طقس) بقوله[٢٢]:

الإضافات. وإنه من العجيب أن يأتي عنوان هذه الأبصلموديَّات المختلفة أنه "بحسب ترتيب آباء الكنيسة القبطيَّة"!.

٢٢- ويتَّفق معه في ذلك مخطوط ترتيب البيعة بمكتبة دير البراموس لسنة ١٥١٤م.

وإن كان قد قُرئ الطَّرح وإلاَّ فيقرأونه في آخر الذُّكصولوجيَّة. وفي ضمن قراءة الأمانة (أي قانون الإيمان بمقدِّمته) يضعون على الصَّليب ثلاث شمعات موقدة، ويرفعه الكاهن، ويقول ⲫⲧ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ (إفنوتي ناي نان) أي: "اللَّهم ارحمنا ..."[٢٣]، ثمَّ يقول صلاة الإنجيل، ويُطرح المزمور ويُرد بمرد المزمور وهم يطوفون المذبح بالإنجيل ويقولون:

مرد مزمور عشيَّة عيد الصَّليب[٢٤]

لك ينبغي التَّسبيح يا الله في صهيون، ولك توفى النُّذور في أورشليم. استمع يا الله لصلاتي لأنه إليك يأتي كل بشر هللويا.

ⲛⲑⲟⲕ ⲫⲧ ⲑⲉⲣϣⲁⲩ ⲛⲁⲕ ⲛ̀ⲭⲉ ⲡⲓⲭⲱ ϩⲉⲛ ⲥⲓⲱⲛ : ⲉⲧⲉ̀ⲧ ⲛⲁⲕ ⲛ̀ⲥⲁⲛⲉⲧⲭⲏ ϩⲉⲛ ⲓⲉⲣⲟⲥⲁⲗⲏⲙ : ⲥⲱⲧⲉⲙ ⲫⲧ ⲉ̀ⲧⲁ̀ⲡⲣⲟⲥⲉⲧⲭⲏ : ⲭⲉ ⲥⲉⲛϩⲟⲩ ϩⲁⲣⲟⲕ ⲛ̀ⲭⲉ ⲥⲁⲣⲝ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲁ̅ⲗ̅.

وعند نهاية تفسير الإنجيل يُرد بهذا:

مرد إنجيل عشيَّة عيد الصَّليب[٢٥]

ربُّنا يسوع المسيح أعطى علامة لعبيده الذين يخافونه لكي يسودوا على أعدائهم.

ⲕ̀ⲗ Ⲡⲉⲛⲟ̅ⲥ̅ Ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ Ⲡⲭ̅ⲥ̅ : ⲧ ⲛ̀ⲟⲩⲱϩⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲛⲉϥⲉⲃⲓⲁⲓⲕ : ⲛⲏⲉⲧⲉⲣϩⲟⲧ ϩⲁⲧⲉϥϩ : ⲉⲑⲣⲟⲩⲉⲣⲟ̅ⲥ̅ ⲉ̀ⲭⲉⲛ ⲛⲟⲩⲭⲁⲭⲓ.

٢٣- عبارة: ويقول ⲫⲧ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ (إفنوتي ناي نان) أي: "اللَّهم ارحمنا ..."، لم ترد في المخطوطين المذكورين.

٢٤- وهو ما يشير إليه أيضاً كل مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا. انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦٣

٢٥- نفس الهامش السَّابق.

وهذا هو اسم الخلاص الذي لربِّنا يسوع المسيح وصليبه المحيي الذي صُلب عليه.

Ⲉⲧⲉ ⲫⲁⲓ ⲡⲉ ⲡⲓⲣⲁⲛ ⲛⲟⲩⲭⲁⲓ : ⲛⲧⲉ Ⲡⲉⲛⲟ̅ⲥ Ⲓⲏ̅ⲥ Ⲡⲭ̅ⲥ : ⲛⲉⲓⲁ ⲡⲉⲩⲥ̅ⲥ ⲛⲣⲉⲩⲧⲁⲛⲇⲟ : ⲫⲏⲉⲧⲁⲧⲁⲱⲩⲉ ⲉⲃⲣⲏⲓ ⲉⲭⲱⲩ.

اشفعي فينا يا سيِّدتنا كلِّنا ...

Ⲇⲣⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲉⲩⲓⲛ ⲉⲃⲣⲏⲓ ⲉⲭⲱⲛ : ⲱ ⲧⲉⲛⲟ̅ⲥ ⲛⲛⲏⲃ ⲧⲏⲣⲉⲛ...

مرد إنجيل عشيَّة آخر لعيد الصَّليب

تعالوا كلُّكم معاً اليوم أيها الشَّعب الحقيقي للمسيح، لنسجد للصَّليب الخشبة التي عُلِّق عليها ربي.

Ⲇⲁⲱⲓⲛⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲉⲧⲥⲟⲡ ⲙ̀ⲫⲟⲟⲩ : ⲱ ⲛⲓⲗⲁⲟⲥ ⲙ̀ⲙⲏⲓ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲡⲭ̅ⲥ : ⲛ̀ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲩⲧ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲡⲓⲱⲉ ⲉⲧⲁⲧⲁⲱⲩⲉ Ⲡⲁⲥ̅ⲥ ⲉⲣⲟⲩ.

من قبَل صليبه وقيامته المقدَّسة ردَّ الإنسان مرَّة أُخرى إلى الفردوس.

Ⲉⲃⲟⲗⲃⲓⲧⲉⲛ ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲛⲉⲓⲁ ⲧⲉⲩⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ⲉⲟⲩ : ⲁⲩⲧⲁⲥⲑⲟ ⲙ̀ⲡⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛ̀ⲕⲉⲥⲟⲛ : ⲉⲇⲟⲩⲛ ⲉⲡⲓⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ.

وإن كانوا يطرحون طرحاً بعد كمال الصَّلاة، فليقولوا بلحن العيد:

Ⲭⲉ ⲫⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ⲭⲉ Ⲡⲭ̅ⲥ Ⲡⲉⲛⲛⲟⲩ†...

ثمَّ يقولون لحن العيد وهو: Ⲉⲧⲁⲩⲉⲛ ⲛⲓⲥⲇⲁⲓ... أي: "وردت كتب سلاميَّة من قسطنطين إلى الإسكندريَّة قائلاً ..."[٢٦].

٢٦- وكلمات هذا اللَّحن هي: "وردت كُتُب سلاميَّة من قسطنطين إلى الإسكندريَّة قائلاً: أغلقوا أبواب البرابي وافتحوا أبواب الكنائس" ثمَّ البرلكس "لمَّا سمع

ويقولون برلكسه بلحن الصَّليب وهو: ⲁ ⲡⲓⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ...

وبعد الطَّرح عربياً[٢٧] يقولون: ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛⲧⲉ ⲧⲉⲓⲣⲏⲛⲏ أي: "يا ملك السَّلام ..." إلى آخر ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲩⲧ ⲙ أي: "نسجد لك أيها المسيح ...".

ويرفع الكاهن الصَّليب والإنجيل، وتُقال كيرياليسون كالعادة. ووقت التَّقبيل يرتِّلون بهذا القانون:

الأساقفة فرحوا والقسوس ابتهجوا وسبع طغمات الكنيسة مجَّدوا إلـه السَّماء ... مغبوط هو هذا الشَّعب الذي قيل له هذا الأمر، طوباك يا قسطنطين لأنك أحييت الأمانة فلذلك أحياك الله في ملكوت السَّموات".

و لم يجد هذا اللَّحن قبولاً من الأقباط، فكلماته لا تناسب كونه لحناً لعيد الصَّليب. ويقول الأستاذ راغب مفتاح عنه: إنَّ هذا اللَّحن تشترك معه في الموسيقى ألحان أخرى هي الشِّيرات الشَّعانيني وطرح الشَّعانين ولحن طرح الصَّليب، مما يثبت أنَّ هذه الألحان هي ألحان قديمة.

انظر: مجلَّة معهد الدِّراسات القبطيَّة، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٥٥

وأمَّا اليوم فقد حلَّ لحن ⲫⲁⲓⲉⲧⲁⲥⲉⲛⲉ ⲉⲡⲱⲟⲩ "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصَّليب ..." محل هذا اللَّحن السَّابق ذكره.

٢٧- وهو الطَّرح الذي بدايته: "اشتهت الملكة هيلانه أن تنظر خشبة الصَّليب المقدَّسة التي صُلب السيِّد عليها ...".

ومن كلمات هذا الطَّرح:

السَّلام للصَّليب علامة الظَّفر الذي أعطي للمسيحيِّين ليتقوُّوا من قبله.

السَّلام للصَّليب الشَّجرة التي في الفردوس التي أغصانها العطريَّة تحيي كل أحد.

السَّلام للصَّليب علامة الخلاص الذي رآه قسطنطين يضئ في وسط السَّماء.

السَّلام للصَّليب الذي جُعل في المياه المرَّة فحليت وشرب منها شعوب المؤمنين.

السَّلام للصَّليب فخر المسيحيِّين الذي صُلب عليه الرَّب حتى خلَّص شعبه.

السَّلام للصَّليب المنارة الذَّهب المصفَّى الذي وقد عليها المصباح الذي هو عمانوئيل.

السَّلام للصَّليب قضيب خشبة اللَّوز الذي دم الحمل قطر عليه.

السَّلام للصَّليب الذي صُلب الرَّب عليه فبسط يديه وجذب إليه كل أحد ... الخ.

قانون ختام الصَّلوات[٢٨]

ظهرَت علامة الصَّليب في الفَلَـــك للملـــك قسطنطين قائلة: خُـذْ هذه العلامة الملكيَّة وخُذْ لكَ هـــذا الاســـتحقاق وستغلب به.	Ⲡⲧⲩⲡⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ✝ : ⲁⲫⲟⲩⲱⲛⲥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ϩⲉⲛ ⲡⲓⲥⲧⲉⲣⲉⲱⲙⲁ : ⲙ̀ⲙⲟⲧⲣⲟ Ⲕⲱⲥⲧⲁⲛⲧⲓⲛⲟⲥ : ⲭⲉ ⲟⲩ ⲛⲁⲕ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲙⲏⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲟⲩⲣⲟ : ⲭⲉ ⲟⲩ ⲛⲁⲕ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲁ̀ⲍⲱⲙⲁ : ⲟⲩⲟⲥ ⲛ̀ϩⲣⲏⲓ ⲛ̀ϩⲏⲧⲥ ⲉⲕⲉ̀ⲃⲣⲟ.
المجد ...	Ⲇⲟⲍⲁ ..
عظيمة هـــي كرامـــة الصَّليب عند العارفين أنه بإشارته خلق الله الإنسان والأشياء المحيطـــة بـــه والرِّياح وأقسام الزَّمن.	Ⲡⲧⲁⲓⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ✝ : ⲟⲩⲛⲱϥ ϩⲁⲧⲉⲛ ⲛⲏⲉⲧⲉⲙ : ⲭⲉ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲉⲛ ⲡⲉϥⲧⲩⲡⲟⲥ : ⲁ Ⲫϯ ⲑⲁⲙⲓⲟ ⲙ̀ⲡⲓⲣⲱⲙⲓ : ⲛⲉⲙ ⲛϩⲁⲧⲣϩⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲑⲏⲟⲩ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲙⲉⲣⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϭⲟⲟⲩ.
الآن ...	Ⲕⲉ ⲛⲩⲛ
صارخين قائلين ...	Ⲉⲛⲱϥ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲉⲛϫⲱ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ..

وتورد بعض مخطوطات ترتيب البيعة ذُكصولوجيَّة آدام للصَّليب[٢٩] تُقال قبل الطَّرح.

فيذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م الذُّكصولوجيَّة الآدام التَّالية[٣٠]:

٢٨- وهو ما تذكره أيضاً كل مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا.

٢٩- أورد مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، واحدة منها، وأورد مخطوط البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م واحدة أخرى.

٣٠- أوردتُها هنا بنصِّها إذ وجدتُ أنَّ كتاب التَّماجيد المقدَّسة الذي عني بطبعـــه

ذُكصولوجيَّة آدام تُقال قبل الطَّرح في عيد الصَّليب المجيد

من قبل الـدَّم على خشبة الصَّليب رجع آدم إلى رئاسته مرَّة أخرى.

Ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲧⲉⲛ ⲛ̀ⲥⲛⲟⲩ : ⲉ̀ⲡⲱⲉ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲁⲩⲧⲁⲥⲑⲟ ⲛ̀ⲁ̀ⲇⲁⲙ: ⲉ̀ⲧⲉⲩⲁⲣⲭⲏ ⲛ̀ⲕⲉⲥⲟⲩ.

لأنَّ حَمل الله الـذي صلبوه عليه دم بلا خطيئة (أي) الذي سفك.

Ⲭⲉ ⲡⲓϩⲏⲃ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲫ† : ⲫⲏⲉⲧⲁⲧⲁϣⲟⲩ ⲉ̀ϫⲱⲩ : ⲟⲩⲥ̀ⲛⲟⲩ ⲛ̀ⲁⲑⲛⲟⲃⲓ: ⲫⲏ̀ⲧⲁⲩⲫⲱⲛⲩ ⲉ̀ⲃⲟⲗ.

السَّلام للصَّليب المذبح الأوَّل الذي رُفعت عليه ذبيحة الخلاص.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲡ̀ϣⲟⲣⲡ ⲛ̀ⲟⲩⲥⲓⲁⲥⲧⲏⲣⲓⲟⲛ : ⲉ̀ⲧⲁⲩⲧⲁⲗⲟ ⲉⲓϫⲱⲩ: ⲛ̀ⲧⲉⲟⲩⲥⲓⲁ ⲛ̀ⲟⲩϫⲁⲓ.

السَّلام للصَّليب كرازة الرُّسُل الذين كرزوا بـه في المسكونة.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲛ̀ⲥⲓⲱϣ ⲛ̀ⲛⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ : ⲉ̀ⲧⲁⲩⲥⲓⲱϣ ⲙ̀ⲙⲟⲩ: ϩⲉⲛ †ⲟⲓⲕⲟⲩⲙⲉⲛⲏ.

السَّلام للصَّليب ثبات الكنائس، زينة الشُّعوب

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥⲧⲁⲧⲣⲟⲥ : ⲛ̀ⲧⲁϫⲣⲟ ⲛ̀ⲛⲓⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ : ⲛ̀ⲥⲟⲗⲥⲉⲗ

القس دوماديوس البراموسي سنة ١٩٢٢م بأمر البابا كيرلس الخامس يـورد تماجيـد لخمسة أعياد سيديَّة فقط، هي الميلاد، ودخول المسيح أرض مصر، والتَّجلي، أمَّا عيدا الغطاس والبشارة فالتَّمجيد فيهما ليوحنا المعمدان ورئيس الملائكة غبريال على التَّوالي. وهو ما يدفعنا إلى ضرورة مراجعة كتبنا الطَّقسيَّة الكنسيَّة. أمَّا كتاب التَّماجيد المقدَّسة الذي عني بطبعه القُمُّص عطا الله أرسانيوس المحرَّقي سنة ١٩٧٢م في عهد قداسة البابا شنوده الثالث، فهو إعادة طبع لكتاب سنة ١٩٢٢م.

المسيحيِّين.	ⲛⲛⲓⲗⲁⲟⲥ : ⲛⲛⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲓⲁⲛⲟⲥ.
السَّلام للصَّليب الطَّائر إلى العلو، الذي يأخذ الخليقة كلَّها تحت جناحيه	ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥ : ⲡⲁⲛⲧⲟⲥ ⲉⲧⲃⲏⲗ ⲉⲛⲃⲓⲥⲓ : ⲉⲣⲉ ⲧⲕⲧⲓⲥⲓⲥ ⲧⲏⲣⲥ : ⲃⲓ ⲉⲃⲣⲏⲓ ⲇⲁ ⲛⲉⲕⲧⲉⲛⲍ.
السَّلام للصَّليب ثبات الذين في البريَّة، وهو أيضاً معونة الشُّهداء.	ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥ : ⲛⲧⲁⲭⲣⲟ ⲛⲛⲏⲉⲧ ⲇⲉⲛ ⲡⲱⲁϥⲉ : ⲛⲉⲟϥ ⲟⲛ ⲡⲉ ⲧⲃⲟⲏⲑⲓⲁ : ⲛⲛⲓⲙⲁⲣⲧⲩⲣⲟⲥ.
السَّلام للصَّليب منجِّي كل أحد، أي الذين في تجارب على يد الشيطان.	ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲥ : ⲫⲏⲉⲑⲛⲟⲃⲉⲓ ⲛⲟⲩⲟⲛ ⲛⲓⲃⲉⲛ : ⲉⲱⲁⲩⲉⲣⲡⲓⲣⲁⲍⲓⲛ ⲙⲙⲟⲟⲩ : ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲁⲧⲱⲙⲱⲛ.
نمجِّد الله الذي صلبوه عليه ونطلب منه أن يرحم نفوسنا.	ⲑⲉⲛⲧⲱⲟⲩ ⲙⲫⲧ : ⲫⲏⲉⲧⲁⲩⲱϥ ⲉϫⲱⲥ : ⲟⲩⲟⲥ ⲧⲉⲛⲧⲱⲃⲥ ⲙⲙⲟϥ : ⲛⲧⲉϥⲛⲁⲓⲛⲛⲉⲛⲯⲩⲭⲏ.

ويذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م ذُكصولوجيَّة آدام أخرى للصَّليب تُقال قبل الطَّرح، وجدير بالذِّكر أنَّ هذا المخطوط يورد طقس صلوات كنائس مصر القديمة في العصور الوسطى أو ما قبلها أيضاً، ومن ثمَّ كانت أهميَّة هذه الذُّكصولوجيَّة التَّالية، ونصُّها هو[٣١]:

٣١- الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦٥

ذُكصولوجيَّة آدام أخرى تُقال قبل الطَّرح في عيد الصَّليب المجيد

ⲙⲁⲓⲛⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲛⲓⲡⲓⲥⲧⲟⲥ : ⲛⲓⲗⲁⲟⲥ ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ : ⲛⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ⲙⲡⲓ✝ : ⲛⲧⲉ ⲡⲉⲛ̅ⲟ̅ⲥ̅ Ⲓⲏ̅ⲥ̅ Ⲡⲭ̅ⲥ̅.

تعالوا كلُّكم أيها المؤمنون الشُّعوب الأرثوذكسيُّون لنسجد لصليب ربِّنا يسوع المسيح.

Ⲡⲓ✝ ⲡⲉ ⲡⲓⲱⲏⲛⲓ : ⲙⲡⲓⲟⲩⲭⲁⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲑⲉⲗⲏⲗ : ⲡⲓ✝ ⲡⲉ ⲡⲓⲃⲟⲡⲗⲟⲛ : ⲛⲧⲉ ϥⲣⲁϣⲓ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲟⲩⲛⲟϥ.

الصَّليب آية الخلاص والتَّهليل، الصَّليب هو سلاح الفرح والبهجة.

Ⲟⲩϣϣⲟⲛ ⲛⲧⲉ ⲡⲱⲛϩ : ⲡⲉ ⲡϣⲉ ⲙⲡⲓ✝ : Ⲟⲩⲥϥⲁⲥⲓⲥ ⲛⲟⲩⲭⲁⲓ : ⲛⲛⲏⲉⲑⲛⲁⲉⲣ ⲡⲉϥⲧⲩⲡⲟⲥ.

شجرة الحياة هي خشبة الصَّليب، ختم الخلاص للذين يصنعون إشارته.

Ⲇ Ⲡⲭ̅ⲥ̅ ⲛⲧⲱⲟⲩ ϥⲁ ⲧⲙⲉⲧⲁⲑⲙⲟⲩ ⲁⲧⲁⲗⲓⲧϥ ⲉⲡⲓ✝ : ⲁϥⲙⲟⲩ ⲉⲃⲏⲉ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ : Ⲇ ⲡⲉϥⲥⲛⲟϥ ⲉⲟⲩ̅ ⲁϥⲧⲟⲩⲃⲟ ⲙⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ : ⲁⲩⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛⲭⲉ ⲡⲓⲁⲏⲣ : ⲍⲉⲛ ⲛⲧⲩⲡⲟⲥ ⲙⲡⲓ✝.

المسيح غير المائت رُفع على الصَّليب، ومات عن خطايانا، ودمه القدُّوس طهَّر العالم، وتنقَّى الهواء بإشارة الصَّليب.

Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓ✝ : ⲡⲓⲃⲟⲡⲗⲟⲛ ⲉⲧⲧⲁⲭⲣⲏⲟⲩⲧ : ⲡⲓⲱⲏⲛⲓ ⲛⲟⲩⲭⲁⲓ : ϥⲛⲉⲧⲁϥⲥⲱⲧ ⲙⲡⲓⲕⲟⲥⲙⲟⲥ.

السَّلام للصَّليب سلاح الثَّبات، آية الخلاص الذي خلَّص العالم.

ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓ✝ : ⲡⲓⲃⲟⲡⲗⲟⲛ ⲛⲧⲉ

السَّلام للصَّليب سلاح

الغلبة، الذي صار إكليل القدِّيسين كلّهم.

πιβρο : φнетацωωпι ⲛ̀ⲭⲗⲟⲓ : ⲛ̀тε ⲛнеⲑ̅ тнроу.

السَّـــلام للصَّـــليب السَّيف ذي الحدَّين قاطع الألسنة اللاعنة إياه.

Χερε пι‡ : †снч ⲛ̀ро ⲃ̅ : ерωωт ⲛ̀ⲛⲓⲗⲁⲥ : етхеоуа̀ ѐроч.

السَّلام للصَّليب الذي يكرز بـــه الرُّسُـــل في المسكونة.

Χερε пι‡ : етаυϩιωщ ⲙ̀ⲙоч : ⲛ̀хε ⲛⲓⲁ̀постоⲗос : ϩεⲛ †оікоυмενн.

السَّلام للصَّليب ثبات الشُّـــهداء الأبـــرار والصدِّيقين إلى أن كمُلوا.

Χερε пι‡ : ⲡ̀таχро ⲛ̀ⲛⲓⲙаρтυρос : ⲛⲓⲑⲙнι ⲛεⲙ ⲛⲓⲗⲓкεос:ⲱа ⲛ̀тоυχωк ѐβоⲗ.

السَّلام للصَّليب ثبات الكنائس زينة الشَّـــعب المسيحي.

Χερε пι‡ : ⲡ̀таχро ⲛ̀ⲛⲓⲉккⲗнсіа : ⲛ̀соⲗсеⲗ ⲙ̀пιⲗаос: ⲛ̀ⲛⲓⲭрістіанос.

السَّـــلام للصَّـــليب الـــذي شـــاهده قسطنطين في الحرب.

Χερε пι‡ : φнетацнаυ ѐроч : ⲛ̀хε Ⲕωⲥтантіноⲥ : ϩεⲛ пιполεмос.

السَّلام للصَّليب الخشبة المباركة الذي أعطى لنـــا الربُّ الغلبة بإشارته.

Χερε пι‡ : пιщε ετⲥмарωоυт : φнета Ⲓ̅Ⲥ̅ ацτ ⲛаⲛ : ⲙ̀пιβро ϩιтεⲛ пεцтυпос.

فلنمجِّد الصَّليب الذي عُلِّق عليه قائلين المجد لمخلِّصنا لأنَّ رحمته كائنة إلى الأبد.

Uapenϯwoy ⲙⲡⲓⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ϕⲛⲉⲧⲁⲧⲁϣⲫ ⲉⲃⲟⲗ ⲉϫⲱⲟⲩ : ϫⲉ ⲡⲓⲱⲟⲩ ⲙⲡⲉⲛϭⲱⲧⲏⲣ : ϫⲉ ⲡⲉϥⲛⲁⲓ ϣⲟⲡ ϣⲁ ⲉⲛⲉⲥ.

ثالثاً: طقس صلوات تسبحة نصف اللَّيل

يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م ما يلي:

ثمَّ يعودون إلى البيعة ويعملون صلاة نصف اللَّيل كالعادة.

مما يتَّضح معه أنَّ تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر لعيد الصَّليب ظلَّت حتى إلى ما قبل سنة ١٩٠٨م تُصلَّى في كثير من الكنائس بطقسها السَّنوي المعتاد بدون أي إبصاليَّات تختص بعيد الصَّليب، وهو ما سبق أن ذكرتُه في تسبحة رفع بخور عشيَّة عيد الصَّليب.

رابعاً: طقس صلوات رفع بخور باكر عيد الصَّليب المجيد

يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م ما يلي[٣٢]:

يبتدئون بصلاة باكر كالعادة. وعندما يرفع الكاهن البُخور يرتِّل الشَّمامسة بالنَّاقوس.

٣٢- ويتَّفق معه بكل دقَّة مخطوط البطريركيَّة بالقاهرة لسنة ١٤٤٤م، ومخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م، ومخطوط سرباي لسنة ١٨٦٨م.
انظر الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٦٩-٧١

أرباع النَّاقوس في رفع بخور باكر عيد الصَّليب

تعالوا نسجد ...	ⲇⲉⲩⲟⲓⲛⲓ ⲛⲁⲣⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ..
السَّلام للصَّليب ...[٣٣]	ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓ⳨ⲥ..

ورُبع العذراء، وبعد ذلك يقولون:

مباركٌ أنت ...	ⲕ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ..

وبعد هذا يقول الكاهن أوشيَّة المرضى، وأوشيَّة القرابين، ويطوف (الكاهن) بالبُخور البيعة، وهم يرتِّلون تسبحة الملائكة كالعادة.

٣٣- هذا هو الرُّبع الأساسي الذي تذكره المخطوطات عن عيد الصَّليب، ونصُّه هو: "السَّلام للصَّليب الذي صُلب ربي عليه. السَّلام للقبر الذي وُضع جسده فيه". وهو الرُّبع الذي التزمت به كل من أبصلموديَّة أقلاديوس بك لبيب، وأبصلموديَّة القس مينا البراموسي سنة ١٩٠٨م، ولكن أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة التي طُبعت سنة ١٩٤٨م أضافت ربعاً ثانياً هو: "الصَّليب هو سلاحنا، الصَّليب هو رجاؤنا، الصَّليب هو ثباتنا في ضيقاتنا وشدائدنا"، وهو أحد الأرباع التي أضافتها هذه الأبصلموديَّة على ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب.

وهذه الإضافة هي في الحقيقة خروج عن التَّقليد الذي استقر في الكنيسة بخصوص أرباع النَّاقوس فيها، والتي يبدأ النَّوع الثَّالث منها بكلمة ⲭⲉⲣⲉ (شيرى) أي "السَّلام ...". بالإضافة إلى كونه ربعاً لم ينهج التَّقليد القبطي العام في صلوات عيد الصَّليب حين يربط بين الصَّليب والمصلوب عليه.

ولقد نهج ناشر الطَّبعة الثَّانية من أبصلموديَّة القس مينا البراموسي، والتي نشرها سنة ٢٠٠٠م نفس نهج أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة في ذلك، فأفقد الطَّبعة الأولى لأبصلموديَّة القس مينا البراموسي أصالتها والتزامها بمخطوطات ترتيب البيعة.

ويلزم الإشارة إلى أنَّ أبصلموديَّة جمعيَّة نهضة الكنائس سنة ١٩٤٨م قد أتت على الثَّلاثة أنواع المختصَّة بأرباع النَّاقوس. وهو ما شرحته بتفصيل كاف في كتاب "صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر".

الدَّورة الاحتفاليَّة بالصَّليب في رفع بخور باكر

وفي أثناء الطَّواف بالبيعة يُعمل صليب ريحان، ويُلف بستر حرير أخضر أو ملوَّن. وعند انتهاء قراءة الأمانة يأخذ الكاهن الصَّليب الرَّيحان، ويرفعه ويقول ⲫⲧ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ويكون الكهنة والشَّمامسة مكشوفي الرؤوس، وبأيديهم الشُّموع والنَّواقيس، وهم يرتِّلون كيريالیسون بالكبير ثلاث مرَّات. وإذا أكملوها لا يبطِّلون كيريالیسون بل يبقوا على ما هم عليه، ثمَّ يتناول الصَّليب أحد الكهنة المكشوفي الرؤوس أو واحد من الشَّمامسة المصلِّين، ويأخذ الكاهن المجمرة ويصعد الشَّمامسة بالشُّموع إلى المذبح، ويصعد الكاهن المصلِّي بالمجمرة أيضاً إلى المذبح، ويرفع البُخور، ويصعد خلفه الذي هو حامل الصَّليب، ويطوفون به المذبح ثلاث مرَّات وهم يرتِّلون كيريالیسون بالكبير[٣٤]. ثمَّ يعودوا ينزلون من المذبح، ويقف حامل الصَّليب من داخل باب الهيكل، ويعطي الكهنة البُخور للصَّليب، ثمَّ ينهوا كيريالیسون، ويرتِّلون لحن الصَّليب ⲉⲧⲁⲩⲣⲉⲛ ⲛⲓⲥⲉⲃⲁⲓ إن كانوا يحسنون قراءته، وإلاَّ فيقولون البرلكس بلحن الصَّليب[٣٥]. وفي أثناء[٣٦] ذلك يتقدَّم الكهنة ويضربون الميطانية ويقبِّلون الصَّليب، وكذلك الشَّمامسة وجميع الشَّعب. إلى أن ينتهي ذلك يُطرح الطَّرح[٣٧] وبعده يردُّون بهذا الرُّبع:

٣٤- لاحظ هنا — أنه طبقاً لمخطوطات ترتيب البيعة — تبدأ دورة الصَّليب ثلاث مرَّات حول المذبح فقط، وبعد انتهاء قراءة الأناجيل إن كان للعذراء أو لأحد الملائكة أو الشُّهداء أو القدِّيسين، **كل بيعة بترتيبها**، تُعمل في النهاية دورة واحدة بالصَّليب حول المذبح.

Cf. Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Churc...*, p. 268.

٣٥- هذا اللَّحن وبرلكسه قد سبق ذكرهما في صلوات رفع بخور عشيَّة.

٣٦- كلمة "أثناء" الواردة في المتن تأتي دائماً في المخطوط "ضمن".

٣٧- وهو الطَّرح الذي سبق ذكره في صلوات رفع بخور عشيَّة.

من قِبَـل صـليبه وقيامته المقدَّسـة ردَّ الإنسان مرَّة أُخـرى إلى الفردوس.	ⲉⲃⲟⲗ ⲅⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ : ⲛⲉⲙ ⲧⲉϥⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ⲉⲟⲩ : ⲁϥⲧⲁⲥⲑⲟ ⲙ̀ⲡⲓⲣⲱⲙⲓ ⲛ̀ⲕⲉⲥⲟⲡ : ⲉⲃⲟⲩⲛ ⲉⲡⲓⲡⲁⲣⲁⲇⲓⲥⲟⲥ.

وفي أثناء قراءة الطُّرح يتوجَّهون إلى مكان يصلُّون فيه وهم طـائفين بالصَّليب. وترتيب الصَّلوات هكذا: يقف حامل الصَّـليب ووجهـه إلى الغرب، والكاهن يقف أمام الصَّليب (ووجهه إلى الشَّرق). وإذا أكملـوا تلاوة ⲉⲃⲟⲗ ⲅⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ "من قبل صليبه ..."، يقول الكاهن أوشيَّة الإنجيل. وفي آخرها يرفع البُخور يداً واحدة. ثمَّ يُطرح المزمور دبحاً، ويُقرأ الإنجيل ويفسَّر، ويُرد بما يلائمه، وبعده باسم صـاحب الأيقونـة ⲡⲛ̀ⲟⲩⲟⲥ ⲙ̀ⲡⲓⲥⲁⲧⲁⲛⲁⲥ "أطلب من الرَّب عنَّا ..."، إن كان للعذراء أو لأحد الملائكة أو الشُّهداء أو القدِّيسين، **كل بيعة بترتيبها**[٣٨]. وبعـد ذلـك يقولون: ⲭⲉ ⲉϫⲛⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛⲁⲉ ⲡⲭⲥ ⲡⲉⲛⲛⲟⲩⲧ "لأنـه مبـاركٌ المسيح إلهنا ..."[٣٩].

٣٨- هذه العبارة المهمَّة والتي تذكرها مخطوطات ترتيب البيعة، وقد ذكرها أيضـاً ابن كبر (+ ١٣٢٤م) غير مرَّة، قد شرحتها بإسهاب عند الحديث عن دورة الصَّـليب في رفع بخور باكر عيد الشَّعانين، فارجع إليها هناك إن رغبتَ.

٣٩- هذا هو الرُّبع الأخير من ذُكصولوجيَّة عيد الصَّليب الأصليَّة قبل التَّعـديلات التي جرت عليها في منتصف القرن العشرين فأربكت سياق معانيها. وهو الرُّبع الذي يقول: "لأنه مباركٌ المسيح إلهنا وصليبه المحيي الذي صُلب عليه حتى خلَّصنا من خطايانا". ولاحظ هنا أنَّ الرُّبعين اللَّذين يقالا في دورة عيد الصَّـليب والمختصَّـين بالعيد يحملان معنى خلاصياً، ويربطان بين الصَّليب وكمال الخلاص بقيامة المسيح من بين الأموات. هذا هو فكر كنيسة الإسكندريَّة النَّقي ولاهوتها الذي شاع في أقطـار الأرض كلِّها، فهل نحفظه نقياً إلى النهاية؟.

وجدير بالذِّكر أنَّ هذا الرُّبع البديع قد سقط من كتـاب "ترتيـب دورتي عيـد

ثمَّ يُطرح الطَّرح. **وإن كان ثمَّ أطفال فهم الذين يرتِّلون الطَّرح وهم ماشين إلى مكان الصَّلاة الثَّانية.** ويختمون الطَّرح بهذا كالأوَّل: ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ "من قبل صليبه ...".

وجميع الصَّلوات على هذا التَّرتيب إلى أن تنتهي الصَّلوات جميعها[٤٠]، ويعودون إلى الخوروس، ويصعدون بالصَّليب إلى الهيكل ويطوفون به الشُّموع حول المذبح دورة واحدة كالأوَّل، وهم يرتِّلون كيرياليسون بالكبير بالنَّاقوس.

وإذا انتهت الدَّورة يضعون الصَّليب في الشَّرقيَّة، وأمامه شمعة موقدة، وينزل الكاهن ومن معه من المذبح، ويقف أمام المذبح ويختمون كيرياليسون.

فيقول الكاهن أوشيَّة الإنجيل إلى آخرها، ويُطرح مزمور صلاة باكر، ويُقرأ الإنجيل قبطياً ويُفسَّر عربياً، ويُرد بهذا:

من قبل صليبه ... | ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ..

وهنا تورد بعض مخطوطات ترتيب البيعة مردَّات أخرى لإنجيل رفع بخور باكر.

فيذكر مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة

الصَّليب والشَّعانين".

٤٠- واضح هنا أنَّ مخطوطات ترتيب البيعة لم تحدِّد أنَّ عدد الصَّلوات هي اثنتي عشرة صلاة بالتَّحديد كما ورد في كتاب دورتي عيد الصَّليب والشعانين المطبوع سنة ١٩٢١م، وهو ما جدا بالبعض — عن عدم معرفة - لأن يرتِّبوا أيقونات الكنيسة على حجاب الهيكل طبقاً للتَّرتيب الذي يورده الكتاب المذكور. وهو ما شرحته تفصيلا أثناء الحديث عن عيد الشَّعانين، الذي هو عيد دخول السيِّد المسيح إلى أورشليم.

١٧١٦م عدَّة مردَّات لإنجيل رفع بخور باكر، منها:

مردَّات إنجيل باكر عيد الصَّليب

اجتمعوا معاً اليَوم أيها الشَّعب محب المسيح لنمجِّد مخلِّصنا يسوع ونسجد لصليبه.

ⲁⲓⲱⲱⲙⲓ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲉⲩⲥⲟⲡ ⲙ̀ⲫⲟⲟⲩ : ⲱ ⲡⲓⲗⲁⲟⲥ ⲙ̀ⲙⲁⲓ ⲠⲬ̅ⲥ̅ : ⲛ̀ⲧⲉⲛⲧ̀ⲱⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲥ̅ⲱ̅ⲣ̅ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ : ⲟⲩⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲱⲧ ⲙ̀ⲡⲉϥ⳨.

وأيضاً:

اجتمعوا جميعاً أيها الشُّعوب محبي الله يسوع المسيح لنكرِّم صليبه الخشبة المقدَّسة غير المائتة.

ⲑⲱⲟⲩⲧ ⲧⲏⲣⲟⲩ ⲱ ⲛⲓⲗⲁⲟⲥ : ⲙⲙⲁⲓⲛⲟⲩⲧ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ ⲠⲬ̅ⲥ̅ : ⲛ̀ⲧⲉⲛⲧⲁⲓⲟ ⲙ̀ⲡⲉϥ⳨ : ⲡⲓⲱⲉ ⲑⲉ̅ⲟ̅ⲩ̅ ⲛ̀ⲁⲑⲁⲛⲁⲧⲟⲥ.

وأيضاً:

فرحٌ[41] كائن اليَوم في السَّماء وعلى الأرض من أجل ظهور الصَّليب المحيي.

ⲛⲟⲩⲣⲁⲱⲓ ⲱⲱⲡⲓ ⲙ̀ⲫⲟⲟⲩ : ϧⲉⲛ ⲧ̀ⲫⲉ ⲛⲉⲙ ϩⲓⲭⲉⲛ ⲡⲓⲕⲁⲅⲓ : ⲉⲃⲣⲏⲓ ⲉⲭⲉⲛ ⲡⲓⲟⲩⲱⲛϩ ⲉⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ⳨ ⲛ̀ⲣⲉϥⲧⲁⲙϩⲟ.

ويكمَّل كالعادة.

وبعد ذلك يكمِّل الكاهن الصَّلاة إلى آخر تحليل الابن، فيجرُّون ستر الهيكل، ويجلسون إن كان معهم مهل، يقرأون ميمر الصَّليب إلى آخره، فينهضون قائمين، ويُرفع الصَّليب والإنجيل، ويقولون كيرياليسون كالعادة،

٤١- "فرحهم" كترجمة حرفيَّة.

ويُقرأ القانون المختص بالعيد وهو: Ⲡⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲝ "ظهرت علامة الصَّليب ..."(٤٢). وإذا انتهى ذلك يختم الكاهن الصَّلاة بالبركة.

خامساً: طقس صلوات قدَّاس عيد الصَّليب المجيد

يقول مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م ما يلي:

ما يُقال قبل البولس في قدَّاس عيد الصليب

يبتدئون بالقدَّاس **كالعادة من غير زيادة ولا نقص.** وقبل البولس يُقال Ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ "هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصَّليب عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجثة". وبعده Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲩⲧ "نسجد لك أيها المسيح ...".

وكذلك قبل الإبركسيس يُقال Ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥⲉⲛϥ "هذا الذي أصعد ذاته ..."(٤٣).

وعند نهاية قراءة الإنجيل يُرد كالعادة بالرُّبع:

مرد إنجيل قدَّاس عيد الصَّليب

من قِبَل صليبه ... | Ⲉⲃⲟⲗϩⲓⲧⲉⲛ ⲡⲉϥⲥⲧⲁⲩⲣⲟⲥ..

٤٢- وهو نفس قانون ختام الصَّلوات في رفع بخور عشيَّة.

٤٣- هكذا يذكر مخطوط ترتيب البيعة رقم (١١٧طقس) المحفوظ بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة والمؤرَّخ بتاريخ سنة ١٩١٠م، وأيضاً مخطوط البراموس لسنة ١٥١٤م.

انظر: الأنبا صموئيل، مرجع سابق، ص ٧٣

وأظنُّه خطأ من ناسخ إلى آخر، وصحته هو مرد Ⲱⲁⲣⲉ Ⲫϯ "يرفع الله هناك خطايا الشَّعب ...".

أمَّا مخطوط ترتيب البيعة المحفوظ بالدَّار البطريركيَّة بالإسكندريَّة لسنة ١٧١٦م فيورد المردَّات التَّالية لإنجيل قدَّاس عيد الصَّليب، وهي المردَّات التي كانت تُقال في كنائس مصر القديمة منذ القديم.

مردَّات أخرى لإنجيل قدَّاس عيد الصَّليب

لأنَّ عظيمة هي كرامة الصَّليب المحيي الذي علِّق عليه مخلِّصنا حتى خلَّصنا من خطايانا.	Ⲟⲩⲛⲓϣϯ ⲅⲁⲣ ⲡⲉ ⲡⲓⲧⲁⲓⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ✠ ⲛ̀ⲣⲉϥⲧⲁⲙⲟ ⲉⲧⲁⲩⲁϣϥ ⲉ̀ϧⲱϥ ⲱ ⲡⲉⲛⲥⲱⲣ ⲫⲁ ⲛ̀ⲧⲉϥⲥⲟⲧⲧⲉⲛ ϩⲉⲛ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ.
فلنسبِّح المسيح إلهنا وصليبه المحيي الذي أنعم لنا بالخلاص من ظل الموت.	Ⲙⲁⲣⲉⲛϩⲱⲛⲉ Ⲓ̅Ⲥ̅ Ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ ⲛⲉⲙ ⲡⲉϥ✠ ⲛ̀ⲣⲉϥⲧⲁⲙⲟ ⲫⲏⲉⲧⲁϥϯ ⲛⲁⲛ ⲛⲟⲩⲥⲱϯ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲉⲛ ⲧϩⲓⲃⲓ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ.
مباركٌ هو المسيح إلهنا ...	Ⲭⲉ ⲉϥⲙⲁⲣⲱⲟⲩϯ ⲛ̀ⲭⲉ Ⲓ̅Ⲥ̅ Ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ..

وعند (رفع) الإبروسفارين يقولون هذا الأسبَسمس الآدام:

شبَّهوا عصا هارون بخشبة الصَّليب التي صُلب ربي عليها حتى خلَّصنا.	Ⲁⲧⲉⲛ ⲡⲓϣⲃⲱⲧ ⲛ̀ⲧⲉ Ⲁⲁⲣⲱⲛ ⲉⲓⲭⲉⲛ ⲡⲱⲉ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓ✠ ⲉⲧⲁⲧⲉϣ Ⲡⲁⲥ̅ⲥ̅ ⲉⲣⲟϥ ⲫⲁⲛ̀ⲧⲉⲩⲥⲱϯ ⲙ̀ⲙⲟⲛ.
شبهوا رئيس الكهنة بمخلِّصنا، الذَّبيحة الحقيقيَّة لغفران الخطايا.	Ⲁⲧⲉⲛ ⲡⲓⲁⲣⲭⲓⲉⲣⲉⲩⲥ ⲉⲓⲭⲉⲛ Ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ ⲡⲓϣⲟⲧϣⲱⲟⲧϣⲓ ⲙ̀ⲙⲏⲓ ⲛ̀ⲭⲁⲛⲟⲃⲓⲉⲃⲟⲗ.

لكي نسبِّحك ... | ϩⲓⲛⲁ ⲛ̀ⲧⲉⲛϩⲱⲥ ⲉ̀ⲣⲟⲕ ..

في التَّوزيع

ثمَّ يكمِّل القدَّاس كالعادة إلى وقت التَّوزيع يقولون Χε ⲉⲧⲁⲧⲉⲛ **بلحن الصَّليب**[٤٤] وبعدها يُقال لحن الصَّليب ⲉ̀ⲡⲉϫⲁⲣⲱⲟⲩ ⲛⲓⲥⲁⲓ ويقرأون البركس. وإذا احتاجوا فيقرأون الطَّرح **بلحن الصَّليب** إلى أن ينتهي حال التَّوزيع يختم الكاهن الصَّلاة ويصرف الشَّعب.

وإذا اتَّفق عيد الصَّليب المذكور في أحد يومي الأربعاء أو الجمعة، فلا ينحل فيهما صوم، بل يُعمل كما ذكرنا أولاً. ففي نهاية صلاة باكر يُقرأ الميمر قبل رفع الصَّليب والإنجيل، وبعد ذلك ينصرفون ويعودون إلى البيعة في السَّاعة السَّادسة، ويبتدئون بالقدَّاس كما شُرح، والمجد لله دائماً.

تعقيب

إن كان عيد الصَّليب يُعامل حالياً - من الوجهة الطَّقسيَّة - معاملة العيد السيِّدي، أي أنَّه يُصلَّى بطقس الفرح ممزوجاً بطقس الشَّعانين[٤٥]!!، وليس طبقاً لما تذكره مخطوطات ترتيب البيعة التي سبق ذكرها، فماذا يكون طقس العيد إذاً إن وقع العيد يوم أربعاء أو جمعة وهما اليومان اللَّذان لا ينحل فيهما صوم؟. إنَّ مخطوطات ترتيب البيعة كانت في غنى عن إجابة مثل هذا السؤال، لأنَّ ما سبق أن ذكرَته المخطوطات في الفقرة السَّابقة مباشرة كفيل أن يعيد إلى طقسنا القبطي أصالته الأولى.

٤٤- لاحظ هنا أنَّ مزمور التَّوزيع يُقال باللَّحن السَّنوي.

٤٥- ليس ثمَّة علاقة بين طقس الفرح وطقس الشَّعانين، وهو ما شرحته غير مرَّة.

وجدير بالذِّكر أنَّه إن وقع عيد الصَّليب يوم أحد فتُقرأ فصول ١٧ توت، وهو عيد الصَّليب.

وفي النِّهاية يلزم أن أشير إلى أنَّ مخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا لم تذكر سوى يومين للاحتفال بعيد الصَّليب، واحد في ١٧ توت، والآخر في ١٠ برمهات. وهو ما استقر في الكنيسة منذ القديم، طبقاً لقوانين بطاركتها كما مرَّ علينا في الفَصل الثَّاني من البَاب الأوَّل من هذا الكتاب الذي بين يديك.

وهو ما تؤكِّده الأبصلموديَّة المقدَّسة السَّنويَّة التي تحوي ذُكصولوجيَّة لعيد الصَّليب تُقال يومي ١٧ توت، و ١٠ برمهات فقط. وكذلك أيضاً أرباع النَّاقوس المختصَّة بعيد الصَّليب، فقد ظلَّ عنوانها هو: "وفي عيدي الصَّليب (١٧ توت، و١٠برمهات) وباكر سبت الفرح يُقال ...". وهنا لا ذكر لثاني وثالث يوم لعيد الصَّليب في ١٨ و١٩ من شهر توت.

ولكن القطمارس السَّنوي الدَّوَّار المطبوع يشير إلى ثلاثة أيام لعيد الصَّليب في شهر توت وليس يوماً واحداً، حيث يحوي القطمارس قراءات يوم ١٧ توت تحت عنوان: "تذكار الصَّليب المقدَّس". وفي يوم ١٨ توت أيضاً قراءات تدور حول الصَّليب تحت عنوان: "ثاني يوم عيد الصَّليب"، وفي يوم ١٩ توت أيضاً قراءات عن الصَّليب تحت عنوان: "ثالث يوم عيد الصليب"[٤٦]. وربَّما كان ذلك لتوضيح أنَّ مضمون القراءات يدور حول الصَّليب، وليس لتعييد ثلاثة أيام للصَّليب.

٤٦- القطمارس السَّنوي الدوَّار، المجلد الثَّاني، طُبع في عهد صاحب القداسة البابا المعظم أنبا شنوده الثَّالث. أعدَّه وأشرف على طبعه اللَّجنة المشكَّلة من قداسة البابا، وروجع ونقح وحُقِّق علمياً بمعرفة قسمي اللاهوت واللُّغة القبطيَّة بمعهد الدِّراسات القبطيَّة بالقاهرة، الطَّبعة الثالثة، ١٩٧٤م، مطبعة الأنبا رويس.

ملحق

عيد الصَّليب في الكنيسة البيزنطيَّة

يُحتفل بعيد الصَّليب في الكنيسة البيزنطيَّة - بحسب التَّقويم الغريغوري المعدَّل - في يوم ١٤ أيلول/ سبتمبر[1] ولمدَّة يوم واحد، وهو يوم صوم في أي يوم من أيام الأسبوع اتَّفق وقوعه. ولكن في يوم ٢١ أيلول/ سبتمبر أي بعد كمال سبعة أيام من عيد الصَّليب، يُودَّع عيد الصَّليب المحيي، فيُرتَّل فيه كل خدمة العيد، حيث تُرحَّل خدمة قدِّيس اليَوم إلى اليَوم التَّالي إفساحاً لتخصيص اليَوم لعيد الصَّليب فحسب.

ورسمت الكنيسة البيزنطيَّة أن يُعيَّد عيد الصَّليب بالصَّوم، لأنَّ تذكار الصَّليب لا ينفصل عن تذكار المصلوب عليه. ومنعت فيه أكل اللَّحم والجبن والسَّمك. وإذا اتَّفق عيد الصَّليب يوم أحد فلا يُرتَّل فيه شئ للقيامة، ولا يُقرأ إنجيل القيامة، بل كل خدمة هذا اليَوم تكون للصَّليب.

ومن المعروف أنَّ طقس يوم الأحد في الكنيسة البيزنطيَّة يتقدَّم على كل الأعياد السَّيديَّة وأعياد السيِّدة العذراء والشُّهداء والقدِّيسين ما خلا أربعة أعياد سيِّديَّة فقط هي: عيد رفع الصَّليب (١٤ سبتمبر)، عيد الميلاد (٢٥ ديسمبر)، عيد الظُّهور الإلهي (٦ يناير)، عيد التَّجلي (٦ أغسطس).

وتحوي الخدمة البيزنطيَّة لعيد الصَّليب كماً كبيراً من ترنيمات كنسيَّة عميقة المعاني، بديعة العبارات.

١- والذي يُقابل في الكنيسة القبطيَّة حسب التَّقويم اليولياني يوم ٢٧ سبتمبر (١٧ توت).

فقبل دخول الكاهن إلى داخل البَاب البهي[٢]، المقابل للمائدة المقدَّسة، أي المذبح - وهذا الدُّخول يُسمى "إيصوذون"[٣] - تُقال ستشيرات بدايتها: "يارب إليك صرختُ ..."، وهي باللَّحن السَّادس، وفيها نقرأ:

إنَّ الصَّليب بارتفاعه يدعو الخليقة كلَّها أن تسبِّح الآلام الطَّاهرة، آلام الذي رُفع عليه، لأنه به قَتَل الذي قتلنا، وأحيانا إذ كنَّا أمواتاً، وجمَّلنا وأهَّلنا لسَكَن السَّموات لأجل فرط صلاحه، بما أنه متحنِّن، لذلك نعلِّي اسمه بحبور، ونعظِّم تنازله غير المتناهي.

أيها الصَّليب الكريم فخر المؤمنين، وثبات المجاهدين، وجمال الرُّسُل، وغوث الصدِّيقين، ونجاة جميع الأبرار. إنَّ موسى سبق فرسمك إذ بسط يديه إلى العُلُو وقهر عماليق المتمرِّد، لذلك الخليقة تفرح بمشاهدتها إيَّاك مرفوعا، وتحتفل ممجِّدة المسيح الذي بك ضمَّ المتفرِّقات بصلاحه غير المتناهي ... الخ.

ثمَّ يُقال باللَّحن الثَّاني:

هلمُّوا يا جميع الأمم نسجد للعود المبارك الذي به حصل العدل الأبدي، لأنَّ الذي بالعود خدع الأب الأوَّل قد قُنص بالصَّليب. والذي استولى على الجبلة الملكيَّة باغتصاب، قد انقلب مقهوراً بسقطة مذهلة، وبدم الإله رُحض (غُسل) سُم الأفعى، اللَّعنة الصَّادرة عن حُكم عادل انحلَّت لمَّا قُضي على الصِّدِّيق جوراً، لأنه وجب أنَّ العود يُشفى بالعود، وبآلام المنزَّه عن الآلام تنحل آلام المحكوم عليه بسبب العود. فالمجد

٢- أي البَاب الرَّئيسي للهيكل.

٣- يمكن الرُّجوع إلى معجم المصطلحات الكنسيَّة للتَّعرُّف على معاني المصطلحات البيزنطيَّة الواردة في هذا الملحق.

لتدبيرك الرَّهيب لأجلنا أيها المسيح الملك الذي خلَّصت الجميع بما أنك صالح ومحب البشر.

وبعد الإيصوذون والبروكيمنُن تُقال ثلاث قراءات:

الأولى من سفر الخروج (١٥:٢٢-١٦:١)، وهي تتحدَّث عن الماء المُر الذي صار عذباً في مارة بعد صلاة موسى، وإلقائه قطعة من شجرة في الماء حسب أمر الرَّب. فالأعجوبة رمزٌ لقوَّة الصَّليب.

والثَّانية من سفر الأمثال (٣:١١-١٨) وفيها الحكمة شجرة حياة لمسكيها، والمتمسِّك بها مغبوط. وهي حكمة تعاليم يسوع المسيح المصلوب الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء[٤].

والثَّالثة من سفر إشعياء (٦٠:١١-١٦)، وتتنبأ عن ظهور ماسيا ومجد الصَّليب الذي يسميه النَّبي موضع رجليه، أو موطئ قدميه. وعن شرف أورشليم الرُّوحيَّة أي كنيسة المسيح.

ثمَّ تُرتَّل بعد ذلك تسع ستيشيرات؛ الثَّلاثة الأولى منها من نظم أندراوس أسقف أقريطش (+ ٧٢٠م)، والرَّابعة لثيؤفانس المعترف في أواخر القرن الثَّامن وأوائل التَّاسع. والخامسة لناظم اسمه كيرياكوس ولا نعلم أين ومتى عاش. والسَّادسة والسَّابعة للاون الملك، وربما يكون هو لاون الملقَّب بالحكيم في القرن العاشر. والثَّامنة والتَّاسعة لأناطوليوس Anatolius (٤٤٩- ٤٥٨م) بطريرك القسطنطينيَّة في القرن الخامس.

وفيما يلي جانب يسير منها:

• اليَوم بالحقيقة يُرفع عود الحياة المغروس في موضع الجمجمة الذي به صنع ملك الدُّهور خلاصاً في وسط الأرض. لذلك أقطار

٤- ١كورنثوس ١:٣٠

العالم تتقدَّس، وهيكل القيامة يتجدَّد. الملائكة في السَّماء يتهلَّلون، والأنام على الأرض يبتهجون هاتفين مع داود: ارفعوا الرَّب إلهنا، واسجدوا لموطئ قدميه، لأنه قدوسٌ ويمنح العالم الرَّحمة العظمى. (وهي لأندراوس باللَّحن الأوَّل).

• إنَّ الكَنز الإلهي المدفون في الأرض أعني صليب معطي الحياة، قد ظهر في السَّماوات للملك الحسن العبادة، مظهراً له مثالاً عقلياً للنُّصرة على الأعداء، فابتهج بذلك وبادر بإيمان وخوف من الله إلى المشاهدة السَّامية، وباهتمام عظيم أظهره من أحشاء الأرض لفداء العالم، وخلاص نفوسنا. (لثيؤفانيس باللَّحن الثَّاني).

• إنَّ تحويل يدي يعقوب أب الآباء عند مباركته الولدين كان رسماً لاعتزاز صليبك .. فالآن نقدِّمه مرفوعاً بشعائر التَّقوى لصلاحك نحن المؤمنين استغفاراً لخطايانا صارخين بأصوات كثيرة عالية: يارب ارحم يا من تجسَّد من البتول، وتراءف أيها الصَّالح على جبلة يديك المخلوقة بحكمة. (لكبريانوس).

• أيها المسيح، إنَّ موسى لما سبق فرسم فعل صليبك الكريم، هزم عماليق المعاند في بريَّة سيناء، لأنه حين كان يبسط يديه صانعاً رسم الصَّليب كان الشَّعب يتأيَّد. وأمَّا الآن فقد أخذت الأمور كمالها فينا. اليَوم الصَّليب يُرفع والشياطين تُطرَد. اليَوم الخليقة بأسرها تُعتق من الفساد لأنه بالصَّليب قد أشرقت لنا المواهب جميعها، لذلك نحثو لك جميعنا بابتهاج قائلين: ما أعظم أعمالك يارب. المجد لك.

ثمَّ تُقال ستشيرات بروصوميَّات للأبوستيخن باللَّحن الخامس. وفيما يلي جانب منها، وهي مقسَّمة إلى ثلاث قطع تبدأ كل منها بكلمة

Χαίροις (خاريس) أي "افرح".

• افرح أيها الصَّليب الحامل الحياة، ظفر العبادة الحسنة، الـــذي لا يُقهر، باب الفردوس، وثبات المؤمنين، وحصن الكنيسة، الذي به تلاشى الفساد وبطل، وابتُلعت قوَّة الموت، وارتقينا من الأرض إلى السَّماويَّات. أيها السِّلاح الذي لا يُحارب، قاهر الشياطين، مجد الشُّهداء، وزينة الأبرار بالحقيقة، وميناء الخلاص، المانح العالم الرَّحمة العُظمى.

ستيخن: ارفعوا الرَّب إلهنا واسجدوا لموطئ قدميه.

• افرح يا صليب الرَّب الكُلي الشَّرَف، الذي به انحل الجنس البشري من اللَّعنة. والذي هو إشارة الفرح بالحقيقة، وقاهر الأعداء برفعـــة. يـــا غوثنا وعز الملوك، وقوَّة الصِّدِّيقين، وبهاء الكهنة، الذي يُرسم فينقذ مـــن المصائب. يا عصا القوَّة التي بها نُرعى، وسلاح السَّلامة المحتفّة به الملائكة بخوف. المجد الإلهي للمسيح المانح العالم الرَّحمة العظمى.

ستيخن: أمَّا الله فهو ملكنا قبل الدُّهور.

• افرح أيها الصَّليب الكريم، مرشد العميان، وطبيب المرضى وقيامة جميع المائتين، الذي رفعنا نحن السَّاقطين في الفساد، والذي به انحلَّت اللَّعنة وأزهر البقاء، ونحن البشر قد تألَّهنا، والشيطان قد حُطِّم بالكليَّة. فاليَوم إذ نشاهدك مرفوعاً بأيدي رؤساء الكهنة نعلي الـــذي رُفـــع في وســـطك ونسجد طالبين أن تمنحنا بسخاء الرَّحمة العظمى.

وتُقال طروباريَّة باللَّحن الأوَّل:

خلِّص يارب شعبك وبارك ميراثك وامنح المؤمنين الغلبة على البربر، واحفظ بقوَّة صليبك جميع المختصِّين بك.

وفي صلاة السَّحَر يُقرأ فصل من إنجيل يوحنا (١٢:٢٨-٤٦) «... وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليَّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أيَّة ميتة كان مزمعاً أن يموت ...».

أمَّا قانون العيد فقد نظَّمه القدِّيس قزما أسقف مايوما. وعدد قطعه ثلاثون. وإذا أخذتَ أوَّل حرف من كل قطعة وضممتَ هذه الأحرف معاً فهي تؤلِّف البيت التَّالي: Σταυρῷ πεποιθὼς, ὕμνον ἐξερεύγομαι ومعناه: "فيما أنا واثق بالصَّليب أنشد تسبيحاً".

وفيما يلي أراميس[٥] هذا القانون:

الأوديَّة الأولى باللَّحن الثَّامن:

إنَّ موسى لما رسم الصَّليب، ضرب بالعصا مستوية البحر الأحمر أجاز إسرائيل ماشياً، ولما ضربه مخالفاً ضمَّه على فرعون ومركباته، ممثِّلاً بصراحة السِّلاح غير المقهور. فلذلك نسبِّح المسيح إلهنا لأنه بالمجد قد تمجَّد[٦].

الأوديَّة الثَّالثة:

إنَّ العصا تؤخذ رسماً للسِّر، لأنها بافتراعها أشارت إلى الكاهن. أمَّا الآن فقد أزهر عود الصَّليب للكنيسة العاقر قبلاً، عزَّة وثباتاً[٧].

الأوديَّة الرَّابعة:

يا ربُّ إني سمعتُ بسر تدبيرك، وتأمَّلتُ أعمالك فمجَّدتُ لاهوتك[٨].

٥- أراميس جمع أرموس وهي القطعة التي تبدأ بها كل تسبحة من تسبحات القانون. انظر للمؤلِّف كتاب: معجم المصطلحات الكنسيَّة.

٦- قارن مع: خروج ١٤:٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨

٧- قارن مع: عدد ١٧:٨ ؛ ١صموئيل ٣:١-١٠

٨- حبقوق ص ٣

الأوديَّة السَّادسة:

إنَّ يونان لمَّا بسط يديه بشكل صليب في جوف الحوت البحري، سبق فرسم الآلام الخلاصيَّة بوضوح. ولما خرج في اليَوم الثَّالث، مثَّل القيامة التي تفوق إدراك العالمين، قيامة المسيح الإله الذي سُمِّر بالجسد، وأنار العالم بقيامته ذات الثَّلاثة أيام[٩].

الأوديَّة الثَّامنة:

أيها الفتيان المساوون عدد الثَّالوث، باركوا الرَّب الإله الخالق، وسبِّحوا الكلمة الذي تنازل وحوَّل النَّار إلى ندى، وزيدوا رفعة الرُّوح الكُلي قُدسه، المانح الحياة للجميع على مدى الدُّهور.

الأوديَّة التَّاسعة:

يا والدة الإله أنت الفردوس السِّري، إذ أنك أنبت المسيح بغير فلاحة، الذي منه نُصبَت في الأرض شجرة الصَّليب الحاملة الحياة. فالآن إذ نسجد له مرفوعاً، لك نعظِّم.

ثمَّ تُقال الإكسابستلاري باللَّحن الثَّاني:

الصَّليب حافظ كل المسكونة، الصَّليب جمال الكنيسة، الصَّليب عزَّة الملوك، الصَّليب ثبات المؤمنين، الصَّليب مجد الملائكة، وجرح الشياطين.

ثمَّ الإينوس ستشيرات بروصوميَّات باللَّحن الثَّامن

يا له من عجب مستغرب، أنَّ الفردوس الحامل الحياة، الصَّليب الأقدس، يظهر اليَوم مرفوعاً إلى العلاء، فتُمجِّده الأقطار جميعاً ... يا له من عود طاهر به نلنا الطَّعام غير المميت، الذي في عدن، ممجِّدين المسيح ... يا له من عجب مستغرَب أنَّ الصَّليب ظهر مساوياً السَّماء

٩- يونان ٢:٢

طولاً وعرضاً، إذ أنه يقدِّس بالنِّعمة الإلهيَّة الخليقة بأسرها، وبه تُقهر الأمم البربريَّة، وبه تتوطَّد صوالجة الملوك. فيا لها من سُلَّم إلهيَّة بها نرتقي إلى السَّموات، رافعين بالتَّسابيح المسيح الرَّب.

ذكصا – كانين باللَّحن السَّادس.

اليَوم يوافي صليب الرَّب، والمؤمنون يتقبَّلونه بشوق، وينالون شفاء النَّفس والجسد، وكل سقيم فلنصافحه بفرح وخوف. أمَّا الخوف فبسبب الخطيئة بما أننا غير مستحقِّين، وأمَّا الفرح فلأجل الخلاص الذي يمنحه العالم للمسيح الرَّب الذي سُمِّر عليه المالك الرَّحمة العُظمى.

ثمَّ تُقال ذُكصولوجيًّا ميغالي[١٠]. وبعدها يُرتِّل التِّريصاجيون[١١]. ويحمل الكاهن الصَّليب على رأسه في صينيَّة بها أغصان من الرَّياحين، ويخرج من الهيكل من جهة البَاب الشَّمالي، تتقدَّمه المراوح والمصابيح والمباخر حتى يبلغ به إلى أمام البَاب الملوكي مع انتهاء ترتيل التِّريصاجيون، فيهتف قائلاً: صوفيًّا أورثي (أي: حكمة فلنستقم). ويضع الصَّليب على كرسي ذي أربع قوائم، ويبخِّر على شكل صليب مرتِّلاً: "خلِّص يارب شعبك"، وكذلك كل من الخورسين يرتِّلها مرَّة واحدة، ثمَّ يعمل ثلاث ميطانيات، ويأخذ بيده الصَّليب المكرَّم مع أغصان الرَّياحين، ويقف أمام الكرسي ذي الأربع قوائم، ناظراً إلى الشَّرق، ويقول على مسمع من الجميع: "ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك، نطلب منك فاستجب وارحم".

ويبتدئ بالمائة الأولى من يارب ارحم، وفي بدايتها يبارك الشَّعب بالصَّليب ثلاث مرَّات، ثمَّ يحني رأسه والصَّليب في يده حتى يبقى بعيداً عن

١٠- وهي تقابل تسبحة الملائكة في الكنيسة القبطيَّة.

١١- أي الثَّلاثة تقديسات.

الأرض مقدار شبر واحد، وينهض قليلاً قليلاً إلى نهاية المائة[١٢].

ثمَّ يتحوَّل إلى اليمين ناظراً إلى جهة الجنوب، ويقول:

أيضاً نطلب من أجل غفران خطايا عبد الله أبينا ورئيس كهنتنا (فلان)، وكل إخوتنا بالمسيح.

ثمَّ يبتدئ بالمائة الثَّالثة، وعند نهايتها ينتقل الكاهن إلى جهة الجنوب – من الكرسي – متَّجهاً نحو الشَّمال، ويقول:

أيضاً نطلب من أجل نفوس كل المسيحيِّين الأرثوذكسيين، وعافيتهم، وخلاصهم، وغفران خطاياهم.

ثمَّ يصنع المائة "يارب ارحم" الرَّابعة، فيرجع الكاهن إلى أمام الكرسي متَّجهاً نحو الشَّرق، ويقول:

أيضاً نطلب من أجل جميع الذين يخدمون والذين خدموا في هذا المكان المقدَّس وعافيتهم، وخلاصهم، وغفران خطاياهم.

ثمَّ يبتدئ بالمائة الخامسة، وبعد إتمامها يرفع الصَّليب مرتِّلاً:

يا من ارتفع على الصَّليب مختاراً ...

حيث يبارك الشَّعب بشكل صليب، ثمَّ يضع الصَّليب الكريم على الكرسي، ويرتل قائلاً:

لصليبك يا سيِّدنا نسجد، ولقيامتك المقدَّسة نمجِّد (مرَّة واحدة).

١٢- انحناء الكاهن وارتفاعه مع ترتيل الشَّعب "يارب ارحم" يذكِّر بوجود الصَّليب الذي ظلَّ مدَّة طويلة مدفوناً في الأرض، ورُفع منها بعد تعب وجهاد. ويمثِّل هذا الطَّقس من جهة أخرى سقوط البشر بسبب الخطيئة، وانتشالهم من الهلاك، وخلاصهم بآلام السيِّد المسيح وصلبه.

ويقول مثله كل من الخورسين مرَّة واحدة. ثمَّ يسجد للصَّليب الكريم، وكذلك يتبعه الجميع[١٣].

وحيثما يوجد رئيس كهنة، فهو الذي يرفع الصَّليب. وفي وقت السُّجود تُرنَّم ترنيمات نأتي هنا ببعضها:

باللَّحن الخامس:

هلمُّوا أيها الشُّعوب لدى مشاهدتنا العجب الباهر، نسجد لقوَّة الصَّليب، لأنَّ العود في الفردوس أنتج موتاً، أمَّا هذا فأزهر الحياة، إذ سُمِّر عليه الرَّب البريء من الخطأ. فلذلك إذ نحيي منه نحن الأمم جميعاً عدم الفساد، نصرخ هاتفين: يا من بالصَّليب أبطل الموت وأعتقنا، المجد لك.

باللَّحن الثَّامن:

لقد تمَّت يا الله لهجة نبيِّك موسى القائلة: ستعاينون حياتكم معلَّقة تجاه أعينكم. اليَوم الصَّليب يُرفع والعالم من الطُّغيان يُعتق. اليَوم قيامة المسيح تُجدَّد، وأقطار الأرض تبتهج، مقدِّمة لك التَّسبيح بصنوج داوديَّة، وقائلة: لقد صنعت يا الله خلاصاً في وسط الأرض، أعني الصَّليب والقيامة اللَّذين بهما خلَّصتنا أيها الصَّالح محب البشر، الرَّب القادر على كل شئ، المجد لك.

وفي القدَّاس عوض التِّيبيكا والمكارزمي تُرتَّل أنتيفونات:

الأولى منها: بشفاعة والدة الإله يا مخلِّص خلِّصنا.

وتعاد عدد الإستيخونات التي تتقدَّمها.

والثَّانية: خلِّصنا يا ابن الله، يا من صُلب بالجسد نحن المرتِّلين لك.

١٣- هذا الطَّقس يشبه ما تمارسه الكنيسة القبطيَّة في يوم الجمعة العظيمة، والذي هو بحق يوم الصَّليب فيها.

الليلويا. وتعاد كالأولى.

والثَّالثة: خلِّص يارب شعبك وبارك ميراثك ... الخ.

وعند الأيصوذُن يُرتَّل هذا الإيصوذيكون:

ارفعوا الرَّب إلهنا واسجدوا لموطئ قدميه، لأنه قدوسٌ هو. خلِّصنا يا ابن الله يا من صُلب بالجسد نحن المرتِّلين لك الليلويا.

وعوض التِّريصاجيون يُرنَّم:

لصليبك يا سيِّدنا نسجد ولقيامتك المقدَّسة نمجِّد.

ثمَّ يُقرأ فصل من رسالة بولس الرَّسول إلى أهل كورنثوس(١٤)، أمَّا الإنجيل فهو عن آلام الرَّب يسوع وموته على الصَّليب(١٥).

هذا جانب لما تمارسه الكنيسة اليونانيَّة في يوم عيد رفع الصَّليب الكريم المحيي. أمَّا في أورشليم فيصير طقس رفع الصَّليب بعد انتهاء القدَّاس بمزيد الاحتفال على هذه الصُّورة. ويحمل البطريرك على رأسه الصَّليب، ويخرج من الهيكل بالباب الملوكي، محفوفاً برؤساء الكهنة، وجمع غفير من الكهنة، وكل منهم يحمل صليباً صغيراً في اليد الواحدة مع غصن من الرَّيحان، وشمعه موقدة في اليد الأخرى، ويدور حول هيكل القيامة بالاحتفال والتَّرنيمات الرُّوحانيَّة إلى أن يصل إلى المغارة التي وُجد فيها الصَّليب سنة ٣٢٦م وهناك يُتمَّم الطَّقس كما هو مشروح أعلاه(١٦).

١٤- ١كورنثوس ١:١٨-٢٤

١٥- يوحنا ١٩:٧-١١، ١٣-٣٠، ٢٥-٢٨، ٣٠-٣٥

١٦- القول المصيب في عيد الصَّليب، طُبع في أورشليم بمطبعة القبر المقدَّس سنة ١٨٨٧م.

المراجع

أولاً: المراجع العربيَّة

- ألفريد ج بتلر (الدُّكتور)، فتح العرب لمصر، الجزء الأوَّل، تعريب محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٨٩م.

- القول المصيب في عيد الصَّليب، طُبع في أورشليم بمطبعة القبر المقدَّس سنة ١٨٨٧م.

- جان كُمبي (الأب)، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤م.

- جرجس فيلوثاؤس عوض، المجموع الصَّفوي لابن العسَّال، ١٩٠٨م

- ساويرس (الأنبا) أسقف الأشمونين، الدُّر الثَّمين في إيضاح الدِّين، إصدار مدارس التَّربية الكنسيَّة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون - شبرا، القاهرة، ١٩٨٧م.

- شمس الرِّئاسة أبو البركات (القس) المعروف بابن كبر، كتاب مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة، الجزء الأوَّل، مكتبة الكاروز، سنة ١٩٧١م.

- شنوده السِّرياني (القُمُّص)، (مثلَّث الرَّحمات، نيافة الأنبا يؤانس أسقف الغربيَّة الأسبق)، الاستشهاد في المسيحيَّة، القاهرة، ١٩٦٩م.

- عبد المسيح المسعودي (القُمُّص)، التُّحفة البرموسيَّة، القاهرة ١٩٢٥م.

- كتاب الإبصاليَّات والطُّروحات الواطس والآدام، اهتم بطبعه القُمُّص فيلوثاؤس المقاري والمعلم ميخائيل جرجس في عهد البابا كيرلس الخامس سنة ١٩١٣م.

- كتاب الدِّفنار، طُبع في عهد البابا كيرلس الخامس، وعنى بطبعه القس دوماديوس البراموسي سنة ١٩٢٢م.

- كتاب السِّنكسار، وضع أنبا بطرس الجميل أسقف مليج والأنبا ميخائيل

أسقف أتريب والأنبا يوحنا أسقف البرلُس وغيرهم من الآباء القدِّيسين. والمهتم بطبعه القُمُّص عبد المسيح ميخائيل والقُمُّص أرمانيوس حبشي شتا البرماوي في عهد الأنبا يؤانس التَّاسع عشر سنة ١٩٣٥م.

- كتاب السَّواعي الكبير، منشورات النُّور، لبنان، ١٩٨٧م.

- كتاب القطمارس السَّنوي الدوَّار، المجلد الثَّاني، طُبع في عهد صاحب القداسة البابا المعظم أنبا شنوده الثَّالث. أعدَّه وأشرف على طبعه اللَّجنة المشكَّلة من قداسة البابا، وروجع ونقّح وحقّق علمياً بمعرفة قسمي اللاهوت واللُّغة القبطيَّة بمعهد الدِّراسات القبطيَّة بالقاهرة، الطَّبعة الثَّالثة، ١٩٧٤م، مطبعة الأنبا رويس.

- كتاب دورتي عيدي الصَّليب والشَّعانين وطروحات الصَّوم الكبير والخمسين، عني بطبعه القُمُّص فيلوثاؤس المقاري والقُمُّص برنابا البراموسي والقس أقلاديوس جرجس سنة ١٩٢١م.

- كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونيَّة، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- ميّ المسكين (الأب)، القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، الطَّبعة الأولى، ١٩٨١م.

- مجلّة حياتنا اللّيتورجيَّة، العدد ١٢ نوفمبر ١٩٩٠م، ١٣ ديسمبر ١٩٩٠م، ١٥ يناير ١٩٩١م.

- مجلّة معهد الدِّراسات القبطيَّة، القاهرة، ١٩٥٨م.

- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهو كتاب "مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة"، للقسّ شمس الرِّئاسة أبو البركات ابن كبر.

- مراد كامل (الدُّكتور)، العصر القبطي في تاريخ الحضارة المصريَّة، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ناريمان عبد الكريم (الدُّكتورة)، معاملة غير المسلمين في الدَّولة الإسلاميَّة، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

- نجيب بولس (الأستاذ)، تطوُّر التَّقويم المصري القبطي وضبطه، مجلّة معهد الدِّراسات القبطيَّة، القاهرة، ١٩٥٨م.

- نجيب بولس (الأستاذ)، ضبط التَّقويم القبطي، نشرة جمعيَّة الآثار القبطيَّة بالقاهرة، المجلَّد الحادي عشر سنة ١٩٤٥م.

- وديع الفرنسيسكاني (الرَّاهب الأخ)، دراسة عن المؤتمن بن العسَّال وكتابه "مجموع أصول الدين"، وتحقيقه، المركز الفرنسيسكاني للدِّراسات الشَّرقيَّة المسيحيَّة، القاهرة — القُدس، ١٩٩٧م.

- يوحنا بن زكريا بن سباع، الجوهرة النَّفيسة في علوم الكنيسة، دراسات شرقيَّة مسيحيَّة في الكنيسة المصريَّة، حقَّقه ونقله إلى اللاتينيَّة الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، القاهرة، ١٩٦٦م.

- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القُمُّص مرقس داود، الطَّبعة الثَّانية، القاهرة، ١٩٧٩م.

ثانياً: المراجع الأجنبيَّة

- Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958.

- Aziz S. Atia (Dr.), *The Coptic Encyclopedia*, vol. 2, 1991.

- Burmester, O.H.E.Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la société d'archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.

- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2nd edition), 1988.

- *The Servival of Ancient Egypt*, dans Bulletin de la société d'archéologie Copte (BSAC),Rome, vol.4, 1938.

- Yassa Abd Al-Masih, *Doxologies in the Coptic Church*, cited by Bulletin de la société d'archéologie Copte (BSAC), t.6, 1940.

- Yassa Abd-Almassih, *The Canon of the Resurrection "tenen"*, cited by Bulletin de la société d'archéologie Copte (BSAC), t. xiv, Le Caire, 1950- 1957.

الدُّرَّة الطَّقسيَّة للكنيسة القبطيَّة

بين الكنائس الشَّرقيَّة

للرَّاهب القس أثناسيوس المقاري

www. Athanase. net

◆ السِّلسِّلة الأولى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
١/١	الدِّيداخي أي تعليم الرُّسل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦م
١/٢	التَّقليد الرَّسولي (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/٣	المراسيم الرَّسوليَّة – دراسة موجزة — نص الكتاب الثَّامن	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة – الكتابات اليونانيَّة	يناير ٢٠٠٣م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة – الكتابات القبطيَّة	يوليو ٢٠٠٦م
١/١٠	قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤م

◆ السِّلسِّلة الثَّانية: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٢/١	الكنائس الشَّرقيَّة وأوطانها– الجزء الأوَّل: رؤية عامة—كنيسة المشرق الآشوريَّة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٢	الكنائس الشَّرقيَّة وأوطانها – الجزء الثَّاني: كنيسة مصر	يناير ٢٠٠٧م
٢/٣	الكنائس الشَّرقيَّة وأوطانها – الجزء الثَّالث: الكنائس الشَّرقيَّة القديمة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٤	الكنائس الشَّرقيَّة وأوطانها – الجزء الرَّابع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥م
٢/٥	الكنيسة، مبناها ومعناها (طبعة ثانية)	مايو ٢٠٠٨م
٢/٦	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤م
٢/٧	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّاني (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥م
٢/٨	مُعجَم المصطَّلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّالث (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٨م

◆ السِّلسِّلة الثَّالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٣/١	معموديَّة الماء والرُّوح (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٩م
٣/٢	سرّ الرُّوح القُدُس والميرون المقدَّس	مارس ٢٠٠٧
٣/٣	تسبحة نصف اللَّيل والسَّحَر	نوفمبر ٢٠٠٥م
٣/٤	صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر	يناير ٢٠٠٦م
٣/٥	القدَّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الأوَّل	يناير ٢٠٠٨م

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٣/٦	القدّاس الإلهي سرّ ملكوت الله، الجزء الثّاني	يناير ٢٠٠٨م
٣/٧	الدِّبلة والإكليل (طبعة ثانية)	نوفمبر ٢٠٠٩م
٣/٨	الأجبية أي صلوات السَّواعي	إبريل ٢٠٠٦م
٣/٩	التّاريخ الطّقسي لسرّ التّوبة والاعتراف	أكتوبر ٢٠٠٧م

◆ **السِّلسِّلة الرَّابعة: طقوس أصوام وأعياد الكنيسة**

الرَّقم	اسم الكتاب	تاريخ النَّشر
٤/١	الزّمن الطّقسي بين عيدي النّيروز والصّليب	يوليو ٢٠٠٩م
٤/٤	صوم نينوى والصّوم المقدّس الكبير	يناير ٢٠٠٩م

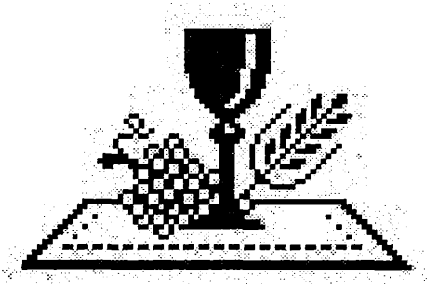

يُطلب من

مكتبة مجلَّة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٢٥٧٧٠٦١٤

والمكتبات المسيحيَّة والكنسيَّة

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب **مينا سمير أنطون** ت/ ٠١٠١١١٦٦١٨

E-mail: minasas2001@yahoo.com

هذا الكتاب

الذي بين يديك يتحدَّث عن طقس عيد النَّيروز أي عيد بدء السَّنة القبطيَّة، أمَّا ما شاع حديثاً بيننا بأن هذا اليَوم هو أيضاً عيد الشُّهداء، فهو ما لم تُشر إليه أيّ من كتبنا التَّاريخيَّة أو الطَّقسيَّة أو كتب الصَّلوات الكنسيَّة. كما يتحدَّث الكتاب أيضاً عن طقس اليَوم الثَّاني من السَّنة القبطيَّة، وهو عيد القدِّيس يوحنا المعمدان، ثمَّ يتحدَّث عن طقس عيد الصَّليب المجيد.

كما يضم هذا الكتاب أيضاً بحثاً عن طقس الفترة الواقعة بين عيدي النَّيروز والصَّليب، وهي فترة لم تشر إليها من قريب أو بعيد كافة كتبنا الطَّقسيَّة القديمة ومخطوطات ترتيب البيعة التي بين أيدينا، وهي المخطوطات التي ظلَّت تُنسخ من جيل إلى جيل حتى إلى أوائل القرن العشرين.

هذا هو ما تقرأه بتفصيل في صفحات هذا الكتاب.